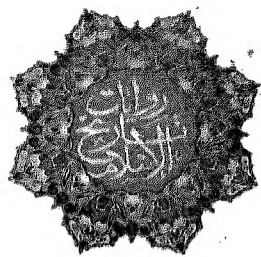
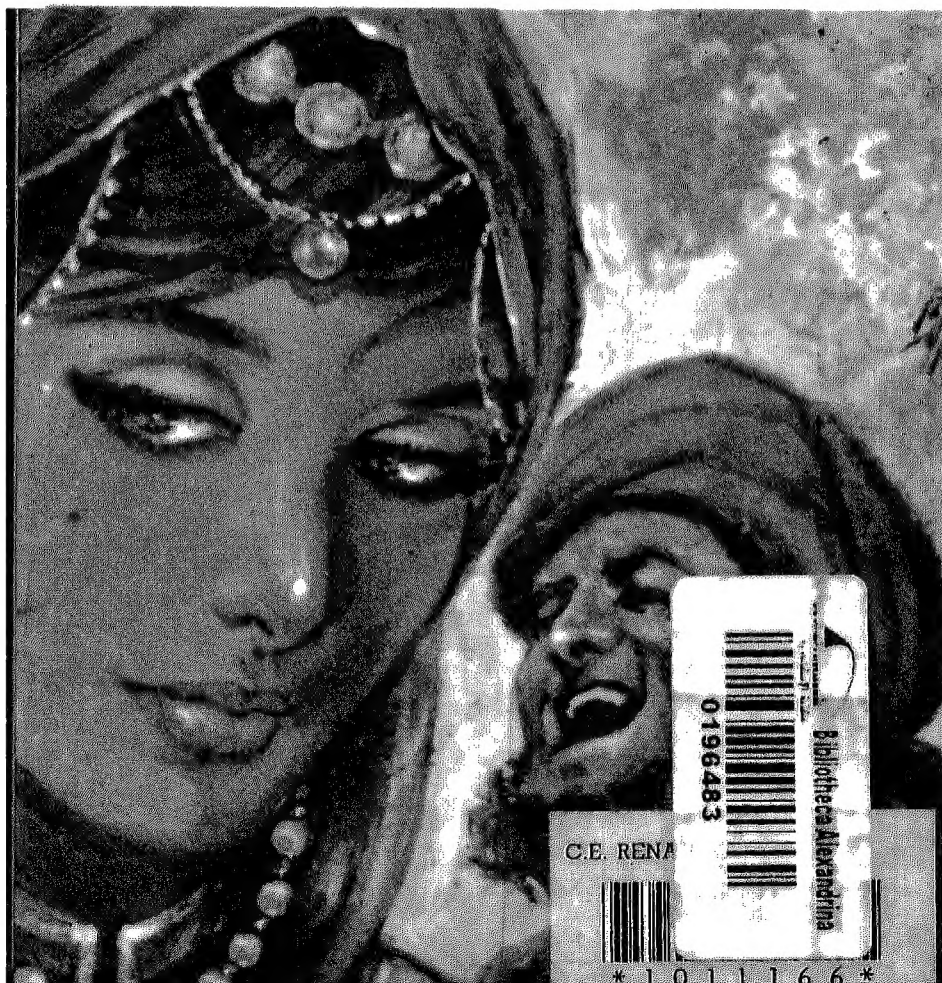


١٧ رَمَضَانُ



جُرحیٰ زیّدان



GIFTS OF 1996
BIBLIOTHEQUE
INTERUNIVERSITAIRE DES
LANGES ORIENTALS
PARIS

١٧ رمضان

تتضمن تفصيل مقتل الامام علي وبسط حال الخوارج
تتمة الفتنة التي حدثت بسبب مقتل الخليفة عثمان ،
مقتلار بنى أمية بالخلافة وخروجها من أهل البيت

COMITÉ D'ÉTABLISSEMENT
R.N.U.R. FLINS

Bibliothèque

78410 AUBERGENVILLE

N° Inventaire Z..8..6..6..6.....

Cote Z.A.X.R.....853.4..

المكتبة الادبية - بيروت

أبطال الرواية

علي بن أبي طالب *	: رابع اجتماع الراشدين
معاوية بن أبي سفيان *	: أول ملوك الدولة الاموية
عمرو بن العاص *	: والى مصر
قطام بنت عدى *	: غادة الكوفة
العجوز لبابة *	: مربية قطام
سعيد الاموى *	: عاشق قطام
عبد الرحمن بن ملجم *	: قاتل الامام على
الحسن والحسين *	: ابنا على
عمرو بن بكر *	: المتآمر لقتل عمرو بن العاص
البراء بن عبد الله التميمي *	: المتآمر لقتل معاوية

مراجع هذه الرواية

تاريخ ابن الأثير *	هذه المراجع هي التي اعتمد عليها المؤلف في تأليف الرواية ووثاقها التاريخية
العزم العام *	: أسد الغابة
تاريخ الخميس *	: مروج الذهب للمسعودي
السيرة الحلبية *	: تاريخ القرطبي
	: ابن دقاق

فذلکۃ تاریخینہ

الخوارج جماعة من رجال الامام على بن ابي طالب نقموا عليه قبوله التحكيم على اثر وقعة صفين ، وكانوا قبل ذلك في مقدمة الدين حرضوه على قبوله . لكنهم لما راوا التحكيم ادى الى خروج الخلافة من يده الى يد معاوية بن ابي سفيان نقضوا بيعته ونبذوا طاعته ، وظلموا فيها لانفسهم فبايعوا واحدا منهم يدعى عبد الله بن وهب ، وحاربوا تحت رايته زمنا

ولما صدر حكم الحكمين بخلع على وتثبيت معاوية اشتد ازر معاوية ، وبيع بالخلافة في الشام

وكان الخوارج ما زالوا في بدء أمرهم ، فأخذ على يتجهز لحرب معاوية .
وفيما هو في ذلك جاءه الحُجْر بتألب الخوارج ونمردهم ، فنصح لهم بالطاعة
وبين لهم أنه لم يخطئ بقبول التحكيم وأنه لم يقبله إلا أجابة لطلبهم ، وأكثهم
لم يرتدعوا . فرأى أن يستأصل شأفتهم قبل خروجه إلى معاوية ، فحاربهم
في مواقع عدة أشهرها موقعة النهروان وراء دجلة بالقرب من بغداد ، وقد
انتصر فيها عليهم نصرًا مبينًا وثبتت شألتهم . على أنهم عادوا إلى الاجتماع
في الخفاء

وفي سنة ٣٨ هـ فتح عمرو بن العاص مصر ، وقتل محمد بن أبي بكر عاملها .
وتولاها باسم معاوية . فأصبح معاوية خليفة في مصر والشام ، وحل محله
دمشق . وبقي على بن أبي طالب خليفة في العراق والجزيرة والحجاز واليمن ،
وحل محله الكوفة .

ثم اُخذ معاوية يبعث سراياه الى بلاد الامام على يبغي فتحها ليستأثر
بالخلافة . فانفذ جندا الى مكة . واخر الى اليمن . وتالتا الى الجزيرة ، وظلوا
بحاربور ويناوون واسكنهم لم يبلغوا اربا حتى دخلت سنة اربعين للهجرة .
فتأهب الامام على الخروج الى قتال معاوية ، في جيش قوامه اربعون الفا من
انصاره بايعوه على الفور اوالموت . وفيما هو في ذلك فاجاه الغدر فمات مقتولا
كما ستري تفصيل ذلك في هذه الرواية

غادة الكوفة

الكوفة مدينة اسلامية ، مصرها سعد بن أبي وقاص أحد كبار الصحابة ، في السنة السابعة عشرة للهجرة على عهد الخليفة عمر بن الخطاب بعد فتح العراق ، وكان عمر قد أشار عليه « بأن يقيم في مكان لا يحول بينه وبين المدينة بحر ولا جسر حتى اذا أراد ان يقدم اليه على راحلته قدم » . فبنى الكوفة غربى الفرات على شاطئ بحيرة كانت هناك بقرب مكان الحيرة ، بينها وبين الفرات بضعة وعشرون ميلا

وكان بناؤها في أول أمرها بالقصب ، فأصابها حريق فاستأذنوا الخليفة في بنائها باللبن فقال : « افعلوا ، ولا يزيدن احدكم على ثلاثة أبيات ، ولا تطاولوا في البنين ، والزمو السنة يلزمكم الدولة » . ففعلوا وجعلوا طرقها نوعين : المناهج وعرض كل منها عشرون ذراعا ، والأزقة وعرض كل منها سبع أذرع . وما بين المناهج أماكن البناء وقدرها أربعون ذراعا ، والقطائع وقدرها ستون ذراعا

وكان المسجد أول شيء خطوه فيها ، فوقف في وسط المدينة رجل شديد النزع رمى الى كل جهة بسهم ، ثم أقيمت المباني فيما وراء السهام ، وترك ما دونها للمسجد وساحته . وبنوا في مقدمة المسجد ظلة أو رواقا أقاموه على أساطين من رخام كان الأكاسرة قد جلبوها من أروبة الحيرة . وجعلوا على الصحن خندقا ثلثا يفتححه أحد بنيان ، وبنوا لسعد بن أبي وقاص قصرا بجانب المسجد نقلوا حجارته من أجر بنيان الأكاسرة وسموه قصر سعد

وقد زاد عمران الكوفة حين اتخذها الإمام على مقرا له بعد وقعة الجمل سنة ٣٦ هـ اذ تقاطر اليها المسلمون من جميع الأنحاء ، وتكاثرت فيها الأبنية وعمرت الأسواق وأنشئت حولها الحدائق والبساتين مما يلي بحيراتها وكان في ضاحية الكوفة على شاطئ البحيرة حديقة من نخيل ، حولها سور من جلدوع النخل يحيط بها الا من جهة البحيرة . وفي وسط الحديقة بيت مبني من اللبن ، يدل جلال بنائه على أن سكانه من أهل اليسار ، وقد بخيل اليك اذا دخلت حديقة انه مسكن بعض الأمراء ذوى الخدم والحشم ، لما يرى بين نخيلها من آثار المعالف والأتواد والسلاسل والقيود ، ولتناكل

جلود بعض النخيل من كثرة شد الأمراس اليها وتعود الخيل تقشيرها وهي
مشدودة اليها

ففى ليلة من اوائل السنة الأربعين للهجرة ، والوقت خريف ، وقد نضج
الثمر على نخيله وليس من يقطعه ، فتساقط بعضه على الأرض وليس من
من يلتقطه . كان القمر بداً وقد أطل من وراء الأكام فأرسل ظلال النخيل
مستطيلة متقاطعة ، وكان الجو هادئاً والسكوت سائداً لبعدها عن المكان عن المدينة
وضوضائها ، فلم يكن يسمع غير تقيق الضفادع على شاطئ البحيرة يتخلله
صرير الصراصير وقرقرة القر . وربما هب النسيم فأسمعك حفيف سعف
النخل هنيهة ثم انقطع . ولقد تعجب لوحشة ذلك المكان مع ما تراه من
آثار الإنس ودلائل الأبهة

وهناك فى المنزل المؤلف من ثلاث غرف متصل بعضها ببعض ، وقد فرشت
أرضها بحصر من سعف النخل فوقها جلود الماعز ، وضعت فى أحداها
طنفسة جيلة عليها وسائد من الخز ، ووضع فى بعض جوانبها مصباح ضعيف
النور ، وجلست على إحدى الوسائد فتاة فى مقتبل العمر أشرق وجهها بماء
الشباب ، وقد حلت شعرها الأسود فأرسلته على كتفيها فحجب بعض
جبينها ، وغطى عذارها فحجب قرطها وسالفها ولكنه زاد عينها كحلا
وأشراقا . ولكن عينها اللعابون البراقين قد غشيها الدمع فأخذ ينحدر
على وجنتين محمرتين بينهما أنف دقيق مستقيم تحته فم صغير . فإذا
أردته أنسكاب الدمع تلقته بأطراف جدائلها أو بأحد كميها . وكانت لاسية
جليها أسود زائداً جلالاً وفنتة . وكان هذه الغادة استأنست بوحدتها
فأطأقت لنفسها هنان البكاء حيث لا رقيب ولا حسيب فأخذت تندب
فقيدى عزيزين قتلا فى يوم واحد

تلك هى « قطام بنت شحنة بن عدى » من قبيلة الرباب ، فتاة الكوفة
الفتاة التى ذاع صيتها فى الأفاق ، وسمع بجمالها القاصى والدانى حتى
أصبحت فتنة الكوفيين ومضرب أمثالهم ، وشخصت اليها الأبصار وحامت
حولها القلوب ، فباتت معجبة بجمالها لا تعرف هما ولم تذل غما حتى بليت
بقتل أبيها وأخيها مصفاً وقعة النهروان ، إذ كانا من جملة الخوارج الذين
نقموا على الإمام على لقبوله التحكيم فأنضموا الى من نقض بيعته وحاربوا
فى جملة من حاربه

وكانت قطام ثابتة الحاشى شديدة الميل الى الانتقام ذات حيلة ودهاء ،
ما انفكت منذ قتل أبيها وأخيها وهي تندبهما وتلمس الانتقام لهما . ولكنها
لم تكن تستطيع المجاهرة بذلك والكوفة مقر الإمام على ومجتمع أنصاره
وشيعته . فاقلمت بمنزلها هذا فى ضاحية الكوفة وحيدة ليس معها سوى
عبد كهل ربى فى أهلها منذ صباه ، وقد هجرها بعد أن بليت بمصيبتها جميع

الخدم والاعوان ما عداه . وكانت ترتاح الى بث شكواها له ، وكان هو يخفف منها ويعدها بنيل المرام

وفي اصيل ذلك اليوم . كانت قد انفذته ليستقدم لها عجوزا من مولدات الكوفة ، كانت قد رببت بين ذراعيها منذ نعومة اظفارها وهي تحن اليها حنينها الى امها ، فلما طال غيابه وسدل الليل نقابا ولم يعد ، شغلت بذلك من أحزانها وهواجسها وهي وحيدة في هذا البيت . ولكنها كانت اذا سكنت هنية تذكرت اباه وأخاه ومن كان يقيم في تلك الدار من الخدم والعبيد فتعود الى البكاء والنحيب



وفيما هي في ذلك سمعت وقع اقدام مسرعة عرفت انها خطوات عبدها ربحان ، فاجفلت ولكنها استأنست به فوقفت واسرعت لاستقباله . وكان ربحان طويل القامة ، شديد السواد ، خفيف العضل ، سريع الحركة ، جاحظ العينين ، أظفاس الأنف ، عظيم الوجنتين ، بلرز الأسنان يزيد بها بروزا تدلى شفته السفلى وانحسار شفته العليا . وكان يتفانى في خدمة سيده فابتدعها بالسلام . فقالت : « ما الذى أحرك يا ربحان وأنت تعلم لنى وحيدة هنا . أين المجوز لبابة ؟ »

قال : « انها قادمة على اثرى »

قالت : « وما سبب غيابك حتى الآن ؟ »

قال : « كنت في انتظارها وهي تخاطب شابا وتجادله ... »

قالت : « ومن هو هذا الشاب ؟ »

قال : « لا أدري . : وهذه هي قد اقبلت وستقص عليك الخبر مفصلا » وما اتم كلامه حتى دخلت المجوز تتوكأ على عكازها وقد احذودب ظهرها ونال منها الكبر فزادها قصرا ولكنها ما زالت سريعة الحركة شديدة المصعب ، وكانت نمصاء العينين غائرة الفم لخلوه من الأسنان ، مجمدة الخدين غائرتما . فتقدمت الى قطام وقد غطت شعرها الشائب بنقاب أسود تجره وراءها لطوله وقصرها . وحالما دنت منها قبلتها وأخذت تخفف عنها وتقول : « لا بأس عليك يا ابنتى ، اعدرينى لايطأنى في الحضور »

فلم تزد الفتاة الا بكاء وهي تقول : « ما الذى يشغلك عنى يا خالة وأنت تعلمين أن ليس لى معز فى أحزاني سواك »

قالت : « هونى عليك يا قطام واستريحى ، فقد جئتك بالفرج باذن الله »

قالت : « من أين يأتينى الفرج ولا يفرج كربتى الا الانتقام ؟ »

قالت ذلك وحرقت اسنانها وهي تتشافل بجميع شعرها وارساله وراء ظهرها . ثم مسحت عينيهما بكهما الطويل وارسلته على كتفيهما فبانت اساورها ودمالجها حول معصمها الممتلىء ونظرت الى المعجوز كأنها تسالها الايضاح

فضحكت المعجوز وهي تنظر اليها ، ثم كفت عن ضحكها فجأة وكأنها تذكرت امرا محزنا فاستاءت قطام من ضحكها وهي تبكي وقالت : « ما بالك تضحكين ؟ اتهزئين بكلامى . انى والله لا اقنع بما دون الانتقام »

فامسكتها المعجوز بيدها واقعدتها على الوسادة وجلست الى جانبها ، ونظرت الى ريحان نظرة فهم منها أنها تريد خروجه لتخلو الى قطام . فخرج فليست قطام تنتظر ما تقوله المعجوز . فاذا بها تظل كأنها تنهيا لحديث طويل ثم قالت : « وماذا تريد يا قطام ؟ »

قالت : « اريد أن أثار لأبى وأخى اللذين قتلهما على ظلما ، ولا بد لى من الانتقام »

قالت المعجوز : « ما قولك فى انى وجدت لك من يأخذ لك بشارك ؟ »

قالت : « من هو ؟ قولى »

قالت : « اصبرى ولا تكونى لجوجة . اترفين سعيدا ؟ »

قالت : « وانى سعيد ؟ » . قالت : « سعيد الاموى الشاب الجميل الواقع فى هواك »

قالت : « دعينا من الحب والغرام وحدثينى عن الانتقام »

قالت : « سبحان الله ! احببىنى عن سؤالى . الا تعرفين هذا الشاب المفرم بك ، المفتون بسواد عينيك ؟ »

فتعلمت وقالت : « نعم أعرفه ، وماذا فى معرفته ؟ . بالله عليك لاتذكرى الغرام ، انى لا أشعر بماطفة الحب ، ولا يهمنى احببى الناس ام ابغضونى »

فابتسمت المعجوز ابتسامة الاستخفاف وقالت : « يا للعجب ! ، ما أكثر لجاحتك . اذا كنت تعرفين سعيدا هذا فهل تحبينه ؟ »

فاجابت على الفور : « لا . لا . لا احبه ، ولا احب احدا ان قلبى فى شافل من الحب بالبغض . انى ابغض بعض الناس ولا احب احدا »

قالت : « اذا كان لابد من الانتقام فيجب أن تحبى سعيدا »

قالت : « كيف احبه وليس فى قلبى موضع لغير البغض والحقد . انى حاقدة ناقمة »

قالت : « أنا أعلم ذلك ، ولكن احبى سعيدا ولو الى حين وهو ينتقم لك »

فبغت قطام ، ونظرت الى المعجوز وجعلت تتفرس فيها لتتحقق أنها تجد

ولا تهزل ، فلما آنست الجد في لهجتها قالت : « هل تقولين حقا ؟ . وهل سعيد
يرضى أن يركب هذا المركب الخشن ؟ »
قالت : « انى أجعله يركبه ، فان لم يكن أهلا له فهو ليس أهلا لحبك .
ما رأيك ؟ »

فصمت هنيهة ثم قالت : « أحبه ؟ . نعم أحبه اذا كان الامر كذلك ولو
الى أجل قريب . ولكننى لا أظنه أهلا لهذا العمل ، بل لا أحسبه يقدم عليه .
ولكن قولى لى هل تتكلمين من عند نفسك أم سمعت ذلك منه ؟ »

فاعتدلت العجوز في مجلسها ، ونظرت الى قطام وقالت : « اعلمى يا حبيبتى
ان سعيدا هذا قد علق بك وأحبك منذ بضعة اعوام ، ولكنه لم يكن يتجرأ على
مخاطبة أبيك في الامر ، لأن أباك كان يومئذ في جلة القائمين بنصرة على .
وسعيد كما تعلمين أموى . اى انه ممن تقموا على (على) وقاموا للمطالبة بدم
عثمان . فكان يعلم انه اذا خطبك من أبيك يومئذ قلن ينال غير الفشل : أما
بعد ان خرج أبوك على خلافة على ، ونبذ طاعته في جلة من خرجوا عليه بعد
التحكيم ، فقد حدثت سعيدا نفسه بأن يخطبك ، فكلمنى في شأنك مرارا .
ولكن أباك كان مشغولا بمحاربة على وشيعته فلم اتمكن من التوسط له . فلما
علم بقتله وقتل أخيك . واحسرتاه عليهما (وتنهدت وهى تتظاهر بمسح
دموعها) عاد الى مخاطبتى في ذلك . وقد كنت أسوفه لعلمى بحزنك الشديد ،
ولكنه لم يزل يتردد على ويستنهضنى واعدا بأن يبدل كل مرتخص وغال في
سبيل التمتع بهذا الوجه الجميل ، الى ان جاءنى اليوم وأعاد الكرة وألح كثيرا ،
فلمحت له الى انه اذا طمع في رضاك ، فلا سبيل الى ذلك سوى الانتقام لأبيك
وأخيك ، وقد آنست منه ارتياحا فاطلت الكلام معه وريحان في انتظارى ،
وهذا هو سبب غيابى عنك . فما قولك ؟ »

فلما سمعت قطام كلامها استبشرت بنيل مرامها فقالت : « وهل تريه
بنى بالمهد ، او يستطيع قتل على بن أبى طالب . انى لا أقبل مهرا اقل من
ذلك »

قالت : « أظنه يقبل ، وأرى أن أستقدمه اليك ، ونظرا الى ما أمهده فيك
من المهارة لا أشك في انه يأخذ على نفسه العهد أن يقوم بكل ما تريدينه ، ولا
سيما اذا أظهرت له ميلا ، وذكرت له أنك تحبينه ، وتغننت في أساليب الدلال
والتمنع ، مشرطة أنك لا تتزوجين منه الا بعد قتل على . فاذا عاهدك على
هذا صبرنا حتى يقتله ، فاذا لم يفعل ، او لقي حتفه ، كان دمه على رأسه
والسلام . ما قولك ؟ »

فاثرق وجه قطام وان تاحت الى هذا الراى وقالت : « لأبأس بما أشرت
به . أستقدميه لنرى ما يكون . ولكن لا تنسى أن تذكرى له انى لم أقبل بعد ،
وبالغى في وصف تمنى ، وعلى بعدئذ أن أكمل الحيلة »

فاغرقت المجوز في ضحكها وقالت : « ساعحك الله يا قطام ، الا تزالين تحسبيننى ساذجة ، وهل تجهلين أين قضيت هذه الشبية ؟ انى قضيت عمرى في مثل هذه الشؤون ، فكم زوجت من رجال ، وكم اقنعت بالزواج نساء كان قبولهن اياه ضربا من المحال . لانتخفى على ، كما انى لا اخاف عليك . » قالت ذلك ونادت ربحان فاسرع اليها . فقالت له : « هل تعرف الشاب الذى كان عندى الليلة ؟ »

قال : « نعم أعرفه » . قالت : « سر اليه ، انه ما زال في المنزل حيث رايتنا الليلة ، وقل له : (ان خالتك لبابة تدعوك اليها) . . » قال : « واذا أبى ، فماذا أقول له ؟ »

قالت : « لا أخاله يأبى ، بل سيسبقك في المجيء ، فاذهب وادعه » . قال : « سمعا وطاعة » . وخرج



كان سعيد شابا أمويا في حوالى الثلاثين من عمره ، توفى أبوه وهو طفل فكفله جده وقضى صباه وشبابه مع جده في منزل الخليفة عثمان وكانا من اخلص مريديه . فلما قتل عثمان كان سعيد وجده في مقدمة الناقمين لعثمان والمطالبين بدمه . فلما كانت موقعة الجمل كان سعيد في جلة رجال أم المؤمنين ، وظل جده مقيما بمكة لشيخوخته . فلما فشل جند أم المؤمنين وعادت الى مكة عاد هو معها وظل عند جده ولم يخرج لموقعة صفين

ولكنه كان يتردد على الكوفة ، وكان يسمع بقطام هذه وجالها ، وقد رآها مرارا وهى بالخمير ف وقعت من نفسه موقعا عظيما ولكنه لم يجرؤ على التقدم لخطبتها ، لأن أباه كان قبل تحكيم الحكمين من شيعة الإمام علي ، فلم يكن لبزواج ابنته بأموى يطالب بدم عثمان . فلما خرج الخوارج عن طاعة الإمام على بعد التحكيم ، استبشر سعيد وأمل نيل مرامه ، ولكنه لم يتمكن من السعى في طلبها الا بعد مقتل أبيها وأخيها . فجاء الى لبابة ووسطها في الامر ، فاستخدمت هذه كل دهائها في أغرائه بقتل على ، وتركت بقية الحيلة لقطام لعلمها انها لاتقل عنها دهاء ومكرا

وكان سعيد حسن الطوية قليل الاختبار ، وبخاصة فيما يتعلق بدهاء الصغار . ولكنه كان جميل الصورة ممجبا بجماله وقد أعمى غرامه بصيرته فلم يحد يرى غير قطام أو يحلم الا بها . فلما جاء المجوز في تلك الليلة وخطبها في شالها وأظهرت ما أظهرته من التمتع ازداد رغبة فيها وبذل كل ما في وسعه من الوعود في سبيل ارضائها ، وأغرى المجوز بكل ما يرضيها من المال والحلى فوعده أن تسمى في ترضيها . ومضت وتركته يتقلب على جزر الانتظار

فلما جاءه العبد يدعو إليها خفق قلبه وهول مسرعا يتعثر بأذياله
فاخترق أسواق الكوفة وهو لا يرى شيئا مما فيها لاضطرابه وتهيبه اجتماعه
بقطام منى قلبه وغاية مرامه ، فكان اذا تصور رضاها أشرق وجهه وطار
فرحاً . ثم يعترض تصويره ما آتسه في حديث العجوز من أن الفتاة تمنع ،
ويتذكر ما بدر منه من الوعد بالانتقام ، فتنبض نفسه ويضطرب لهول الموقف .
على أن هيامه كان يهون عليه كل عسر ويصور له المحال ممكناً . فخيّل إليه
أن قطام اذا رأت جماله وتحققت ما هو فيه من الوجد لالتبت أن تقع في هواه
وتغضى عن أمر الانتقام

وفي ذلك ومثله قطع طريقه ، وريحان يخطو أمامه خطواته المتباعدة لطول
سابقه ويحاول الإبطاء في مسيره لئلا يسبق سعيداً ولكنه ينسى ويعود الى
الاسراع ، فاذا تنبه الى أنه قد سبقه عاد يمشى الهوينى حتى يلحق به . كل
هذا وسعيد في شغل بأحلامه وأمانيه

ولما جاوزا المدينة ، آتسا سكوتا لا يسمع فيه إلا صوت الحصى تحت أقدامهما ،
والكوفة كثيرة الحصى والرمال ، حتى وصلا الى باب البستان ودخلا بين
النخيل ، فقال ريحان : « امهلنى يا مولاي ريثما ادخل المنزل ثم اعود اليك »
فظل سعيد يمشى بين النخيل ، وهو يتشافل برؤية ظلالها ، وبلاستماع
لتقيق الضفادع على شاطئ البحيرة ، بينما يهيم نفسه لمقابلة قطام ، فيصلح
عمامته ويمشط شاربيه ولحيته ، وينفض جيبته . ويصلح وضعها

ولما طال انتظاره قلق وحدثته نفسه بأن يستأذن في الدخول الى الدار .
وفيما هو بهم بذلك سمع حركة ومشيا ، وبعد هنيهة ظهر له نور عند الباب
وسمع ريحان يناديه ، فهورول وقلبه يخفق وربكته ترمشان رمشة الحب
والبغته ، فعثرت رجله بحبل من ألياف النخيل كان مشدودا الى جذع نخلة ،
فكاد يقع ، ثم تقدم نحو باب الدار فاستقبلته لبابة مرجحة ، ومشت أمامه
وريحان يتقدمها بالمصباح . فدخلت به حجرة قطام ، ودعته للجلوس على
وسادة وجلست هى على وسادة أخرى ، وترك ريحان المصباح هناك وخرج
وكان سعيد يتوقع أن يرى قطام هناك ، فلما لم يرها قلق ، وزاد في قلقه
سكوت لبابة عن الحديث وجودها . فقال : « مالى أراك ساكنة يا خالة ، ألم
ترسلى الى بالمجيء ؟ » . قالت : « بلى »

قال : « وأين قطام ؟ » . فتنهدت وقالت : « هى هنا فى الغرفة الأخرى ،
وسنذهب إليها بعد قليل »

قال : « أراك فى قلق . ما الذى جرى . قولى »

قالت : « لم يحدث شيء » . وتظاهرت بأنها تكتم خبراً ، فقال : « ولكنى
أراك كئيبة ، أخبرينى ، لقد نفد صبرى »

قالت : « لا تقلق يا ولدى ، ليس هناك ما يدعو الى القلق . غير انى مللت من

استعطف هذه الفتاة وترغيبها وتشويقها ، فلم أر منها الا البكاء والنحيب ولم اسمع الا قولها : (الانتقام . الانتقام) . وكل من يخاطبها في غير هذا الموضوع لا يسمع منها جوابا »

قال : « ألم تذكرى لها شيئا من حديثى معك ؟ »

قالت : « كيف لا ، اننى لو لم اذكر لها اسمك مشفوعا بوعده بالانتقام لما اجابتنى » . ثم ادنت فمها من أذنه وقالت : « ولكننى آنست من خلال تمنعها أنها ترتاح الى ذكر اسمك ، وأظنها تحبك ولكنها مأخوذة شغلها الانتقام عن الحب ، ولذلك سرت لما اخبرتها بوعده وان لم تصدق قولى كأنها تحسبني أعيت بها ، أولعها استبعدت ذلك منك أو خشيت رجوعك فيه لجهلها ما أنت مفظور عليه من الحمية وكرم الاخلاق »

قالت المعجوز ذلك بنفمة تدل على ثقتها التامة بشرف نفس سعيد وصدق وعده . ثم شغلت نفسها بالسعال ومسح آماقها مما يتحلب فيها من الدمع المتواصل من اثر الشيخوخة ، وصبرت لترى مايدور منه قبل اتمام الحديث اما هو فاثرة قولها فيه وهاج ما في قلبه فقال لها : « أننى لا ألوم قطام فانها لاتعرفنى بعد ، فهي معذورة اذا اساءت الظن بى . ولكن أين هي ؟ أرىنى اياها فأكدها وعدى فتعلم من هو سعيد » . قالت : « هي هنا »



واخذت لبابة المصباح بيدها ومشيت امام سعيد الى حجرة تجلس فيها قطام على أريكة وهي تبكى وشعرها مخلول . فلما رأت النور يقترب منها أسرعت فضمت شعرها وأرسلته الى ظهرها وغطت رأسها بنقاب أسود . ولم تكدها فعل ذلك حتى دخلت المعجوز وهي تقول : « خففى عنك يا قطام وارفقى بنفسك واشفقى على شبابك كفك بكاء ونحيبا . انهضى فسلمى على محبك سعيد .. »

فقطعت قطام كلامها قائلة : « ألم أقل لك لاتذكرى الحب والغرام بل اذكرى القتل والانتقام . انى لا احب الا الانتقام ، ومن ينتقم لى فهو الخليق بان اعطيه قلبى . ولكن ... »

فتقدم سعيد وقد أصبح بعد رؤية قطام على تلك الحال لا يرى شيئا غيرها ولا يبنى الا رضاها وقد شق عليه قولها : (ولكن) لما ينطوى عليه من ضعف ثقتها به ، فقال لها : « ألا ترضين يا قطام ان اكون انا المنتقم لك ؟ »

قالت وهي تظهر عدم الاكتراث : « لا . لا ارضى ان تعرض نفسك لهذا الامر من اجلى ، فانى اولى منك بركوب هذا المركب الخشن » . ثم رفعت يدها وأشارت بسبابتها الى صدرها وقالت بصوت تتخلله غصة البكاء : « انا

أقتل قتلة أبى وأخى بيدي . أنا أقتلهم . أنا أقتل عليا وإن كنت فتاة . ان حب الانتقام يقوينى ويشجعنى . ولا حاجة بى الى تعريض سواى لخطر القتل . انك شاب لا يهكم من أمر على شىء فكيف تتصدى لقتله من أجل غيرك ، ذلك لا يكون »

فانخدع سعيد بكلامها وحسبه صادرا عن شهامة وغيره حقيقتين ، فازداد رغبة فى الأقدام على ذلك العمل . وقال لها : « كيف تقدمين يامليحة على هذا الأمر وأنا بين يديك . لملك لا ترين فى الكفاءة . وكيف حسبت أننى لا يعينى قتل على ، ألا تعلمين ان بنى أمية يطالبونه جميعا بدم عثمان ؟ فإذا قتلتها فانى ارضى قومى فضلا عن ارضاء قطام . ان بذل النفس يسير فى سبيل ارضائك . وإذا أذنت لى ان ادعوك حببتي فكل شىء هين »

فلما تحققت قطام وقوعه فى الشرك ، أرادت أن تتمكن من عهده بصك تستكتبه آياه ، فامسكت نقابها بيدها وتظاهرت باصلاحه ، فانكشف معصمها عن الاساور والدمالج ، وبانت عيناها وقد ذبلتا من البكاء فازدادتا جلا ، ورنث اليه وتاملته كأنها ترن مقدرة على ما وعد به . أما هو فلا تسلسل عن حاله بعد تلك النظرة ، فنارت عواطفه ونظر الى العجوز كأنه يحرضها على التوسط فى الأمر . فتظاهرت لبابة بأنها تساعد فى غرضه وقالت لها : « ألم يكفك ما قاله هذا الشهم ؟ ألم أقل لك ان وعده صدق ، وفضلا عن ارضائك بقتل على فهو يرضى عشيرته وأهله أيضا . اعلمى يا قطام أنه لابد من رجل يقتل هذا الخليفة ، ومن يسبق الى قتله يكن صاحب النصيب الاوفر والاخر الاعظم »

فقطعت قطام كلام العجوز قائلة : « أنا أعلم انه مقتول لاحالة ، فان لم ييؤ من الرجال من يفعل ذلك فعلته أنا بيدي . انظرى الى هذه الحلى فى معصم وأذنى ، انى لم أنزعها ليس لأنى لم أحزن على أبى وأخى ، بل لأنى واثقة من الانتقام لهما ، ومتى أخذت بالثار فقد أحييت القتيلين فكيف أحزن ؟ . أم ما قاله سعيد فمروءة منه ، ولكن الانسان ياخالة عرضة للتردد فلعل سعيدا اذا خرج من عندنا يرى رأيا آخر ، أو ينهيب الامر فيرجع عن الوعد . فانا لا أريد أن أقيده بعهد أرى أنه ربما عاد فندم عليه . ولست أقول هذا استهانة بجراته ومروءته ، ولا استصعابا لقتل على ، فان قتله من أيسر الامور ، ولكنى أخشى ان يكون تنقيد سعيد بهذا العهد على غير رغبته »



هم سعيد بأن يجيب قطام ليؤكد لها صدق وعده ، فأوقفته العجوز عن الكلام وتظاهرت بالداغ عنه وقالت : « اسمحى لى يا قطام بكلمة أقولها لك . انت لا تعرفين سعيدا بعد ، ولكننى اعرفه واعرف صدقه ، وأنا أسالك بالنيابة عنه : هل تريد ان يكتب لك عهدا بأنه يفعل كل ما قاله لك ؟ »

فلما سمع سعيد ذكر كتابة العهد تهيب وعظم الأمر عليه ، وكأنه صباحا من سكره لحظة تبين فيها خطر الأمر ، على أنه ما لبث أن عاد الى سكرة الغرام ، ولا سيما بعد ما سمعه من كلام المعجوز الدال على ثقته به

اما قطام فكانت تنظر الى كل حركة تبدو من سعيد ، فلم يفتها ماجال في خاطره ساعته من الندم وهو يحاول التظاهر بغير ذلك . وأرادت أن تحمله على كتابة العهد فقالت للمعجوز : « أراك أقمت نفسك نائبة عنه في أمر لا تصح النيابة فيه ، ولعله غير راض به ، وفي سكرته دليل على ذلك . فدعينا من هذا الموضوع ، ولا تمرضى سعيدا للخطر وأنت تعلمين ما له من المنزلة في قلبي ، وإن أكن قلما رأيته ، فافضل أن أعرض نفسي للخطر ولا أعرضه »

فعمم ذلك القول على سعيد واثارت الحمية في راسه ، فنهض وقال لها : « اتحسبين سكوتي يا قطام عن تردد أو خوف ؟ لا وجبك ، فما أنا ممن يضمنون بالنفس في سبيل الحب ، وقد أكون ترددت في بادئ الرأي . وأما بعد أن علمت يما لي عندك من المنزلة فاني أكتب العهد ولا أرضى إلا بكتاتيه . هاتوا رقا ومدادا » . فنهضت المعجوز مسرعة لاحضار الرق والقلم ، وكانت قد أعدت كل شيء قبل مجيئه

وانتهز سعيد فرصة غيابها وأزاح مقعده وأصلحه بحيث يواجه قطام . أما هي فنظرت اليه وابتمت وقالت بصوت يتخلله الدلال : « لا تعرض نفسك للقتل يا حبيبي ، ما لنا وللصكوك إلا يكفينا القول ؟ »

فما أنس سعيد منها هذا التقرب وسمع قولها : « حبيبي » حتى أخذ ييشها حبه وغرامه وتغانيه في سبيلها ، وطابت له تلك الخطوة القصيرة وانتشى بمبادلتها آياه عواطف الحب ، واعتقد أنه أسعد انسان على وجه الأرض بفوزه بحبها له . غير عالم بأن قصدها لم يكن سوى اغرائه بقتل على ، وقد أضمزت أنه اذا فشل في مهمته فلن تأسف عليه اذا قتل . وأرادت أن يكتب الصك حتى لا يرجع عن وعده

وأدركت المعجوز أن في اباطها وسيلة لاثاحة الفرصة لقطام كي تتمكن من اغرائه ، فأبطلت لغير داع ، ثم عادت وببذها رق من جلد الماعز وقلم من القصب وقرن ابل فيه مداد أسود . فلما رآها سعيد ، ورأى الصك في يدها عاوده الخوف ، وحدثته نفسه بالرجوع عن الوعد ، ولكن الحياء والحب منعاه . ولم يخف تردده على قطام فتلافت ذلك بابتسامة ونظرة وهو يرنو اليها ويقول في نفسه : « ما أسعدني بهذا اللقاء ، وما أجل هذا الحب لولا هذه الشروط » . ولم تترك له قطام فرصة للتردد فقالت للمعجوز : « لمن اتيت بهذه الادوات يا خالة ؟ اما زلت تصرين على ان يكتب سعيد عهده ؟ لا . لا اظنه يكتبه » . وابتمت وهي ترنو اليه ، ثم قالت : « وكأنني به ندم على ما فرط منه لا عن جبن أو خوف لا سمح الله ، ولكنه رأى قطام

لا تستحق هذه العناية ، وأراه يقول في سره : (أمن أجل امرأة اقتحم مثل هذا الخطر) . » . قالت ذلك ونظرت إليه نظر المحب العاتب

فلما سمع سعيد كلامها ورأى دلالها نسي كل خطر ، ولم ير له مخرجاً من من خجله إلا بالمبادرة الى تناول الرق ، فتناوله من يد لبابة وامسك القلم وقد أخذ منه الهيام مأخذا عظيماً حتى توردت وجنتاه واحترت عيناه . فوقفت العجوز الى جانبه والمصباح في يدها ، فكتب ويده ترتعش ولكنه يتجلد لئلا يبدو ذلك لقطام فتظنه خائفاً واليك نص كتابه :

« أنا سعيد بن . . الأموى اعاهد قطام بنت شحنة على قتل على بن أبى طالب مهراً لزوجى بها ، فإذا لم أفعل لم أكن كفواً لها ، وعلى عهد الله وميثاقه
كتبه سعيد الأموى »



وما فرغ سعيد من كتابة العهد حتى دفعه الى قطام وهو فخور بما فعل ، ليرىها انه ليس جباناً كما ظنته ، ولكنه لم يكده يدفعه اليها حتى يشعر بالخطر الذى عرض نفسه له . على انه لم يتبين الخطر جيداً لما حال بينه وبين عقله من غيابة الوجد والهيام

أما قطام فتناولت الرق وقرأته المسام ، ثم نظرت الى سعيد وقالت : « يظهر أنك كتبت العهد حقيقة ، اليس عارا على قطام أن تأخذ منك صكا على عهد عاهدتها عليه في مثل هذا الموقف ، كأنك حلت كلامى على محمل الجدل ، وقد قلت لك الآن : (انى لا أبالى من يقتل عليا ، وأنه اذا لم يقتله احد فسأقتله انا) . أما وقد كتبت فانى أحفظه عندي تذكرا لهذه الليلة التى أعدها أحسن ليالى العمر . . وأرجو أن نجتمع قريباً لنيل المرام » . قالت ذلك وفي صوتها رنة الدلال

فصدق سعيد كلامها واطمان قلبه ، ولكنه علم بأنه لا ينال قطام إلا بعد قتل الامام على بن أبى طالب فعاد الأمر الى خطورته ، فانقبضت نفسه وأراد أن ينفرد بنفسه فاستأذن بالخروج . فقالت له قطام : « أمكث عندنا . . أو اذهب لعلك تهتدى الى سبيل يقرب جعنا الدائم » . قالت ذلك وابتسمت ورنّت اليه ، ثم تاوحت وودعته ، فخرج سعيد ولبابة تنسيه ، فرأيا ريحانا لا يزال ساهرا في الحديقة يطوف حول المنزل خوفاً من الرقباء والعيون

ولما خرجت لبابة بسعيد قالت له : « انى أهنتك برضاء هذه الغادة فقد نلت الليلة ما طالما تلهف عليه أهل الكوفة بل سائر أهل العراق ، ومن الغريب انها كانت مع فرط حزنها لاتنظر اليك الا وهى تبتسم . . فما أجل الحب اذا كان متبادلاً . وأما العهد الذى كتبت فليس من الاهمية فى شيء . فهب أنك

صادفت خطرا فان قطام لا ترضى أن تتعرض له . فودعها ومشى يتعثر بأذياله ، وكأنه غادر قلبه عند قطام . فلما انفرد عادت اليه هواجسه فتصور خطورة الامر الذى أقدم عليه . ولما لم يبق له حيلة في الرجوع عن عهده جعل ينتحل لنفسه أعذارا تخفف قلقه وتحسن له ارتكاب ذلك المنكر . فخبيل اليه أنه اذا قتل عليا فانه ينتقم لسائر بنى أمية ويفاخرهم جميعا بما لم يستطعه أحد منهم . فينال حظوة في عيني معاوية فضلا عن تمتعه بقطام . ولما تصور قربه منها اختلج قلبه في صدره وهان عليه كل عسر

فمشى وهو في هذه الخيالات الكاذبة حتى دخل الكوفة ومر بجامعة القائم في وسط الساحة الكبرى . وكان الجو هادئا والقمر منيرا فرأى ما يحرق بمنزل الامام على من الابنية والغيام بمن فيها من كبار بنى هاشم من شيعته . وهو يعرف منهم جماعة صناديد ليهابون الموت . فخارت قواه وكبر عليه الامر وظل في طريقه الى منزله يفكر في حيلة ينال بها ما يريد



وكان منزله في سوق من أسواق الكوفة فوصل اليه وهو يظن نفسه بعيدا عنه ، وانما نبهه جمعة جل رابض في فئائه فظنه جله وقدمهده في مأواه قبل أن يغادر المنزل . فدخل الفناء فرأى جلالا واناسا كانهم قادمون من سفر فبغت . فتقدم اليه واحد منهم ولم يكذب على عليه السلام حتى عرف انه من رجال جده أبى رحاب فذهل ولم يرد التحية وقال له : « ما وراءك يا عبد الله ما الذى جاء بك ؟ »

قال : « اننا قادمون من عند جدك مولانا أبى رحاب »

قال : « وما الذى حملكم على المجيء ؟ »

قال : « جئناك في مهمة عاجلة »

قال : « وما هي ؟ »

قال : « ان أبنا رحاب وقد شاخ ووهن عظمه بعثنا يستقدمك اليه »

فذهل وصاح قائلا : « وما الذى أصابه . أمريض هو ؟ »

قال : « مرض الشيخوخة فقط ولكنه مشتاق لرؤيتك وقد امرنا أن نسرع بالمجيء بك اليه »

قال : « وأين يكون هو الآن ؟ »

قال : « في مكة »

قال : « أذهب الى مكة ، »

قال : « ذلك ما أمرنا به فافعل مابدا لك »

فلبت مدة صامتا يفكر ثم مشى وهو يقول : « لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » . وصار عبد الله فى اثره حتى دخلا المنزل . ثم التفت سعيد وهو ينزع عباءته وقال : « لابد من امر ذى بال اقلق جدى فدعاني اليه فهل تعرفه ؟ »

قال : « لا اخاله دعاك الا ليراك قبل حلول اجله لانه شاخ وضعف وانت تعلم حبه لك وان ليس له سواك »

قال : « لاحيلة لنا فى الامر فلنبت الليلة ونصبح مسافرين » . وقضى ليلته يفكر فى قطام وسفره

ولما اصبحوا ركب سعيد ناقته وركب عبد الله ورفاقه جالهم وهموا بالمسير ، فرأى سعيد ان يودع قطام قبل السفر فاستمهل رفاقه وسار يلتمس منزلها وهو فى لباس السفر . فلما اشرف على المنزل تذكر ليلته أمس فلم يضطرب لقلقه على جده وقد خاف عليه الموت قبل وصوله اليه . فدخل المنزل فلقى ريحانا فسأله عن قطام . فقال : « انها خرجت فى امر وسوف تعود »

فقال : « الى اين ذهبت ؟ »

قال : « لا أدري »

فشغل بال سعيد لخروجها فى الصباح ، وهو لا يرى مايدعو فتاة مثلها الى الخروج ، فدبت الغيرة فى قلبه وقال : « وهل ذهبت وحدها ؟ »

قال : « مع لبابة »

قال : « اتظنها تبطىء كثيرا ؟ »

قال : « لا أدري وربما بقيت الى المساء او الى الغد اذ يخيل الى انها ذهبت الى بعض أهلها خارج الكوفة »

دار الحديث بينهما وسعيد يتردد بين ان ينتظر عودتها وبين ان يسير . وتمنى لو يعلم مكانها ليذهب اليها فيودعها ويزيل شيئا من غيرة عليها . ولو تحقق مجيئها بعد ساعة او بضع ساعات لانتظر ولكنه خاف ان يطول غيابها اياما . فتوى المسير وقال لريحان : « اقرئ قطام السلام عند رجوعها ، وأذكر لها انى شاخص الى مكة لأمر عاجل وقد جئت لوداعها فلم أجدها . وسأعود قريبا باذن الله »

وخرج الى رفاقه وساروا قاصدين الى مكة وقلبه فى الكوفة . ولم يكد يخرج منها حتى ندم على خروجه دون ان يرى قطام . ولكنه التمس عذرا لنفسه ما شغله من امر جده

أبو رحاب

وكان أبو رحاب جد سعيد شيخا طاعنا في السن . ربي سعيدا في حجره بعد موت أبيه ، وكلاهما على دعوة بني أمية في المطالبة بدم عثمان . وكان غرضهما الانتقام لعثمان لأنهما أقاما زمنا طويلا في منزله . وكان أبو رحاب على حبه لعثمان غير غافل عن أخطائه التي دعت الناس إلى اضطهاده ، وكثيرا ما حثه على الإصلاح ومصالحة المسلمين فلم يصغ له الا قليلا . وعلم أبو رحاب بعد ذلك ان جماعة من ذوى الأغراض كانوا يثنونه عن الاصغاء وبحرضونه على العدا . حتى اذا قتل عثمان كان أبو رحاب وسعيد في جلة المطالبين بدمه ، ولكنهما عندما عادا من وقعة الجمل قعد أبو رحاب عن المطالبة ، لانه تحقق ان أصحاب تلك الوقعة انما جاربوا عليا طمعا في الملك لا غيرة على عثمان

واقام لأطيس له بمكة الاسعيد . وكان سعيد ينوي الانضمام الى جند معاوية في وقعة صفين فمنعه جده . وكان أبو رحاب يعلم ان سعيدا يحب قطام حيا شديدا وأنه سباع للزواج بها . ولذا كان يأذن له في الذهاب الى الكوفة لتلك الغاية . وطال غياب سعيد هذه المرة وأحس أبو رحاب بضعفه يتزايد ، فأراد استقدامه ليتزود من رؤيته قبل موته ويوصي له بوصية لها علاقة كبرى بشؤون حياته وربما غيرت مجارى أعماله وحولته عن مقاصده وآماله . فبعث رجلا من خاصته اسمه عبد الله في وفد الى الكوفة لهذه الغاية . ولبت ينتظر رجوعهم وهو يتقلب على فراش الضعف والهزم كأنه يستمهل ملاك الموت ريثما يصل حفيده لئلا يذهب ما في نفسه ادراج الرياح وتضيع حياة سعيد عبثا

اما سعيد فانه قضى مسافة الطريق بين الكوفة ومكة وهو بين شوق الى قطام وقلق على أبي رحاب . وكان من شدة حبه لقطام يود بقاء جده حيا ليبشره برضاها وقبولها لانه طالما صرح له برغبته فيها . وكان أبو رحاب يتمناها له . وكان سعيد اذا فكر في ذلك فرح ثم يعترض فرحه أمر العهد وقتل الامام فيضطرب فيعمل نفسه لما يناله من الفخر اذا قتل عليا علاوة على استرضاء جده لانه يطفىء ما يجيش في نفسه من نار الانتقام لعثمان فيفرحه قبل موته

قضى اكثر ايام الطريق في مثل هذه الافكار لايبالي بمن حوله من الرفاق كأنه سائر وحده . ولم يكن يشغله عن ذلك ما يلاقه في طريقه من الجبال

والأودية والصحارى ، وما يمر به من الربوع والأحياء والخيام ، حتى أشرف على مكة من أكمة . فإذا هي في منبسط من الأرض تحيط بها الجبال والكعبة قائمة بين أنبيتها قيام الملك بين الأعوان . وكانت الشمس قد مالَت إلى الغروب فأسرع في مسيره يلمس منزل جده وقلبه يخفق خوفا عليه من بأس يصيبه قبل وصوله

ولم يكد يدخل مكة حتى أسدل الليل نقابه فساق ناقته يلمس المنزل قبل اشتداد الظلام ، وترك رفاقه يهتمون بشؤونهم . وكانت عادته إذا دخل مكة أن يطوف بالكعبة قبل الذهاب إلى البيت ، ولكنه سار هذه المرة تواقا إلى المنزل وهو مضطرب خوفا على حياة جده

فخرج على منعطف يؤدي إلى البيت رأى فيه أناسا عرف أنهم من الأهل والأصدقاء فحياهم وسألهم عن حال أبي رباح . فلما عرفوه طمانوه وسبقه بعضهم لبشر المريض بقدم حفيده . فلما اطمأن قلب سعيد على جده هذا روعه وترجل عن ناقته وسلمها إلى الخادم ومشى وهو بالمساءة والكوفية والسيف . فأنتهى إلى باب كبير مقفل دخل من خوخته ولم ينتظر أن يفتحه له . ومر في فناء لم ير فيه أحدا وسار تواقا إلى الحجر التي يقيم بها جده عادة وفيها مضباح منير دون سائر الحجرات . وقبل الوصول إلى الباب استقبله رجل خارج من عنده يمشى الهوينى على أصابع قدميه مخافة أن يوقظ المريض من نومه العميق . فعرفه سعيد أنه من بعض ذوي قرباه فسأله عن جده

فأجابته : « انه نائم نوما عميقا وقد مضى عليه بضعة أيام لابنام فلما أحس بالنعاس أخرج الناس من غرفته ولم يبق سواي وأوصاني ألا أوقظه إلا إذا جئت أنت »

قال : « دعنى أدخل عليه وهو نائم » : قال ذلك ونزع حذاءه ودخل الحجره يسترق الخطى . فاجتاز العتبة وأطل على حجره مضيئة بسراج على مسرجة قصيرة من الخشب الصلب فوق حافة بارزة من الحائط بجانب فراش . وكانت فتيلة السراج ثخينة يتصاعد من لهيبها سناج يتطاير فيترك في صعوده آثارا سوداء على الحائط قرب السراج ، ولو كان لون الحائط نقي البياض لظهرت آثار السناج أكثر جلاء ولكنه كان مدهونا بطين أسمر

تقدم سعيد نحو الفراش وقلبه يخفق اشتقاقا من أن يكون جده قد رقد وقادا أبديا . فمشى على حصير من سعف النخل يكسو أرض الغرفة ، عليه غطاء كالسباط مصنوع من جلد مصقول . وكانوا لما اشتد به الضعف رفعوه عن الأرض إلى مقعد مستطيل ، ظهره شبكة من نسيج الجلد ، وهى قد قدمن جلد يشدونها بين جوانب المقعد كالشبكة يجلسون عليها مباشرة أو يجعلون فوقها الفرش ، وقد توسد أبو رباح فراشا رقيقا والتحف ببرد من صوف أسود يغطيه إلى أعلى الصدر ، واستلقى على ظهره ويده مضمومتان تحت

الغطاء وعيناه مغمضتان يظللهما شعر حاجبيه فيزيدهما غورا

فلما اقترب سعيد من جده نظر الى صدره فرآه يتنفس تنفسا هادئا فهذا اضطرابه وسكن بلباله ولبث واقفا يتأمل في مظاهر الهرم . فذكر ان جده كان من كبار الهامة طولا وعرضا ، ولكنه أصبح هيكلا من عظام مكسوا بالجلد . اما وجهه فلم يكن ظاهرا منه الا الانف والجبهة وما بقى منه كان مغطى بالشعر الابيض الناصع . وازداد منظره رهبة حينئذ لضعف النور حتى خيل الى سعيد لما أشرف على فراش جده أن رأسه كتلة من القطن المندوف بتخللها نيات مظلمة هي الانف والوجنتان والجبهة ، واما ما خلا ذلك فقد غطته اللحية والشاربان والحاجبان ، واستطالت لحيته وانبطت حتى غطت عنقه وصدره ولكنها كانت قليلة الشعر تشف عن عنق دقيق مستطيل بانث عضلاته وفي مقدمتها القصبة وقد برزت بروزا عظيما اما الرأس فقد كان حليقا او لعله اصلع

وكان شيخنا الراقد قد دله قلبه على مجيء حفيده فتحرك وتلملم ثم فتح عينيه البراقطين وأجال نظره في جوانب الغرفة فوقع على سعيد فتبسم . فلما رآه سعيد قد استيقظ جثا أمام فراشه وهم بتقبيل يديه . فرفع أبو رحاب ذراعيه وضم سعيدا الى صدره وطفق يستنشق رائحة عنقه وخديه بلهفة وسعيد يطاوعه على كل حركة يريد بها . فأطال أبو رحاب عناقه وسعيد صابر حتى أحس بماء ساخن يتحدر على خده علم أنها دموع سخينة ولكنه لم يدر أدموع الحزن هي أم دموع الفرح . على أنه خاف عليه فاستأذنه ونهض عن صدره فرآه يحاول الجلوس فأعانه بيديه ونظر اليه وهو جالس فذهل لشدة ضعفه حتى تخيله قفصا من عظام

وأخذ أبو رحاب يصلح لحيته وشاربيه ويمسح عينيه . ثم مد يده الى سعيد فعلم هذا أنه يريد يده فأعطاه إياها ، فأمسكها بيديه فأحس سعيد كأنها أصابع من حديد ليس أنامله وجفاف جلدها وبرودتها ، وشعر برعشة رعشا متواصلا مما أنتابه من الضعف الشديد



وما زال سعيد يشاهد في جده الضعف الشديد حتى سمع صوته فإذا هو كما بهمهده جهوري رنان . فاستأنس به واطمان لسماعه . وأول كلمة سمعها منه قوله : « الحمد لله على مجيئك سالما . لقد أطلت الغيبة يا ولدي » قال : « لقد جئتكم مسرعا حالما علمت برغبتك في ذلك ؟ كيف أنت الآن وبماذا تشعر يا جدي ؟ »

قال : « كنت أحسبني على شفا الموت ولكنني لما رأيتك وأمسكت يدك شعرت برجوع قواي . فانا الآن كما تعرفني من عشر سنوات وكان الله شدد عزيمتي ليتمكنني من تزويدك بنصيحة هي آخر ما أتلظ به في الحياة »
قال : « اني اشتاق لنصحك كل حين وارجو أن يمد الله في أحلك لتشهد زواجي بقطام » . ثم التفت يمنة ويسرة لئلا يسمعه أحد فرأى المكان خاليا فقال بصوت منخفض : « وتفرح بما يسبق ذلك من الانتقام الذي طالما تأقت نفسك اليه »

فنظر الشيخ اليه بعينين رأى سعيد بريقهما من خلال الحاجبين ، وكان قوس الشبخوخة واضحا حولهما ، ثم سمع جده يقول : « أما زواجك بقطام فقد فهمته وسرني بلوغك مرامك وأما الانتقام فلم أفهم علاقته بها »

فتبسم وقال : « الا تذكر يا جداه ما قمنا به منذ اعوام وقام به كل بنى أمية من المطالبة بدم الخليفة المقتول ظلما . وهل جرؤ أحد على الانتقام بقتل القاتل ليخلو لنا الجو ؟ »

فقطب الشيخ جبينه كأنه غضب وقال : « من هو القاتل ومن سيقتله ؟ »
فأدنى سعيد شفثيه من أذن جده وقال : « ان القاتل على بن ابي طالب وأنا سأقاتله ، وفي ذلك مافيه من الفخر والفضل ، وأتمنى أن يمد الله في بقائك ليتم الأمر تحت جناحك »

ولم يصبر الشيخ على سماع بقية الحديث لعظم اضطرابه وحنقه ، وعرف سعيد حنقه مما رآه من ارتعاش يديه واختلاج شفثيه واهتزاز لحيته . ولا تسئل عن دهشة سعيد لما سمع جده يقطع عليه الكلام قائلا بصوت عنيف : « لا لا لا . لا يا سعيد . . . لا تقتلوا البريء »

فذهل وظن ان جده لم يفهم كلامه فقال له : « تمهل يا جداه ، اى برىء تعنى ؟ انى سأنتقم من على بن ابي طالب ، فكيف تقول انه برىء وأنت أول من دعا الى مطالبته بدم عثمان . يظهر أنك أخطأت مرادى »

قال : « كلا انى لم أخطىء مرادك فلا تخطىء أنت مرادى . ان عليا برىء . . . انه برىء مما اتهمناه به . انه لم يقتل عثمان ولا مالا على قتله ولا أراد سوءا بالمسلمين ، ولا ارتكب أمرا يستوجب نقمة »

فوقف سعيد وهو يحسب نفسه في منام لعلمه أن جده كان من أوائل الناقمين على على فكيف انقلب الى الضد . فتبادر الى ذهنه ان جده قد خرف

وأدرك أبو رحاب ما جال في خاطره فقال له : « لا يخالج ذهنك شك في صحة

عقلي فاني انما اقول ما اقول عن روية وصدق نظر، ولم استقدمك من العراق
الا لهذه الغاية . ولا اقول ذلك جزافا بل اثبته بالبرهان »

ولبت سعيد مذهولا مستغربا لكنه صبر وقال : « وما الذي دعاك الى هذا
التغير العظيم . كيف يكون ذلك ؟ وكيف يكون على بريثا من دم عثمان ؟ بل
كيف تعترف انت ببراءته . وقد كنت من أوائل متهميه ؟ »

فأشار الشيخ بيده الى سعيد أن يجلس ويهدى روعه ويصبر ثم قال :
« اما ما دعاني الى ذلك فهاتف سمعته يقول ويكرر القول : (ان عليا بريء
وانما يتهمه اهل الطامع وذوو الاغراض) . وكنت كيفما توجهت اسمع هذا
الصوت يرن في اذني حتى اقلق راحتي . فبحثت عن الامر بنفسى وتدبرت
ما أعلمه من تاريخ علي وعثمان وغيرهما من القائمين بهذه الفتنة ، فوجدت
معاوية وسائر بني أمية على ضلال ، بل هم اهل اغراض اتخذوا مقتل الخليفة
المظلوم ذريعة للحصول عليها »

وقطب حاجبيه وقد أبرقت عيناه من خلال قوس الاشياخ حول حديقته
وبان الجذ في لهجته ، فظل سعيد صامتا لا يبدى حراكا لما استولى عليه من
الدهشة



على خير من معاوية

ثم أجال الشيخ يده في لحيته وأصلح شعر حاجبيه وشاربيه والتفت الى سعيد وقال : « يزعم معاوية وأصحابه أنهم انما جردوا السيوف وسفكوا الدماء للمطالبة بدم عثمان كأنهم لم يكونوا يستطيعون الذب عنه قبل قتله . ولقد يضحكني مطالبة عمرو بن العاص بدم عثمان ، وهو أول من أراد قتله وسعى في ذلك حتى افتخر بأنه قتله وهو في فلسطين . فقد علمت أنه لما بلغه مقتل عثمان وهو في وادي السباع قال : (أنا قتلته وأنا في وادي السباع) يعني أنه سعى في قتله من بعد . فلا يفرنك بعد ذلك مجيئه هو وأبنؤه ماشين الى دمشق ليكون ويقولون : (واعثماناه !) نعى الحياء والدين) . أنهم انما فعلوا ذلك حيلة للانضمام الى معاوية ... »

« وأما معاوية وسائر بني أمية ، فهل تحسبهم شرعوا الأسنة واقتلوا الفتنة مطالبة بدم ذلك الخليفة المقتول ؟ . اذا كانوا فعلوا ذلك غيرة وحنانا فما بالهم لم يدافعوا عنه وهو محصور يستنجدهم من المدينة الى الشام ؟ وهب أنهم تأخروا عن نجده كرها كما يزعمون فما بالهم نسوه ونسوا أولاده . واذا كانوا يؤمنون بأنه قتل ظلما وأنهم انما قاموا للمطالبة بدمه ، فلماذا لم يولوا الخلافة ولدا من أولاده ؟ أرايت كيف اتخذوا اسم هذا الخليفة ودمه ذريعة الى السلطان ؟ »

« وهكذا فعل أيضا طلحة والزبير ، فقد قتل عثمان وهما في المدينة على قيد أذرع منه ، فلو أرادا بقاءه لم يعجزهما الدفاع ولكنهم سكتوا عن قتله حتى اذا راوا الخلافة افضت الى علي ، تظاهروا بالدفاع عن عثمان وقالوا : (انه قتل ظلما) .. »

وكان الشيخ يتكلم محاولا خفض صوته فلا يطاوعه التهيج فلا يلبث حتى يرتفع صوته تتخلله غصات وارتجاج . وأما سعيد فكان يسمع كلام جده وهو مطرق لا يستطيع النظر الى وجهه تهيبا واحتراما . فلما وصل أبو رحاب الى هذا الحد سكت برهة تشاغل فيها بمسح فمه وشاربيه من نفثات ريقه لأن الهرم أخلى فكيه من الأسنان ، فانتهاز سعيد تلك الفرصة وقال له : « كيف تحسب عمل هؤلاء طمعا في الخلافة ولا تحسب عمل علي مثل عملهم . وقد كانوا جميعا في المدينة ؟ وكيف اذا قتل الخليفة تكون البيعة لواحد منهم »

والباقون ينتظرون ؟ . لماذا لا تحسب ذلك طمعا من على ؟ »

فضحك الشيخ ضحكة اغتصابية أو هي قهقهة تشبه الضحك لعظم ما قام في نفسه وهو في آخر يوم من أيام الدنيا ، وأول يوم من أيام الآخرة . وقبل أن يتم قهقهته حول وجهه الى سعيد وقال : « أتسألني عن خلافة على وقد كان الأولى بي أن أسألك نفسي ما الذي أعماني عن حقه فيها من أول الامر ؟ صدق القائل أن المغيرض يعمى ويصم . . . ان الخلافة لم تكن لأحد من الصحابة قبل هذا وهو ابن عم الرسول (صلعم) وصهره زوج ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين . وهو أول الناس اسلاما بعد خديجة ، وزد على ذلك ان الرسول (صلعم) ربي في حجر ابي طالب والد على . وقد كفله ودافع عنه في بدء الدعوة . وكانت قريش تكره دعوته حتى كثيرا ما هموا بايدائه وابوطالب يمنهم بماله من المنزلة الرفيعة عندهم . فلما ولد على وربي في حجر الرسول (صلعم) وأسلم وهو في العاشرة من عمره وذبح عن الاسلام بقلبه ويده ولسانه . ولا أنسى يوم الهجرة يوم تأمرت قريش على ابداء الرسول (صلعم) في مكة فاعتزم الهجرة ، وكيف إن عليا أقام مقامه في منزله فتسجى ببردته ويات على فراشه وعرض نفسه لخطر القتل ونجاه الله . هذا عدا حروبه في الفزوات والسرايا ، فقد شهد معظم المواقع وأشهرها ، وبذل نفسه في الذب عن الاسلام يوم كان معاوية وابوه واخوته في مكة من الداء اعداء الاسلام . ولم يسلموا الا بعد فتح مكة أي بعد قنوطهم من النصر »



كان أبو رحاب يتكلم والعرق يتصبب من جبينه كأنه أتى عملا شاقا يجهد نفسه فيه ، وسعيد صامت مطرق لا يزل في دهشته واستغرابه حتى كاد يغيب عن صوابه . ولم يجرؤ على كلام . وطال سكوت جده فهم بسؤاله فراه يتحفر للكلام فسكت وأصغى . فقال أبو رحاب : « أراك دهشت لما سمعته كأنك لم تعلمه قبلا ، ولا الوملك اذا علمته وتجاهلته فاني اكبر منك سنا وأعلم منك في هذه الشؤون وقد أعماني الغرض ، وكأنني بعد ذاك الهاتف قد فتحت عيناي وصرت أنظر الى الحقيقة كما هي . . . »

« نعم ان عليا أولى منهم جميعا بالخلافة ، والرسول (صلعم) فضله عليهم جميعا وأخاه دون سواه فقال له على مسمع من الصحابة : (انت أخي في الدنيا والآخرة) . وخاطبه مرة وقال : (لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا كافر) . ولقد تستغرب ما سألتوه عليك وتعجب كيف لم يتول الخلافة قبل الآن . ولا سيما بعد قول الرسول : (ان عليا مني وأنا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدي) وقوله (صلعم) : (من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاد من

عاداه) . فمن يعلم ذلك ويعجب لخلافته ؟ بل كيف لا يعجب لتقاعده عن الخلافة الى الآن ؟ »

وكان سعيد مطرقا وقد تغيرت سحنته وتولته الدهشة حتى ظن نفسه في منام ، وندم على مجيئه لانه أصبح بعد سماع ذلك الكلام حجرا بين مطرقتين لا يدري ايقوم بعهدة لقطام التي ملكت ليه أم يعمل بوصية جده وهو في آخر أيام الدنيا . فظل صامتا لا يبدى حراكا . وأدرك جده ازيأكه ولكنه تجاهل ما يجول في خاطره وعمد الى اتمام الحديث فقال :

« فأنت ترى يا ولدي أن عليا أولى بالخلافة من سائر الصحابة لقربته وصهره ووصية الرسول له ، ثم هو يمتاز عن سائر الناس بفضائل تكفي وحدها لتوليته أمور المسلمين ، ولا أرى في معاوية شيئا منها . أن عليا رجل متقشف زاهد في الدنيا ، وأيته مرة أنزل سيفه في السورق فباعه ، فسئل لماذا فعل ذلك ، فقال : (لو كان عندي أربعة دراهم ثمن أزار لم أبعه) . ويكفي قوله في وصف المؤمنين : (ومن سيماهم أن يكونوا خصم البطون من الطوى . يس الشفاه من الظما . عمش العيون من البكا) . ولو فتشت بيته اليوم ما وجدت فيه صفراء ولا بيضاء . وقد قضى عمره في اعزاز الاسلام وفتح الفتوحات ، ولم يلبس ثوبا جديدا ولا اقتنى ضيعة ولا ربا . ومن كان في مقامه يقدر على حشد الاموال واقتناء العبيد والاماء والضياع كما فعل غيره من الصحابة كطلحة والزبير وعثمان ، وصاحبنا وابن عمار معاوية . . . »



ثم سكت الشيخ وتنهَّد تنهدا عميقا وقال وصوته يعلو بالرغم منه : « ان معاوية خدعنا بتظاهره بنصرة الخليفة المقتول حتى كرهنا الامام عليا ، وقد كنا في ظلمات من الغرض لا نرى الحق ، واما الآن وقد انقشع الغشا عن عيني فقد أصبحت ناقما على معاوية ، واذا فكرت في أعماله وأعمال على كدت أتميز غيظا ويتفطر قلبي أسفا على ما نال هذا الامام من الأذى . كيف لا وهو رجل عرفناه يوم انتصر علينا في وقعة الجمل ، فقد أشفق على عدوه أشفاقه على اولاده فأوصى أصحابه بالا يلحقوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يمسوا النساء ولا الاولاد بسوء . وكم أوصى عماله أن يقسطوا في أحكامهم وقد أخبرني رجل أنه سمعه يوصي أحد عماله ويقول : (لا تضرب رجلا في جباية درهم ، ولا تبعن رزقا ولا كسوة شتاء ولا صيف ، ولا دابة يعتمدون عليها . ولا تقيم رجلا قائما في طلب درهم) . ولو اردت أن أسرد لك من هذه الامثلة لضاق بي المقام وقد ينقضي أجلي قبل الفراغ منها وأنا انما استمهل ملاك الموف ريثما اتم وصيتي . . فاصغ لي نا ولدي ، تأمل عدل الامام على وحلمه

وما ارتكبه معاوية وعماله من الاعتداء على المسلمين . وخوفا من التطويل وقد تعبت من الكلام ، أذكر لك حادثة قريبة العهد لا يزال صداها يرن في الأذان .. آه .. آه من القساة أهل المطامع . . اتعرف عبيد الله بن عباس؟
قال : « كيف لا أعرفه وهو ابن عم الرسول (صلعم) وابن عم على بن أبي طالب . نعم أعرفه »

قال : « اصغ لما أقصه عليك واعتبر . لما فرغ معاوية من وقعة صفين وتحكيم الحكيم وظفر بالخلافة بحيلة عمرو بن العاص المعلومة ، بايعه أهل الشام وظل على في العراق . ولم يقنع معاوية بما أوتيته من الحكم فبعث سراياه إلى الحجاز والعراق للفتح يدعون إلى بيعته ونقض البيعة على . وكان رسوله إلى الحجاز واليمن بسر بن أرطاة ، فجاء المدينة وتولاها لأن عاملها فر من وجهه . ثم جاء مكة هذه منذ شهرين ولا يزال الناس يتحدثون بفرار صاحبها أبي موسى الأشعري من وجهه . فأكفه أهلها على البيعة فبايعه أهل مكة مكرهين ، وقد كنت مريضا ولم أر وجهه . على أن عمله هذا لا يستوجب ملاما . ولكنه سار إلى اليمن وعاملها عبيد الله بن عباس . فخافه عبيد الله فهرب إلى الكوفة واستخلف عبد الله بن عبد المدان ، فلم يكن من بسر بعد دخوله اليمن إلا أنه أمر بعبد الله هذا فقتله وقتل ابنه صبزا . وسمع بابنين صغيرين لعبيد الله بن عباس قد أودعهما عند رجل من كنانة بالبادية ، فأراد قتلهما وبعث في طلبهما فجاء الكناني ومعه الطفلان فلما علم أن بسرا يريد قتلهما ذعر وصاح قائلا : لم تقتل هذين ولا ذنب لهما فإن كنت قاتلتهما فاقتلني معهما . فلم يكن من ذلك الظالم إلا أنه قتل الطفلين والكناني . وعلمت أن الكناني دافع عنهما حتى قتل . ولقد أعجبني قول امرأة من كنانة رأت ابن أرطاة مارا بعد تلك الفاجعة فقالت له : (يا هذا قتل الرجال فعلام تقتل هذين . والله ما كانوا يقتلون الأطفال في الجاهلية ولا في الإسلام . والله يا ابن أرطاة ان سلطانا لا يقوم إلا بقتل الصبي الصغير والشيخ الكبير ، ونزع الرحمة وعقوق الأرحام ، لسلطان سوء)

« هذه يا ولدي أعمال معاوية وعماله ، فأين هي من أعمال الإمام علي؟ وكيف تنقم عليه بعد ذلك ، وتقول أنه قتل عثمان وأنه يستوجب القتل ؟ »



ولم يتم الشيخ كلامه حتى خارت قواه وعجز عن اتمام الكلام ومل القعود فاستلقى على ظهره وهو يلهث والعرق يتصبب من جبينه ، فخاف سعيد عليه فأسرع إلى منديل مسح به عرقه وأتاه بلبن كانوا أعدوه له فشربه واستلقى بلمس الراحة ، وسعيد جالس إلى جانبه وقد وقع في حيرة إلى حيرة . فذكر

عهده لقطاع ولبت صامتا . وكان جده الشيخ ملتفت اليه مخلصا يرقب حركاته وسكناته . فأدرك ارتباطه وعلم انه يفكر في قطاع وأهلها فنحول وجهه اليه وهو مستلق وقال : « أظنك تفكر في قطاع وأهلها الخوارج ، وقد يخيل اليك ان يخرجوهم من طاعة علي قد يطعن في صدق ماقلته لك ، ولكنهم لم يخرجوا الا طمعا في الدنيا فانتحلوا سببا لا يسمعه عاقل الا هزا بهم وأيقن جورهم . خلعوا طاعة علي لانه قبل التحكيم ، وما ذنبه وهم الذين أجبروه على قبوله ؟ وهب انه اخطأ فهل يخرجون عليه ويحاربونه ؟ . ولكنهم رأوا معاوية قام في الشام وكاد يفوز بالخلافة فطمعوا هم في الحكومة لأنفسهم فاجمعوا على نقض البيعة ، ويؤيد ذلك أنهم ولوا عليهم رئيسا منهم وبإيعوه ولكنهم فشلوا في حروبهم وعادت العائدة عليهم

» وليس فشلهم بالدليل الوحيد على سوء نياتهم ، ولكنني اتلو عليك حكاية سمعتها من رجل اثق بصديق روايته هي أن الخوارج عند أول خروجهم على علي بعد رجوعهم من صفين ، نزلوا عند النهروان فرأوا رجلا يسوق حمارا عليه امرأة ، فدعوه فانتهروه فافزعوه وقالوا له : (من انت؟) . قال : أنا عبدالله بن خباب صاحب رسول الله (صلم) . فقالوا له : أفزعناك ؟ قال : نعم . قالوا لاروع عليك حدثنا عن اييك حديثا سمعه من رسول الله . فحدثهم بحديث (انه تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيه بدنه يمسي فيها مؤمنا ويصبح كافرا ويمسي مؤمنا) . قالوا مال هذا الحديث سالتك فما تقول في ابن بكر وعمر و . خائني عليهما خيرا . قالوا : فما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها . قال انه محق في أولها وفي آخرها . قالوا : فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده قال انه أعلم بالله منكم وأشد توقيا على دينه وانفذ بصيرة . فقالوا : انك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لاعلى أفعالها ، والله لنقتلنك قتلة ماقتلناها احدا . فأخذوه وكنفوه ثم اقبلوا به وبامراته وهي حبل ، حتى نزلوا تحت نخل مواقعر فسقطت منه رطبة فأخذها احدهم فتركمها في فيه ، فقال آخر : أخذتها بغير حلها وبغير ثمن فألقاها ، ثم مر بهم خنزير لأهل الدمة فضربه احدهم بسيفه فقالوا هذا فساد في الارض ، فلقى صاحب الخنزير فأرضاه . فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال : لئن كنتم صادقين فيما ارى فمألى منكم من بأس اني مسلم ما أحدثت في الاسلام حدثا ولقد امنتموني وقتلتم لا روع عليك . فأضجعوه فذبحوه فسال دمه في الماء وأقبلوا الى المرأة فقالت : اني امرأة الا تتقون الله ؟ . فمقروا بطنها . هذه أعمال اعداء على وهذا هو على فكيف تنقم عليه وكيف تقتله او تسعى في قتله ؟ بل كيف نسكت عن قتله ولا تدفع عنه ؟ »



فلما رأى سعيد نهاية حديث جده لم يعد يذكر العهد الذي كتبه على نفسه

بقتل على لئلا يزيد غضبه . فظل ساكنا يفكر في حيلة ينجو بها من وعده
بالتى هى احسن ، فلم يسعه ذهنه واحس بالتعب الشديد ، وراى ابا رحاب
قد تعب ايضا . فقال له : « لقد اتعبت نفسك باجداه وانت توصينى فشكرا
على رعايتك ، واني ارى قولك للصواب واطلب اليه تعالى ان يقدرنى على العمل
به ، فاسترح الليلة وغدا نصبح ان شاء الله وقد ارتحنا فنستأنف الكلام » .
قال ذلك واكب على يده فقبلها فراها قد بردت وييست . فقال له جده :
« نم هنيئا يا ولدى فاني اخشى الا يصبح على الصباح فلا بد من كلمة اقولها
وهى ختام ما اوصيك به » . قال ذلك ومد يده فدنا سعيد اليه فعانقه وبكى
ثم قال والدمع ملء عينيه وشفتاه ترتجفان وذقنه تهتز : « اذا شئت
يا ولدى ان يفارق جددك الدنيا آمننا مطمئنا فعاهده بان تعمل بما اوصاك .
لاتبع سوءا للامام على واذا رايت سبيلا للدفاع فادفع عنه بكل قوتك . هل
تعاهدنى على ذلك ؟ . . عاهدنى عليه . واجبر قلبى واذكر انى جددك وكافلك
ووصيك وانى ربيتك وتعهدتك وانى لا اريد لك الا الخير . هل تعاهدنى على
ذلك ؟ قل نعم واجبر قلبى انى قلق عليك . . »

فتائر سعيد من كلام جده حتى اغرورقت عيناه بالدموع وتذكر حنوه
وعطفه عليه فلم يسعه الا الايجاب فعاهده

ولكنه لم يكذب فعاهده حتى ذكر عهده لقطاع على عكس ذلك فعظم عليه الامر .
ورأى جده يميل الى الرقاد فدعا الرجل الموكل به وامره ان يتعهده فى أثناء
رقاده وخرج الى غرفة اخرى ونزع ثيابه والتمس الراحة . اما الرقاد فلم
يكن له فيه مطعم بعد ما انتابه من شتى الهواجس

لم يهدأ لسعيد بال ، وازداد الامر خطورة لديه ، وهاله انه رمى نفسه بين
عهدين متناقضين . فكان كلما تصور نكوله من قتل الامام على شعر براحة
بال واطمئنان ، ثم يعاوده طيف قطاع وبعدها فترتعد فرائضه ويحار فى امره



وبقى على هذه الحال حتى انتصف الليل لا يغمض له جفن ولا يستقر له
قرار . فنهض من فراشه وتزمل ببرده وعباءته وتعمم وخرج الى الخلاء .
وكان الظلام مخيما ورقد الناس وليس فى طرق مكة سائر فخفف السكون من
اضطرابه ، وسار على غير هدى يفكر فيما هو فيه الى ان شعر بالبرد فالتفت
بالعباءة وظل ماشيا يبطئ ثارة ويسرع اخرى حتى رأى نفسه على باب
المسجد الحرام فسرى عنه . فقال فى نفسه : « لادخل المسجد اصرى ركعتين
لعل الله يوحى الى بما يخفف اضطرابى » . وكان الباب مفتوحا وصحن المسجد
خاليا فتأبط تعليه ودخل حتى دنا من الكعبة فصلى وسجد فاحس لساعته

براحة فطاف حول الكعبة ثم التمس مكانا وراءها فاتكا وعادت اليه هو اجنسه .
فأجال بصره يراقب النجوم السابحة في الفضاء واخذ بجبال القبة الزرقاء
وافكاره تائهة واشتد البرد عليه فأدخل راسه في العباءة يجعلها خارا . وكان
التعب والبرد تغلبا عليه فخذل واستولى عليه النعاس . ولكنه لم يكد بغمض
لحظة حتى ابتدرته الاحلام فرأى قطام بجلباب أسود وقد أسفرت عن محياها
فبدت عينها المكحولتان وأخذت تمشي نحوه حافية القدمين على بساط من
ريش النعام الابيض . فحقق قلبه لرؤيتها وهم بالسلام عليها فرأها أعرضت
أعراض العائب وعينها تتلألأ بالدموع ، فتفطر قلبه لرؤيتها على هذه الحال
وساء أعراضها ، فهم بالاقبال عليها فلم تسعه رجلاه لما تولاهما من الرعدة
فناداها فلم تجبه وظلت معرضة وقد تحولت عنه ومشت تنظر اليه شذرا
ولسان حالها يقول : « لقد خنت عهدي فما أنت أهل لي »

وحاول سعيد اللحاق بها ليخبرها ببقائه على العزم فلم يستطع ، ولما
ابتعدت عنه هم بان يسادها فافاق من رقاده فإذا هو وحده بجانب جدار
الكعبة والظلام محقق به

فمسح عينيه ليتبين إني يقظة هو أم في منام ، ولما تحقق انه كان حالما حد
الله ولكنه ايقن انه اذا لقي قطام فلن يرى منها غير الامراض

فمكث صامتا تتقاذفه الهوم وهو لا يهتدى الى حل مقنع ، فنهض راجعا
الى المنزل ليرى ماذا حدث لجده . واشتاق ان يأوى الى فراشه بعدما اغناه
التعب والبرد . ولم يكد يتلو سورة الفاتحة عندمودة حتى سمع لفظا خافنا
كان اناسا يتسارون . وكان قد وصل الى مقام ابراهيم امام الكعبة فوقف
واصاخ بسمعه فسمع خطوات بطيئة تقترب من الكعبة وهمسا يتكرر كان
القادمين يتشاورون في امر خطير . فانزوى وراء المقام في مكان لا ينتبه اليه
أحد في الظلام ، وكان لا يرى الا الكعبة وما حولها



١٧ رمضان

وبينما كان سعيد واقفا في مكانه اذ رأى ثلاثة رجال لم يعرف احدا منهم ولكنه عرف من قيافتهم انهم غرباء ولم يتمكن من تمييز ألوانهم ولا سحنهم وقد لفوا رؤوسهم بالعمائم لفا كالخمار أما اتقاء للبرد وأما تنكرا

فمجب لأمهم وخفق قلبه خوفا من انكشاف مخبئه وخذرا من ان يكوبوا قد استخفوا ليكيدوا لاحد فاذا علموا به وبافتضح سره قتلوه ، فبالغ في انزوائه لا يأتى بحركة وخشى ان يداهم العطس فيفضح أمره . أما هم فوصلوا الى باب الكعبة واقتربوا من سعيد بحيث يراهم جميعا فلو كان القمر طالعا او كان هناك مصباح لتبين سحنهم جيدا ولكنه لم يستطع أن يتبينهم لسواد الليل . على أنه لمح من بادي أحوالهم وحركاتهم أنهم في أمر ذي بال ، وكان احدهم طويل القامة وهو اكثرهم حركة فجلس رفقا به الاربعاء وظل هو واقفا ثم جلس القرفصاء وقال : « مالنا ولهؤلاء انهم جنباء ، تعالوا نبدا نحن بالامر فيكون لنا الفخر »

قال الثاني وكان قصير القامة ممتلىء الجسم : « انا على رأيك فانه لم ينلنا من الائمة الا الضرر . يتنازعون على الخلافة فيقتتل المسلمون في نصرتهم فاذا قتلناهم رقدت الفتنه . نعم نقتلهم جميعا » . قال ذلك بصوت خافت وفي نطقه لجلجة وكان يلتفت يمنة ويسرة لئلا يسمعه احد

فقال الرفيق الثالث وكان لا يزال ساكنا : « انى لا اذكر يوم النهروان ومن قتل فيه من الابطال حتى يقطر قلبي دما . ان علينا قتلهم لانهم لم يرضوا بالتحكيم »

فابتدريه طويلهم وكان أجراهم كلاما واعلاهم صوتا على عكس رفيقيه فقال : « لا يجدنا التذمر والتضجر ونحن سكوت نرى أبناءنا واخوتنا يقتلون في نصرة هؤلاء الائمة ولا نبدي حراكا . هلم تكف المسلمين شرهم »

فلما سمع سعيد حديثهم علم انهم يتآمرون على قتل جماعة من الائمة ، وان الامام عليا واحد منهم ، ولم يعلم من هم الآخرون . فجعل يرتعد فرقا وخوفا من ان يتكشف مكانه ولكن حب الاستطلاع جعله يقدم على علم ما هم فيه ، فبينما هو ينزوي ليختبئ ويتمنى على السحب ان تشتبك مع الظلام في حجبه عن العيون اذا به راغب في كشف ما يبيتون

وسكت صاحباً الرجل الطويل الجريء بعد أن انتهى من كلامه . فلما رأى صمتهما ابتدرهما قائلاً : « وماذا علينا لومتنا ؟ حبسنا الموت في سبيل انقاذ المسلمين من فتنة يقتتلون فيها . وأصل الفتنة ثلاثة يتنازعون على الخلافة وسلطان الدنيا وهم على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وعمر بن العاص . هلم بنا نقتلهم نرح الناس منهم »

فقال الثانى : « انى على رايك من أول الامر فكيف السبيل الى قتلهم وهم محاطون بالجند والاعوان فلنفكر في وسيلة تضمن لنا الفوز ونأمن بها الخطر »

فأسرع الأول في جوابه وقال : « أراك تتردد كأنك تخاف هول الموقف أو كأنك تمنى أن يكون نصيبك قتل امام يرهبك . تعالوا نقسم العمل فيما بيننا . تعالوا نقسم ليقتل كل واحدنا واحداً من أولئك الثلاثة ، ونعين يوماً نباشر العمل فيه معاً ، فيكون احدهنا في الكوفة لقتل على ، وآخر في مصر لقتل عمرو ، والثالث في الشام لقتل معاوية . وهكذا يقتل كل ما صاحبه في ذلك اليوم فيصبح المسلمون وقد نجوا من اسباب الفتنة ، فيختارون خليفة يولونه أمورهم وترجع الخلافة الى بساطتها »

فلما سمع سعيد ذلك تهيب الامر واستعظمه ولم يصدق أنهم يستطيعونه وبدأ له أن يقتل على يمهده له وضاء قطام وإن لم يكن قتله على يده ، ولكنه تذكر كلام جده وما أوصاه به من الدفاع عن على لبرأته مما ينسبونه اليه فانقضت نفسه ولكنه أفاق من اضطرابه عندما عاد المتآمرون الى الكلام . فلما فرغ أولهم من كلامه ولم ير اقبالاً عليه من رفيقيه لم يصبر حتى يسمع ما يقولان وانطلق يقول : « لا تردوا ولا يهولنكما الامر فهو أسهل ما يكون على ذى جراحة . وكأني بكما تفكران في قسمة العمل وتخافان أن يكون نصيب احدهنا أصعب مراساً من نصيب الآخر ، فلا تخافا فاني آخذ على عاتقي قتل أكبر هؤلاء الثلاثة وأشجعهم . أنا أقتل علياً بن أبى طالب ، فاني وإن يكن مقامي بالفسطاط فاني آتى الكوفة فاقتله » . قال ذلك وأقبل حتى دنا من باب الكعبة وأمسك بحلقته وقال : « ها انذا أمسكت بحلقة الكعبة وأقسم بالله وبهذا البيت الحرام لاقتلن علياً بن أبى طالب وأبدل في هذا السبيل ما في وسعى وأشهد الله على ذلك »

فلما فعل ذلك نهض رفيقاه متحمسين فأمسك كل منهما بحلقة الباب وأقسم احدهما ليقتلن معاوية بن أبى سفيان ، والآخر ليقتلن عمراً بن العاص ولا تسئل عن سعيد عندما شهد هذا العهد الخطير وقد تمنى لو عرف المتآمرين ولكنه لم ير سبيلاً الى ذلك . ولكنه فهم من سياق الحديث ان الذى آلى على قتل الامام على من أهل فسطاط مصر

ثم عاد الثلاثة الى مجلسهم فقال احدهم وهو السخين القصير : « لقد تعاهدنا

على قتل هؤلاء الأئمة ولكننا لم نعين اليوم الذى نفعل فيه ذلك فان لم نعينه فشلنا جميعا »

فقال الثالث : « وهذا ما أراه أنا أيضا لأننا ان لم نعين اليوم كان الحال واسعا ، ونخشى ان سبق احدنا الآخر ولم ينجح او قتل او قبض عليه ان يخاف الباقيان ويتكلا . فلنعين اليوم والساعة »

فقال الاول : « ان الساعة يصعب تعيينها فلنعين الليلة لئتم عملنا في ليلة واحدة . في أى الشهور نحن الآن ؟ »
قالا : « في جادى »

قال : « فليكن موعدنا رمضان المبارك لنشهد عيد الفطر والمسلمون قد اطعمونا ، واذا قتلنا لقينا ربنا وقد فعلنا ما علينا . فاختاروا ليلة من لىالى رمضان »
قال الثانى : « أنا أختار الليلة السابعة عشرة من رمضان فما قولكما ؟ »

قالوا : « انها خير ليلة » . ونهضوا وسعيد يخاف ان يمروا به ويروه ، ولكنهم داروا حول الكعبة كأنهم يطوفون بها وليث هو ينتظر عودتهم فلم يعودوا . فلما استبطاهم علم أنهم خرجوا من باب آخر أو داروا وتحولوا الى الباب الذى دخلوا منه . فرفع رأسه ونظر حوله فلم ير احدا ولا سمع صوتا فنهض وطاف حول الكعبة فتحقق أنهم خرجوا . فجلس هنيهة يفكر فيما مر به وهو يحسب نفسه في حلم لغرابة ما رآه واتفاق حدوثه في الليلة التى اوصاه جده فيها بالآى يقتل عليها . ونظر الى الافق فاستقبلته الزهرة تتلالا كأنها تبشره باقبال الفجر . وتذكر جده فرأى ان يعود الى المنزل قبل ان يطلع النهار ويخرج الناس . ومشى



ولما اقترب من المنزل خفق قلبه مخافة ان يكون جده قد اصاب حتفه في غيابه فدخل الدار فرأى السكون تخيما عليها فاستبشر وقصد الحجرة التى كان جده نائما فيها فرأى المصباح مضيئا فاطل من الباب فرأى عبد الله جالسا بجانب الفراش وجده نائم . فنظر الى عبد الله كأنه يستطلع الخال فنهض لاستقباله ووجهه باش فاطمان قلبه وقبل ان يلقى التحية ابتدره عبد الله قائلا : « لقد شغلنا بغيابك فان جذك افاق من نومه مرارا وطلب ان يراك ونحن لا نعرف مكانك وقد الح كثيرا في طلبك »
قال : « وكيف هو الآن ؟ »

قال : « في خير وقد رأيته في راحة لم يدقها منذ ايام » .
ولم يتم عبد الله كلامه حتى رأى ابا رحاب يتحرك في فراشه فتقدم سعيد اليه ففتح عينيه وأشار اليه فدنا منه وجثا أمامه

فقال أبو رحاب: « أين كنت يا ولدي فقد طلبناك فلم نقف لك على أثر ! »
قال: « خرجت في حاجة الى الكعبة واتفق لي حادث تغلني عن المجيء حتى الآن »

فمد الشيخ يده وقبض على يد سعيد وضغط عليها كأنه لا يريد أن يفارقه وسعيد صامت لا يبدي حراكا لشدة تأثره من منظر جده الشيخ وقد شعر أنه انما ضغط على يده بغية الوداع

فترقرقت الدموع في عينيه والتفت الى عيني جده فراهما غارتين بالدمع وهما شاخصتان اليه فتفطر قلبه وهم بأن يتكلم فابتدره جده قائلا: « اني لا أزال في قلق على مستقبلك وأخشى ألا تكون قد استوعبت نصيحتي فقد نصحتك وأنا في آخر أيام الدنيا نصيحة أوحى الي أن ألقها اليك . وقد تركتني الليلة غارقا في بحار الاحلام وكان هاتفنا خوفني من غيابك . هل أنت باق على عهدي ياسعيد ؟ »

قال: « لقد عاهدتك يا جدها عهدا وثيقا اني لا أسعى بضر للإمام على ماحييت ، وأنا باق على عهدي ، وأزيدك علما انني صادفت في الكعبة عصابة يتآمرون على قتله . وقتل صاحبيه معاوية وعمر في يوم عينوه وتعاهدوا عليه فلم يبق ثمة حاجة الى سعيي »

فبغت الشيخ وحلق وصاح: « ومن هؤلاء ؟ »

فقص سعيد خبره مختصرا وختم كلامه قائلا: « اني لم أعرفهم وما استطعت اللحاق بهم خوفا منهم لاني أعزل »

قال: « ألم تعرف الذي حلف على قتل الإمام على »

قال: « كلا ولكنني علمت من كلامه أنه من مصر ، ويغلب على ظني أنه من الخوارج »

فصمت الشيخ برهة كأنه يفكر في أمر مهم ، ولحظ سعيد من شخوص عينية وذبول أجفانه وانقلاب سحنته أنه تعب . وأما أبو رحاب فتجلد وقال وهو يرتجف ولا يستطيع التلفظ بكل مقطع من مقاطع الكلام كان لسانه شد برابط: « يا ليتني كنت بينهم لأقنعهم بالكف عن ذلك . . . فلو استطعت استمهال أجلي لسعيت في البحث عنهم فإذا عرفت الساعي في قتل الإمام على أرجعته عن غيه بالبرهان . . . انهم والله ظالموه » . ثم سكت هنيهة ليستريح وعاد الى الكلام وهو يتلجلج ويقف عن الكلام عند كل شهيق من تنفسه وقد أسرع تنفسه وظهر الاضطراب عليه ، فعلم سعيد أن جده في النزاع فارتعدت فرائصه وتخشح قلبه وحزن ، ولكنه أصفى لتتمة حديثه فإذا هو يقول: « وأما أنت يا سعيد فاصغ لقولي واعمل بنصيحتي . . ولا

اقبل منك السكوت عن هذا الأمر... وانما أنت... مكلف بالبحث عنه...
 أنك مكلف بالبحث عن هذا... الرجل في مصر... والشام... والعراق
 حتى تعلم مقره... فاما أن تقتنه... واما أن تنبئ... الإمام بأمره...
 اني... القى... هذا الامر على عاتقك... فاحذر... أن تتقاعد عنه...
 والا فانك... قاتل عليا بيدك... هذه وصيتي لك، احتفظ بها ولا تتمهل
 أو تتكاسل... والله شاهد... على ما أقول... هذه... وصيتي
 الأخيرة بل... هذه... آخر كلمة أفوه بها في هذه... الحياة الدنيا...
 وكنت مستغنيا تأخير أجلى الى... الساعة... وكنت احسبني... ميتا
 منذ أيام ولكن الله... انما اراد بذلك... أن اكل اليك... هذا الأمر...
 هذه آخر وصيتي لك، ابحت... عن هذا الرجل وارجمه... عن غيه...
 كما ارجعتك... ولو اوتيت... عمرا ثانيا لقميت في بني أمية... وفي
 الخوارج خطيبا اصرح ببراءة... الإمام علي، على رؤوس الأشهاد، ولكن
 آه... ان الساعة آتية... لا ريب... فيها... وها أنذا استودعك...
 الله وأخر ك... لم... آفة أقو... لها لك... على... على...
 اد... فع... عن علي بيدك... وقلبك... ولسا... ن... ك»

ولم تخرج هذه الكلمات الأخيرة من فيه حتى اختنق صوته ثم شفق شهقة
 دوى صوتها في اطراف المنزل وارتخت مفاصله، فاقلت يد سعيد من يده
 ونظر سعيد الى جده، فاذا هو قد أغمض جفنيه ووقف تنفسه... فحس
 يده فاذا هي باردة فلمس جبينه فاذا هو كالثلج وقد فتح فاه وأرسل نفسه
 الأخير وبطلت حركة الحياة فيه فاصبح جسما بلا روح... فاقشعر بدن
 سعيد ودق يدا بيد وصاح: « واجداه واجداه... ويلاه كلمني وزدني نصيحة
 أخرى... ». وما من مجيب... وكان عبد الله قد خرج فعاد ولما رأى أبا رحاب
 قد مات أخبر أهل المنزل فاجتمعوا وعلا النحيب والبكاء

ولم يكن الحزن على موت أبي رحاب شديدا لتوقعهم ذلك منذ أيام... اما
 حزن سعيد فكان مضاعفا لامتزاجه بالهواجس والاضطراب ولما سمعه من
 جده وما هو مقيد به من العهود المضادة



وبعد الدفن عاد سعيد الى صحوه وفكر في حاله فراى نفسه في مشكلة
 لا يدري كيف يتخلص منها، وبعد التأمل الطويل رأى انه قد يسهل حلها اذا
 استطاع اقناع قطام ببراءة على فتنزل عن حقدها وتقمعتها، فلما فتح عليه
 بذلك توسم خيرا واحس بانفراج الازمة، فأعمل فكره كيف يستولي على
 عواطفها ويغير اعتقادها في الإمام حتى تسكت عن طلب ثأر أبيها وأخيها
 فخيّل اليه أن اقناعها سهل فهذا روعه

واسرع في تدبير شؤون ذويه وكان فيهم شاب اسمه عبد الله ربه أبو رحاب كما ربه سعيدا ، وكان يتعزى به ويحبه ، وهو الذي أنفذه الى الكوفة لاستقدام سعيد ، فلما مات أبو رحاب تقدم عبد الله الى سعيد بأن يأذن له في مصاحبته وألح في ذلك كثيرا . فتعجب سعيد لتلك الرغبة في السفر ولم يكن يمهّد عبد الله ميلا الى ذلك

والسبب في تلك الرغبة ان أبا رحاب كان من الدراية والفراصة بحيث لم يخف عليه ضعف سعيد ، فأرسل أنفاسه الأخيرة وهو يخاف عليه غدر الناس وخداعهم . ولكنه استدرك قبل موته فأوصى عبد الله هذا بأن يكون له عونا فيصحبه حيثما سار فينجده ويرشده فإنه وان يكن شابا مثله ولكنه اعرّف بالدهر والناس

وبعد أيام ودع سعيد أهله ، وأصطحب عبد الله وسارا يطويان الصحراء الى الكوفة ، وعبد الله لا يعرف شيئا من علاقة سعيد بقطام ولا ما تأمر عليه الثلاثة في المسجد الحرام ، ولكنه فهم من حديث أبي رحاب معه ان سعيدا كان عازما على قتل الامام فأرجعه أبو رحاب عن عزمه . وسمع حديث سعيد عن المؤامرة ولكنه لم يتفهمها جيدا . فلما أوغلا في الصحراء بدأ عبد الله حديثا تطرقا منه الى ذكر قتل الامام على ، واستأنس سعيد بعبد الله وهو مخلص بفطرته ففتح له قلبه وكشف له هن سره وأرتاح لمشورته . ولم يصل الى الكوفة حتى أصبح عبد الله عارفا بكل مكونات قلبه فشاركه في شعوره بشأن عهده مع قطام ورجوعه عنه ، فثبته على اتباع وصية جده وهون عليه اقناع قطام الى ان قال : « فاذا لم تقنع فاتركها والنساء كثيرات وأنا أختار لك فتاة من أجل الفتيات خلقا . وخلقاً وارفعهن نسبا لا تقاس بها قطام » . وكانا يتحدثان وهما على ناقتيهما يطويان البيد طيا

فقال سعيد : « لا لا تقل هذا فليس في النساء أجل من قطام ولا صبر لي على فراقها بله اغضابها فانك على ما يلوح لي لم تعان الحب ولا عرفت سلطانه » . قال ذلك وتنهد . . . وتوقف هنيهة ثم قال : « وهب اني لا أحبها ولست عالق القلب بها فان في يدها عهدا مكتوبا أخاف اذا اغضبتها ان تشي بي الى على او . . . ولكنني واثق بصدق مودتها فهي لا تريد بي سوءا بل تبغى رضاي »

فقال عبد الله : « اذا كانت تحبك كما تقول فليس أسهل من اقناعها بالرجوع عن قتل الامام فيتباح لك البحث عن السامى في قتله وتردعه عن غيه فاذا لم يرتدع قتلته او نقلت خبره الى الامام ليرى رايه فيه »
فارتاح سعيد الى هذا الرأي

أقبل على الكوفة والشمس مائلة الى المغرب وكان سعيد قد قضى ذلك النهار يستحث ناقته لعله يدرك المدينة قبل الغروب ليتمكن من الذهاب الى بيت قظام اذ لا صبر له على تأجيل زيارتها. وهو على مقربة منها ، فلما دنا الغروب وهو لم يدخل الكوفة بعد ، انقبضت نفسه ، وأدرك عبد الله ذلك مما آتته فيه من السكون . فأراد أن يروح عنه فقال له : « أبعدان نحن عن منزلك »

قال : « اذا ما دخلنا المدينة دنونا منه لأنه في أطرافها »
قال : « انى أستعجل الوصول لأستريح من وعناء السفر وأنجو من ركوب الجمال فقد أعبىني اليوم جريها »
قال سعيد : « انى أرانى على ضد ذلك وتحدثنى نفسى أن أصلى العشاء فى المسجد قبل المبيت »

فأدرك عبد الله أنه انما يريد زيارة قظام ليطالعها على حديث جده ويرى ما يدومنها عندما تعلم بما عول عليه ، فراهى أن يثنيها عن زيارتها حتى يتمكن من تهيئة السبيل والحيلة فى مخاطبتها لئلا يقلبها ، لعلها بما هو عليه سعيد من سلامة الطوية التى يخشى عليه منها . فقال له : « دعنا نصل العشاء معا فى المنزل ونصبح ان شاء الله فنصلى فى المسجد »

فلم يراجع سعيد حياء وقيل . ولكنه أسر فى قلبه ان يذهب خلسة الى منزل المعجوز لبابة ليتحسس الحال

ودخلا الكوفة وقد أمسى المساء فقصدا الى منزل سعيد فترجلا واغتسلا وصليا ثم تناولا العشاء وتظاهرا سعيد بالنعاس فذهب كل الى فراشه ، وانتظر سعيد حتى ظن رفيقه قد نام فالتف بصاءته وانسل الى بيت لبابة وقطع طريقه يفكر كيف يبدأ بالكلام . فلما وصل رأى لبابة خارجة منه وقد تخمرت ومشت تتوكأ على عكازها ، فبغت لرؤيتها وحياتها فردت التحية وهى لا تكاد تصدق أنها تراه . فلما تحققت أنه سعيد رجعت وهى تبالغ فى الترحاب به وتضحك ضحكتها المعهودة . فاستأنس بترحابها ، ثم تذكر ما جاء فيه من الامر الجديد فانكمش قلبه ولكنه تبعها حتى وقفوا بباب الحجرة فأمرت عبدها أن يضىء المصباح وعادت الى مخاطبته فسأله عن ساعة وصوله . فقال : « انى وصلت الساعة ومن شدة تعبى من السفر الطويل لم أصبر على رؤيتك قبل المنام »

فقهقهت قهقهة دوى لها البيت وخيل اليه لفرط قلقه ان عبد الله يسمعه فقال لها بصوت خافت : « وما الذى يضحكك يا خالة ؟ »

قالت : « لقد أضحكنى شوقك الى رؤية هذا الوجه القبيح (وأشارت الى وجهها) وانت انما تشتاق الى رؤية وجه أجل منه . . . أليس كذلك ؟ »

فقاطعها وهو يخفض صوته وقال : « لا والله انى الآن فى شوق اليك أكثر من شوقى الى قطام لانى وقعت فى ورطة لا ارى أحدا ينجينى منها سواك فاسعفينى برايك ودهائك . وارجو قبل كل شيء أن تحفظنى قدومى اليك الآن سرا تكتمينه عن كل انسان ، لأن معى رفيقا صحبنى من مكة فلما وصلنا الى الكوفة ورأى ميلى الى الخروج أقعدنى حتى الصباح فاستحييت وبقيت فلما استغرق فى نومه جئت خفية . . »

ولم يتم كلامه حتى جاء العبد بالمصباح فدخلوا الغرفة وسعيد يقول : « لقد عودتنى يا خالة أن تكونى عوناً لى فى مصائبى فأنت التى أقنعت قطام بمهارتك ودهائك بزواجى بها فالتمس منك الآن أن تقنعنيها بما جئت به اليك »

فعبجت العجوز لاهتمامه الشديد ولو كان قلبها حيا لخفق واضطرب ولكنها تعودت الاهوال ولاقت الغرائب فلم يعد يخيفها أمر . فقالت : « قل ما بدا لك انى مستودع أسرارك ولا آلو جهدا فى خدمتك »

فتنهذ سعيد وسكت وهى تحديق فيه بعينيها الغائرتين . وبعد هنيهة قال لها : « لقد جئتكم بأمر لا ادرى كيف أبدا الحديث فيه »

قالت : « قل ولا تبالي ولا تجزع فانى عركت الدهر ولقيت الاهوال حتى لم أعد أستغرب أمرا . . . قل ما بدا لك »



قال سعيد : « أنت تعلمين انى عاهدت قطام على قتل الامام على »

قالت : « نعم أعلم ذلك »

قال : « وهل تعلمين لماذا خرجت الى مكة »

قالت : « علمت انك شخصت اليها ولكننى لم أعلم السبب »

قال : شخصت اليها اجابة لطلب جدى رحمه الله »

قالت : « جددك ابو رحاب ؟ ما الذى أصابه ؟ »

قال : « انه مات بعد وصولى الى مكة بيوم واحد وكان قد بعث الى ليرانى قبل موته »

قالت : مات ابو رحاب ! . رحمه الله عليه . انه كان رفيقا بك شفوفا عليك وانا أعلم انك ربيت فى حجره وقد كان أحسن من الوالد عليك . ولا شك ان موته شق عليك كثيرا . وكنت تود أن يبقى حيا ليفرح بك ويشهد زواجك بعد أن يعلم بما عاهدت عليه لتنفذ بنى أمية من العار و . . . »
فقطع كلامها قائلا : « آه يا خالة لقد كنت اظن هذا الظن قبل أن أراه .

ولكننى ما لبثت ان ندمت على ذهابى اليه لانه حملنى قبل موته حملا تريننى
أنوء به »

قالت : « وماذا عسى ان يكون ؟ »

قال : « ان ما ظننته سببا لارتياحه قد رأيت داعيا لغضبه »

قالت : « هل أخبرته بمزمك على قتل على ؟ »

قال : « نعم أخبرته ولكنه أنكر على قتله وأوصانى وهو على فراش الموت
ان لا امد يدى الى هذه الجريمة لأن هاتفا جاءه وأنباء ببراءة الامام على مما
يتهمونه به »

وكان سعيد يتكلم ولبابة شاخصة اليه وقد اسفت لحية مسعاها ، ولكنها
لدهائها ومكرها لم تبد حراكا ولا اظهرت استغرابا بل تشاغلّت باصلاح
خمارها تنتظر آخر الحديث

واما سعيد فكان يتكلمها وهو يتوقع بفتتها أو غضبها فلما رآها صامتة
مصغية تجرأ على اتمام الحديث فقال : « ولما سمعت كلام جدى جادلته
فرايت منه اصرارا على رايه وقص على شيئا كثيرا من الأدلة والشواهد
المؤيدة لقوله »

قال سعيد ذلك وسكت وهو ينتظر ماتقوله العجوز ، فراها لاتزال صامتة
ولم بيد على وجهها شيء من الاستغراب ، فعطف بحديثه على المؤامرة التى
شاهدها فى الكعبة ظنا منها انها توازن ماتقدم من الحديث القريب . فلما
سمعت قصة المؤامرة على قتل الامام على وعمرو ومعاوية ، رأيت فيها تعزية
ولكنها اظهرت الاستخفاف بما تأمروا عليه وأرادت أن تتحقق ما عول هو
عليه فقالت : « وهل علم أبو رحاب قبل موته بتلك المؤامرة ؟ »

قال : « نعم انى اطلمته عليها قبل ارسال نفسه الاخير ببعض الساعة فلم
يزدنى الا ثقلا بوصية قالها وهو فى آخر ساعات الدنيا .. آه من تلك
الوصية »

قالت : « وما هى ؟ »

قال : « انه أوصانى بالا اكتفى بالكف عن قتل الامام على ، بل يجب ان ادفع
عنه . فلم ار بدا من احابة طلبه وأنت تعلمين موقعى فى مثل هذه الحال ...
ولكننى لم اعاهده الا بعد أن تفطر قلبى للمسوعة التى كانت تنحدر على لحيته
وقد شخصت عيناه وتلعثم لسانه وتلجلج صوته حتى خيل الى ان عظامه
تتكلم »



فلما تحققت نكوله عن عهده خافت اذا اظهرت له الاستياء ان ييوح بأمرها

وامر قطام الى على وهما في الكوفة فينتقم على منهما ، فارادت ان تخادعه فتأخذ منه ولا تعطيه فقالت : « ولماذا لم تلعن لجذك فان كلام مثل هذا الشيخ الجليل يعتبر خارجا من افواه الملائكة »

فلما سمع كلامها انشرح صدره فابتسم وقال بكل سداجة : « كيف لم اذعن ؟ لقد اذعنت وعاهدته وهل أستطيع غير ذلك ؟ . ولكنى عاهدته وقلبي في شغل بقطام وعهدا لعلمي ان ذلك العهد يحرمنى منها » . ثم عطف فقال : « ولكنى لما تذكرت حبك لى وغيرتك على هان الامر وقلت ان مايسر على مثلى يهون على خالتي لبابة ... بالله ... الا ساعدتنى على اقناع قطام بالرجوع عن عزمها على قتل الامام على ، انه والله برىء مما اتهموه به .. بالله ساعدتنى واشفقى على فقد وقعت في حيرة بل هى مصيبة لاينجنى منها سواك » . قال ذلك وجثا امامها وهم بيدها وقبلها وقد كادت العبرات تخنقه

فظهرت تلك العجوز المحتالة بالحنو وتبسمت وهى تجلب يدها من بين يديه لتمنعه من تقيلهما واجلسته وقالت : « طب نفسا يابنى ، انى فاعلة ما تريد وارجو أن يساعدنى الله على اقناعها ... »

فلما سمع سعيد قولها ابتسم والدمع ملء عينيه اعجابا بحنوها وفرحا بنبل بغيته التى لم يكن يتوقعها وفرح بمجيئه تلك الليلة ومقابلة لبابة قبل مقابلته قطام

اما لبابة فظفرت اليه وهى تحك ما وراء اذنها برأس سبابتها كأنها تفكر فيما تختلقه من الاسباب لا قناع قطام ، وهى فى الحقيقة تدبر حيلة للخداع سعيد ثم قالت : « طب نفسا ولا تبالي فانى أضمن لك الفوز اذا اطعتنى .. » فابتدراها قائلا : « انى طوع مشيئتك فى كل مائامرين ، هذا مالى وكل ما املكه بين يديك »

وكان سعيد يتكلم ولبابة مطرقة . ثم سكت هو وظلت هى مطرقة ، ثم استأنفت الحديث بغثة فقالت : « سبحان الله لقد مرت بى ايام وانا مستغربة مايندو لى من قطام على غير المعتاد فقد يكون الذى فاه به جذك فى مكة اثر فى قطام هنا ولا ادرى ما هو هذا التأثير »

فدهش سعيد مما سمعه وقال : « ماذا تعنين ؟ »

قالت : « اعنى انى آنست من قطام تغيرا غريبا بعد ذهابك ، فانها لم تعد تذكر الانتقام وقضت اياما عديدة كأنها فى حيرة أو كان امرا طرا عليها لا تتكلم الا قليلا فعسى ان يكون ماغيرك قدغيرها . وعلى كل حال كن فى راحة وسكنة وانا ادبر الامر ، فلا تذكر انك جئت الى ولا انك رايتنى قبل رؤيتها »
قال : « بارك الله فيك . والله ان قضيت لى هذه المهمة لا ادرى كيف

أكا فثك . ولكنى اتقدم اليك الا تذكرى زيارتى هذه لاحد ولا سيما رفيقى
عبد الله «

قالت : « سمعا وطاعة فعليك اذن ان تأتى غدا لزيارتها فى منزلها وأنا
هناك ، ولا تزدد على السلام والكلام العادى . واحذر ان تذكر شيئا عما خضنا
فيه الا اذا هى خاطبتك به . . وهل تنوى اصطحاب رفيقك غدا »
قال : « سيأتى معى ولا بأس من الخوض فى الامر بين يديه لانه بمنزلة
أخى »

قالت : « فليكن ما تريد وفقنا الله لما فيه خيرك وراحتك »

فازداد سعيد اعجابا بغيرتها وحنوها فقال لها : « اسمحى لى ان اقبل
يدك فانى لما فقدت جدى الذى كان بمنزلة أبى حسبت نفسى يتيما ولكنى
تحققت الآن من حنوك انى ما زلت مرموقا بعين العناية . ها انى قد القيت
الحمل على عاتقك فدبرى الامر كما يلوح لك » . قال ذلك وقبل يدها
مرارا ونهض ونهضت لوداعه وهى تقول له : « نم هنيئا وموعدا فى اللقاء
غدا فى بيت قطام »

خرج سعيد من عندها وقلبه يطفح سرورا لنجاته من شر عظيم . ولم يدر
ما بيتته له تلك المعجوز من اساليب الخداع . فلما توأرى عنها عادت الى
غرفتها واعملت فكرتها الخبيثة فى حيلة تنطلى عليه بحيث يصدق عدول قطام
عن عزمها . ولولا خوفها من ان يشى هو بها ، وبقطام الى على اذا انكرت
عليه وصية جده لجاهرت بمقاومته ، ولكنها رأت من الفطنة والدهاء ان تجاريه
فى رايه ، وتحمل قطام على مشاركتها فى ذلك ، ثم تحتالا فى بقاء المؤامرة
مكتومة حتى ينفذ المتآمرون عهدهم فيقتل على . وما درت لبابة ان قطام
أشد دهاء منها وأعظم حيلة وانها ستزيد على ذلك وسيلة أخرى للفتك
بسعيد على اهون سبيل

ولم تعد لبابة تستطيع رقادا قبل اطلاق قطام على الامر ليهيئ الحيلة قبل
مجيء سعيد فنهضت لساعتها وسارت الى بيت قطام



لقاء قطام

أما سعيد فخرج والفرح ملء فؤاده حتى أتى منزله فرأى رفيقه نائما لفرط تعبهِ فسر لذلك سرورا عظيما ، ومضى الى فراشه ولكنه لم يستطع رقادا لشدة تأثره ، فقضى ساعات يتقلب على الفراش وقد طال ليله وهو يفكر في ساعة اللقاء غدا ولا يصدق أن يلقي قطام على مثل رأيه . فلما تصور عدولها عن قتل على كاد يطير من الفرح بما سيناله من الاقتران بها ثم يعترضه كلام جده وما كلفه به من السعي في الدفاع عن على وردع الساعي في قتله فيختلج قلبه في صدره لهول ذلك الامر . على أن هذا الامر لم يكن شيئا بالنظر الى ما يتوقعه من السعادة بالحصول على قطام

ولم تغض عيناه حتى الصباح ، ولم يكد ينام حتى أفاق مدعورا وقد رأى شعاع الشمس يسطع على جدار غرفته فأسف لابطائه في الفراش والوقت غمين ، فنهض لساعته وخرج يبحث عن عبد الله فإذا هو قد لبس ثيابه ووقف يصلي فصلى معه وهو لا يفقه ما يقول

فلما فرغ من الصلاة قال له عبد الله : « لقد أبطأت في زقادك يا اخا امية »
قال : « انما أبطأت لهول ما لقيناه من التعب في الطريق »

فصدقته عبد الله وجلسا لتناول الطعام وسعيد غارق في تصوراتهِ وقد أدرك عبد الله ذلك فيه ولكنه حسبه من قبيل الشوق الى قطام فقال له :
« ألا تنوى الذهاب الى قطام ؟ »

قال : « بلى أرى أن نسير اليها لعل الله يأخذ بيدنا ونرى منها انصياعا للحق فتعدل عن عهدنا »

فأراد عبد الله أن يختبر ثباته فقال : « هب انما لم تقبل فماذا تفعل . هل تبقى على عزمك أم ترجع عما أوصاك به جدك ؟ »
قال سعيد : « اننا نبذل جهدنا في اقناعها فإذا لم تقنع ظللنا على عزمنا فان وصية جدى مقدسة »

فسر عبد الله لثباته على عزمه وهو لا يعلم انه لم يفعل ذلك الا بعد ما أملته به لبابة من اقناع قطام ، ولولا ذلك لتردد في الجواب كثيرا وربما أثار البقاء على عهد قطام على احترام وصية جده ، لأن غرامه بتلك الغانية الفتاة غلب على كل عواطفه

فلما رأى عبد الله عزمه استعجله في الذهاب الى فطام مخافة ان يطرا عليه ما يضعف عزيمته . وكان عبد الله أسر في نفسه اذا آنس فيه تردداً ان يشبه عن الذهاب اليها . فلما فرغاً من الطعام نهضاً ومشياً يقصدان بيت فطام ولم يكن بال سعيد خالياً من القلق ولكنه اطمأن الى ما منته به لبابة من الوعود

ووصلا الى المنزل ودخلا الحديقة فاختلج قلب سعيد اذ عادت اليه ذكرى لقياء فطام هناك وما تبادلوه من آيات القرام . وفيما هما سائران بين النخيل رأيا لبابة بالباب تبسم . فلما رآها سعيد استبشر وتشدد فمشى ورفيقه وراءه حتى دنوا منها فحياها سعيد كأنه لم يكن قد رآها بعد رجوعه . فردت تحينه وسلمت على رفيقه ، فدخلتا حتى أقبلتا على فطام فاذا هي واقفة الى نافذة تطل على البحيرة وقد لبست جلباباً اسود فوقه خمار اسود فلما رأتها أرخت خمارها وأقبلت نحوهما ، فحياها سعيد وذكر اسم رفيقه لها وقال :

« لقد اتيت ومعى صديقى وأخى عبد الله فإنه أنبسى ومساعدى »

فرجبت بهما ودعتهما للجلوس فجلسا وكلهما سكوت ، وبدأت العجوز بالكلام فقالت : « لقد أوحشنا ياسعيد بطول غيابك وقد أخبرنا ريحان أنك أتينا يوم سفرك فلم تر قطام فبغلنا عليك لسرعة ذهابك فعسى ان يكون الباعث خيراً »

فتنهذ سعيد وقال : « كلا انه لم يكن خيراً ياخاله لأنى ذهبت الى جدى أبى رحاب فى مكة فقد أرسل أخى هذا عبد الله يدعونى إليه »

قالت : « وماذا عسى ان يكون سبب استدعائك ؟ »

قال : « دعائى لأراه بعد أن هرم وغلبه الضعف والمرض على امره ، فلما تحقق دنو اجله أراد ان يرانى قبل موته فسرت ولم أمكث الا ليلة حتى قضى نجبه »

فتظاهرت فطام باستغراب الخبر كأنها لم تسمعه من قبل وقالت : « هل مات جدك ؟ .. رحمة الله عليه وعزاله الله وأبقاك » . وتنهذت كأنها تذكرت من فقدتهم وقالت : « ان موت الأهل شديد الوطأة »

وكان عبد الله يراقب حركات فطام ، وكان قد سمع بجمالها فلم يلم سعيداً على افتتانها بها وخاف أن تصر على عهدا فنخرج من نصيب سعيد ، فأحب أن يترك الموضوع ليرى مايدو منها ولكنه رأى انه لم يسبق له أن عرفها فقد تنجبت الخوض فى الامر ، فنهض وخرج وخرجت لبابة فى اثره اتفاما لحياتها



فلما خلت فطام بسعيد سألته : « من هذا الشاب . وهل هو ممن يوثق »

قال بنفمة الحب المفتون : « انه رفيق صباى وموضع أسرارى ولا أخشى
باسا من اطلاقه على كل شيء »

قالت : « وهل اطلعته على عهدنا ؟ »

قال : « نعم يا حبيبتي وهل ترين ما يمنع ذلك ؟ »

قالت : « كلا ، لا ارى ماتما ولكننى كنت أوتر ان لاتعلمه لخطر خطر لى بعد
ذهابك الى مكة »

فاستبشر سعيد بهذا الاستهلال فقال : « وما الذى خطر لك ؟ »

قالت : « ساقصه عليك وآمل ان تطاوعنى عليه ولا تطالبنى بما سبق بيننا
من اليهود »

قال : « قولى ما تشائين . فمشيئتك هى العهد الذى يقيدنى . فانى رهين
اشارتك »

قالت : « اذكر لما جئت الينا يوم سفرك ولم تجدنى فى البيت ؟ »

قال : « كيف لا اذكر ذلك وقد كان له عندى اثر شديد »

قالت : « اتدرى اين ذهبت يومئذ ؟ »

قال : « كلا »

قالت : « خرجت فى ذلك اليوم الى اهلى ولم يكن غرضى الزيارة وحسب
ولكننى شعرت بقلق واضطراب ولم اذق رقادا تلك الليلة التى عاهدتك فيها
على قتل امير المؤمنين . فلما أصبحت قلت فى نفسى لعل سبب هذا القلق
اننى ارتكبت ذنبا بما سعيت فيه ظلما لقتل الامام . فلاح لى ان امضى الى اهلى
وأبحث وادقق عن حقيقة ما وقع ، فعلمت بعد البحث ان الذنب فى قتل ابي
وأخى لم يكن ذنبه هو ، وتحققت انه برىء ، وانه نصح لهما مرارا قبل الوقعة
بان يرجعا فأبيا ، ولما احتدم النزال وعلم انهما فى خطر أوصى بالايصيهما أحد
بسوء . ولكن بعض الاغرار قتلها وهو لا يذرى ، فلما علم غضب على القاتل
وانتقم منه . فشعرت عندئذ انى قد أخطأت بما نويته واعتزمت ان أحولك عما
تعاهدنا عليه . فقضيت مدة غيابك وأنا فى حيرة لا ادرى كيف ابدأ باقناعك .
وحفظت ذلك سرا كتمته حتى عن خالتي لبابة »

ولم يتمالك سعيد عند سماعه ذلك عن النهوض فجأة ونادى عبد الله
ولبابة فجاءا ، فالتفت سعيد الى عبد الله وقال له : « نعال اسمع يا أخى
ما أعهده الله لنا من أسباب السعادة . فاننا لم تكلف أنفسنا عناء اقناع قطام .
بل هذه هى تريدنا على ان ننسى العهد الذى رويت لك خبره وتقلع عما عزمنا
عليه »

فتجاهلت قطام قوله وقالت : « ماذا تقول يا سعيد وما الذى جئتنا به
عساه أن يكون خيرا »

فعرضت لبابة للكلام وقالت : « يلوح لى انك جئتها بمثل ما جاءتك هى به »
قال : « نعم يا خالة واحد الله على ذلك فانى جئت من مكة مقتنعا ببراءة
الامام على واخذت على نفسى عهدا امام جدى الا امس عليا بسوء ، وكنت
أختي الا توافقتنى قطام عليه فأصبح أشقى الناس . فالحمد لله اذ قضى بما
فيه خيرنا جميعا » . وجلس يقص عليهم حديث جده وما أوصاه به فظهرت
امارات الشز والسرور على الجميع . ثم استطرد الى حديث المؤامرة فلما ذكر
ان أحد المتآمرين آلى على نفسه ليقتلن الامام عليا تظاهرت قطام بالغضب
وقالت : « ألم تعرف من هو الرجل ؟ »

قال : « لم اعرفه ولكننى علمت من سياق الحديث انه من فسطاط مصر »
قالت : « اما وقد علمت بعزم هذا الرجل فقد أصبح السكوت عنه مشاركة
له فى القتل ، فلا بد من رده او قتله »

فابنسم سعيد لذلك الاتفاق الغريب وقال : « وقد فاتنى ان اذكر ان جدى
أوصانى بأن اسعى فى دفع السوء عن على »

فقالت : « وهذا ما اراه انا ايضا لأن السكوت عنه جريمة ، ولكننى أرى ان
يبنى امر هذه المؤامرة سرا لانطلع عليه احدا لئلا يسبقنا الى نيل الفخر
برده ، وحى لا يسرب الخبر الى المتآمر فيسرعج أمره ويقتل عليا ونحن لم
نعرفه بعد ولم نبدا سعيينا لاجباط عمله . الا ترى هذا الراى يا عبد الله ؟ »

فدهس عبد الله من نوارد الخواط او علم بريارة سعيد للبابة لانكشف له
سر الخيلة ولكنه اخذ الامر على ظاهره فقال : « هذا هو الراى الصواب ،
وها انذا تشارع مع اخى سعيد فى السعى لردع ذلك الرجل »

فالت : « وماذا تنويان عمله ؟ »

قال سعيد : « ارى ان نذهب الى الفسطاط ونبحث عن الرجل فاذا عرفناه
هان عليا رده »

فقالت قطام : « وما الفائدة من دهابكما وانما لاتعرفان الرجل ولا تعلمان
شيئا من أمره وكيف ينأتى لكما معرفة اسمه . هل ذهبتما الى الفسطاط
قبل الآن وهل تعرفان احدا هناك ؟ »

قال عبد الله : « انى اعرف الفسطاط ولكننى لم اقم بها طويلا ولا انرف
احدا من أهلها ولكننا نبذل جهدنا »



الاجتماعات السرية

فتقدمت لبابة والاهتمام باد عليها وكأنه قد فتح عليها برأى سديد فقالت :
« اجلسوا وسأهديكم الى طريق يهون عليكم كل صعب »

فجلسوا جميعا فقالت : « لا تسخروا برأى عجوز مثلى فانى أعرف من الأسرار ما لا تعرفون . اعلّموا أن في مصر من مريدي الامام على احزابا جمة اذعنوا لعمر بن العاص مكرهين ، وهم صابرون على ما أصابهم في مقتل ابن ابي بكر ، وهم ينوون الانتقاض اذا اتاحت الفرصة لذلك »

قال عبد الله : « أهذا ما تفاخريننا بمعرفته ؟ انه لا يجله أحد من المسلمين ، واني لأعلم ما هو أكثر منه »
قالت : « وما الذي تعلمه ؟ »

فابتسم عبد الله مستخفا وقال : « هناك أمور كثيرة علمتها من جدنا ابي رحاب رحمه الله ، وقد أوصاني بالا أطلع عليها أحدا »

فتوقعت لبابة أن تطلع على ماورى على سر ، وهي لم تقل ما قالته الا استدراجا له ، فهزت كتفها والتفتت الى قطام التفاتة ذات معنى ، ففهمت قطام مرادها

فابتدرت عبد الله قائلة في دلال : « اذا كنت قد وقعت على سر فاحفظه ولا تبح به لاحد من الخوارج مثلنا »

فخجل عبد الله من توبيخها اللطيف ، ونظر الى سعيد فرآه ينظر اليه كأنه يتوقع منه أن يفشي السر لثلاث تسمى قطام الظن بهما ، فقال معتبرا :
« حاش لي يامولاتي . اني لا أعنى كتمان السر عنك بعد أن رأيتك مثلنا حاسا للدفاع عن أمير المؤمنين بل لقد كنت أنت الداعية الى الدفاع عنه . ولكنني قلت ما قلته عفوا ، ولكي تثق من حسن نيتي سأبسط السر لك ولخاتمتي لبابة » . قال ذلك والتفت يمنة ويسرة كأنه يحاذر أن يسمعه رقيب ، أو عدو ، فلما أصفى الجميع قال : « علمت من جدي رحمه الله أن في الفسطاط جهورا كبيرا لا يزالون على دعوة الامام على ، وهم متحدون قلبا وقالبا في القيام بنصرته ، ولهم اجتماعات سرية يعقدونها للمفاوضة في الوسائل المؤدية الى ذلك » . ولما بلغ الى هذا الحد تعلم لسانه كان شيئا أوقفه عن

اتمام الحديث ، وارتبك وظهرت عليه العنة ، كأنما ندم على ما فرط منه وعول على الامساك عن تمتة الحديث . فأدركت لبابة المحتالة سبب توقفه فابتدرته قائلة وهى تضحك : « أنعم به من سر عميق لم يطلع عليه أحد ، انى لا أراك زدت على قولى حرما واحدا . ألم اقل ان دعة على باقون على دعوته ، فماذا زدت أنت على ذلك الا انهم يجتمعون سرا ؟ أم تراك ندمت على ثقتك بنا فبدأت بالحديث ثم قطعتة ؟ . وعلى كل حال لست الوملك على ذلك فانك لا تعرفنا قبل هذه الساعة »

فقطعت قطام حديثها قائلة : « أتقولين انك لا تلومينه بينما أراك عاتبه عليه ؟ . دعيه لئلا يظننا راغبين فى استطلاع سره لغرض لنا ونحن انما نريد بعض ما يريده عبد الله فلا حاجة لنا فى سره ، ولكننا نوصيه بأن يقوم بمؤازرة سعيد فيما أوصاه به جده ، وهذا يكفينا » . ثم وجهت كلامها الى سعيد قائلة : « لقد سررنى من رفيقك محافظته على السر حتى عن هذه الحفرة التى بعد ان كانت اول الناقمين على اصيحت من اكبر المدافعين عنه ، وهب انه اراد افشاء ذلك السر فما نحن سامعون ما يقول ، اذ ربما وسوس لنا الشيطان فبحنا به للأعداء »

فوقع كلام قطام فى قلب سعيد موقع السهام ، وغلب عليه الحياء والتفت الى عبد الله وقال : « لا طاقة لى باحتمال هذا التائب يا عبد الله ، قل ما تعلمه سواء اسمعته قطام ام لم تسمعه . ولن ابرح هذا المكان قبل ان اسمع بقية الحديث »

فندم عبد الله على ما فرط منه واصبح لا يدري كيف يتخلص من حيائه وارتباكه . ولما رأى الحاح سعيد هان عليه التصريح بما يعرفه ولم ير فى ذلك لوما عليه فقال : « أراكم تتهموننى بذنوب أنا براء منه ، فانى لم أتوقف عن اتمام الحديث ضنا به على قطام بعد ان تحققت اخلاصها فى الدفاع عن على ، ولكننى صبرت ريثما استجمع كلام جدى بحرفه ، فاذا اذنت قطام تلوته عليكم حالا »

قال سعيد : « قل ما علمته ، واذا سدت قطام اذنيها عن سماعه فانا اسمعه »

قال عبد الله : « اخبرنى ابو رحاب رحمه الله أن دعة الامام على يجتمعون سرا فى معبد قديم خارج القسطنطينية فى مكان يعرف يعين شمس ، وهم يتفاوضون فيه سرا فى يوم الجمعة من كل اسبوع »

فسرت قطام ولبابة بالاطلاع على ذلك السر ، ولكن لبابة لدهائها ومكرها تظاهرت بالاستخفاف والانكار وقالت : « اهذا هو السر العظيم ؟ انه باطل لا يقبله العقل ! »

فاغتاز عبد الله من اسخفافها وقال : « وما الدليل على بطلانه يا خالة ؟ »

قالت : « تقول ان دعاة على يجتمعون هناك كل يوم جمعة ونحن نعلم انهم يعدون بالآلاف فكيف يسعهم ذلك المبد ؟ . وهب أنه وسعهم فكيف يجتمع الآلاف منهم كل اسبوع ولا يدري بهم عمرو بن العاص وعيونهم مبثوثة في اطراف الفسطاط . فهل ذلك معقول ؟ »

فسر عبد الله لاستخفافها بكلامه وحسب افعاءه السر. غير ذي اثر ، وود الوقوف عند هذا الحد ، فلم يرض سعيد بذلك بل اخذ على نفسه تفسير مقاله وهو يحسب انه اتى جديدا فقال : « ان عبد الله لا يعنى باجتماع دعاة على انهم يجتمعون جميعا كبارا وصغارا ولكنه يريد ان رؤساء العشائر وكبارهم هم الذين يجتمعون فقط . » فضحكت لبابة وهمت بالرد عليه . فقطعت قطام كلامها قائلة : « يظهر يا خالة انك انما تريدين المزاج ، فقد طلبت من عبد الله افعاء سره ثم جعلت تجادلينه ، ونحن لايهمنا من الامر الا الوصول الى الغاية المرجوة ، وهذا يكفر »



ثم وجهت كلامها الى سعيد قائلة : « دع لبابة وتخريفها واسع فيما انت ساع فيه . سر الى دعاة على حيث هم مجتمعون وهم يعينونك على البحث والتنقيب . ولا اوصيك الاوصية واحدة ذكرتها في بدء الحديث وهي ان تبقى هذا الامر مكتوما فيما بيننا عن كل انسان ، حتى نعرف الخائن الذي يريد قتل الامام على ، فاذا عرفناه فاما ان نرجعه عن غيه او نرى رأينا فيه على ما تقتضيه الحال . اما اذا اشعنا خبره الآن فانه يبالغ في التستر ، وربما اسرع في انفاذ سهمه فيقتل امير المؤمنين غيلة ويذهب سعيينا عبثا . اما الآن فنحن على يقين من انه لا يقدم على ذلك الا في ١٧ رمضان ، ونحن لانزال بعيدين عنه . وزد على ذلك أنك اذا حفظت هذا الامر مكتوما وتفردت في البحث عنه كان الجزاء عظيما . ولا ارى فائدة من اطالة البحث . ولكي تتحقق من شدة رغبتى في الاسراع ، ابدل عهدي ابدالا يسرك فبدلا من ان يكون اقترائنا موقوفا على قتل الامام على فقد جعلته وقفا على انقاذه من القتل ، فاذا كنت تحبني ، وهذا ما لا أشك فيه ، فبادر الى العمل ، وهذان عبد الله ولبابة شاهدان على ما اقول »

وكان سعيد بعد ان تغير وجه المسألة يرجو ان يقترن بقطام قبل ذهابه في هذه المهمة . فلما سمع كلامها خجل من مراجعتها لثلا يقال انها اشد رغبة منه في الدفاع عن على ، فانطلت الحيلة عليه ولم يسعه الا اجابتها فقال : « وهذا ما اطلبه انا ايضا لكى يتم عقد الزواج على يد الامام نفسه بحول الله » وكان عبد الله يسمع هذا الحديث وقد خامره شك في كلام قطام ، وندم

لتسرع في افشاء السر فظل صامتا لئلا يقع فيما يزيد ندمه ، وشعر لساعته بما أوتيته تلك الفتاة من الدهاء . ولم ير خيرا من اظهار ثقته بها فأخذ يطرى غيرتها ويثنى على صدق مودتها فقال لها : « انى أعد اخى سعيدا من أسعد خلق الله لتوفيقه الى منك ، وانى ادعو الله تعالى ان ينجح مقاصدنا ، وسكت هنيهة ثم قال : « وقد أصبت في حرصك على كتمان الامر عن كل انسان ، بارك الله فيك » . والتفت الى لبابة فقال : « وانت يا خالة نرجو ان تزودينا دائما بدعواتك الصالحة وآرائك الصائبة »

فالت لبابة : « أما رأى ففى الاسراع فى الامر ، فعليكما بالسفر حالا الى مصر ، واطلب الى الله تعالى أن يوفقكما ويسهل طريقكما ، واذا اثبتما الفسطاط فاطلبا عين شمس فى يوم الجمعة ، ولن تعدا من انصار امير المؤمنين من يرشدكما الى الباى »

وقضوا برهة فى احاديث اخرى ، ثم انصرف عبد الله وسعيد ، وفى نفس اولهما شكوك لم يجسر على مكاشفة سعيد بها ، لما آنسه من اخلاصه لقطام وارتياحه الى وعودها ، ولكنه عول على انتهاز فرصة يستطيع بها التسلط على أفكاره



ولما خلت لبابة الى قطام بعد خروج سعيد وعبد الله قالت لها : « لقد تمت لنا كل المعدات وأن يوم الانتقام على يد غير هذا الجبان . ان عليا سيقتل لا محالة ولقد احسنت بتطمينه ومسايرته . واحسن ما رأيته من دهائك توصيته بالكتمان لانه لو اطلع عليا على خبر المؤامرة لفشل اصحابها ونجا على من الموت »

فأجابت قطام قائلة : « ولكن ذلك وحده لا يضمن لنا الفوز ، وأنا لم التمس منه الكتمان لهذا الغرض فقط ، ولكنى أردت أن يبقى خبر المؤامرة مكتوما عن كل انسان لغرض آخر »

قالت : « وما ذلك فانى لم أفهم مرادك ؟ »

قالت : « اتكونين لبابة المعجوز الماكرة ويخفى عليك مغزى كلامى ؟ ما الفائدة اذن من البحث عن مجتمع انصار على ؟ »

قالت : انى ما زلت اجهل ما تريد به ، فما مرادك ؟ »

قالت : « مرادى أن أبعث الى عمرو بن العاص بخبر تلك الجمعية ويوم اجتماعها ، ليقبض على رجالها ، وسيكون سعيد وعبد الله بينهم ، فاما ان

يقتلها أو يسجنهما ، فإذا قتلها ظل أمر المؤامرة مكتوما عن كل انسان .
وإذا سجنهما ظلّا في السجن الى ما بعد ١٧ رمضان على الأقل فيكون قد نعد
السهم وانتقمت لأبي وأخى ، ولا يهمنى بعد ذلك أمر »

فلما سمعت لبابة كلام قطام همت بها وقبلتها وهى تقول : « يورك فيك
يا بنية والله انك أبعد منى نظرا وأشدّ دهاء ، وإذا أحياك الله الى سى فان
أبليس نفسه لن يقوى على مكرك ! » . قالت ذلك وضحكت . وظلت قطام
عابسة لم تعبأ بضحكها ولكنها نادت ريحان حادماها فحضر وكان جالسا في
مكان بحيث يسمع ويرى ولا يراه أحد ، فلما وقف بين يديها قالت له : « ألم
يقتل سيدك عظما ؟ »

قال : « كيف لا ، وانى مطالب بدمهما ؟ »

قالت : « أتدرى لماذا دعوتك ؟ »

قال : « أحسبك دعوتنى لنبعثى بى الى عمرو بن العاص فى الفسطاط
لاخبره بأمر مجامع العلويين »

قالت : « نعم انى دعوتك لمتل هذا ، يورك فى سوادك . هذا وقت الحاجة
اليك . ولكن لا تذكر اسمى لعمرو ، أنا واثقة بفطنتك فلا تخيب املى
اذهب الى مصر ابليخ الرسالة ، وجئنى بمقتل هذين او سجنهما وانت حر
لوجه الله »

فقطب ريحان حاجبيه وأجاب كأنه يعاتبها : « ألا تعلمين يا مولاتى انك
تهينينى بهذا الكلام من حيث تريدن سرورى . اتظنيننى أوتّر الحرية على
الاستعباد لك . لقد قلت قولا فاسمحى لى أن أن أقول مثله . اننى ذاهب
لانفاذ مرامك فاذا أنا فزت فيه رجوت أن تعديننى بالأ تذكري حرىنى ابدا »
فضحكت قطام وظهرت الاعجاب بشهامه ريحان وقالت : « سر يا أسود .
انك والله خير من ألف أبيض »



أمام الفسطاط

الفسطاط مدينة عمرو بن العاص في مصر بناها سنة ٢٠ للهجرة بعد فتحه الاسكندرية . وسبب تسميتها بالفسطاط (الخيمة) انه لما فتح حصن بابل جب دير مار حرجس الآن او دير الصارى بقرب مصر القديمة واستقر الصلح بينه وبين القوقس ، نهض لفتح الاسكندرية وكانت خيامه منصوبة خارج الدير بين النيل وجبل المقطم ، فأمر بنقويضها للرحيل فجاءه مبيء بان في فسطاطه يمما معششا وتحت صفاره لاستطيع الطيران ، فقال عمرو . « لقد احنمت بجوارنا فأقروا الفسطاط حتى تطير فراخها » . فتركوا الفسطاط منصوبا حتى عادوا بعد فتح الاسكندرية فابتنوا الدور حوله . ولما اكملوا عمارة المدينة أطلق عليها اسم الفسطاط ، وهى اول مدينة بناها المسلمون في مصر واتخذوها عاصمة ملكهم ، حتى بنيت القاهرة في القرن الرابع للهجرة فنقلت الحكومة اليها

وكانت الفسطاط في العام الاربعين للهجرة ، وهو العام الذي جاءها فيه سيد ورفيقه عبد الله ، قد عمرت واقامت بها القبائل والافخاذ في خطط وحارات بنيت لهم . وكانت مستطيلة الشكل على ضفة النيل الشرقية طولها ميلان فيما يقرب من مصر العتيقة الآن . وأما مكان مصر العتيقة فقد كان يومئذ مجرى النيل ، وكان اذا جرى رست سفنه بباب دير النصارى حيث كنيسة المعلقة اليوم ، فكل ما بين الدير والنيل من اليبس وما أقيم عليه من البناء انما حدث بعد ذلك

وكان جامع عمرو والباقية آثاره الى اليوم مركز تلك المدينة ، وخوله انشئت الخطط والازقة . وكان أقربها الى الجامع المذكور دار عمرو ، او هما داران : الدار الكبرى والدار الصغرى . وكان المسلمون اولا ينزلون في الخيام فلما بنى عمرو داريه اهتم الناس ببناء المنازل . ولم يكن قبل الفسطاط هناك الا بعض الاديار للقط متفرقة بين النيل والمقطم . وبنوا الخطط او الطرق على اسماء القبائل التى تالفت منها حلة ابن العاص في ذلك الحين ومن نزع بعدهم ، وواجههم جميعا اهل الراية من قريش والانصار وخزيمة وغيرهم ، فبنوا لهم خطة سموها خطة اهل الراية ، ثم خطة مهرة ، وخطط لحم والليف والصدف من كندة وخولان ، فضلا عن خطط غير العرب مثل خطة الفارسيين الذين حضروا الفتح واصلهم من بقايا جند (باذان) عامل كسرى على اليمن قبل

الاسلام ، اسلموا في الشام . وكانت هناك خطط أخرى لاتحصى فضلا عن الطرق والازقة والحارات

فترى مما تقدم انه لم يكن يقيم بالفسطاط في أول أمرها غير المسلمين واما المسيحيون واليهود ممن كانوا هناك قبل الفتح فمن أثر البقاء برعاية المسلمين أقام في الأديار خارج الفسطاط ، وأكبرها دير النصارى (دير مار جرجس) وهو الحصن الذي حوصر فيه القوقس ورجاله لما جاءهم المسلمون ، وكان يسمى حصن بابل أو قصر الشمع . وربما أقام بعض القبط أو اليهود في الفسطاط لتجارة أو صناعة أو كتابة ، لأن عمرا عهد إلى القبط أول الأمر في أعمال حكومته وأبقى الدواوين تكتب بالقبطية ، وبقيت كذلك إلى أمانة عبد الله بن عبد الملك بن مروان فأبدلت بها العربية

وكانت مدينة عين شمس (المطرية) شمالي الفسطاط خربة لم يبق من أبنيتها الشائخة ومعالمها الرفيعة إلا بعض الجدران الغليظة أو الأعمدة الضخمة والمسلات من بقايا الهياكل الفرعونية وهي مهجورة لا يقيم بها أحد فاذا احتاج الناس إلى حجارة أو أعمدة يبنون بها دارا كبيرة أو حامعا جاهزا .

انقاضها



وقد تركنا سعيدا وعبد الله وهما يتأهبان للرحيل في ذلك اليوم ، فاصبح على راحتيهما وخرجا من الكوفة يلتمسان الفسطاط ، وهما لا يعلمان ما أعدته لهما قطام من المكائد . وسارا يواصلان الليل بالنهار حتى أقبلا في فجر يوم جمعة على الفسطاط ، فاطلا عليها من سفح المقطم فاذا هي ممتدة على ضفة النيل على مسافة طويلة وراءها يجري النيل وفيه السفن راسية تحمل الفلال والأحمال ، بعضها قادم من الصعيد والبعض الآخر صاعد من الشمال . وفي وسط المدينة جامع عمرو وحوله الابنية والدور . فوقها منية يدبران الخطة التي يجب أن يسيرا عليها للقيام بمهمتهما

فقال عبد الله : « ها نحن أولاء امام الفسطاط وقد طلع فجر الجمعة الذي يجتمع فيه دعاة أمير المؤمنين في عين شمس على ما نعلم . فهل نظل هنا برهة ثم نسير توا إلى عين شمس ؟ »

فقال سعيد : « لا داعي إلى بقائنا هنا ، وقد يكون في بقائنا مظنة سوء ونحن على ما يعلم الناس من دعاة معاوية . وزد على ذلك أننا لا ندرى متى يعقد ذلك الاجتماع : أفى الصباح أم في المساء ؟ أم في وقت بينهما »

قال عبد الله : « لست على يقين من ساعة الاجتماع ، ولكنني أظنهم يجتمعون بعد صلاة العصر إلى المساء على أنى لا أرى بأسا من النزول إلى

الفسطاط حيث نصلّى الصبح ونضع دواننا في مأوى تستريح فيه . ثم أخرج أنا للبحث عن ساعة الاجتماع ومكانه واعدود اليك فنذهب معا » قال سعيد : « هذا هو الصواب »

ونزلا بناقتيهما حتى دخلا المدينة وهى ساعتئذ أهلة بالناس وقد اذن المؤذنون يدعون الناس الى صلاة الصبح فاتيا المسجد وامامه ساحة كبرى تقف فيها الدواب تشد الى اوتاد أو نخيل . فربطوا الراحلتين ودخلا المسجد للصلاة وكانت الشمس قد اضحت وتقاطر المسلمون افواجا فدخلا في جملة الداخلين



لم يكد يستقر بهما الجلوس حتى رايا الناس في حركة وجلبة وقد فتح باب في بعض جوانب المسجد دخل منه رجال في ايامهم السياط يزجرون الناس . فقال سعيد : « من هؤلاء ؟ » . « عبد الله : ايامهم الشرطة يفسحون الطريق للأمير » . ولم يكد عبد الله يتم كلامه حتى دخل رجل ربعة فسير القامة وافر الهامة ادعج ابلج عليه ثياب موشاة كأنها العقيان تأتلق عليه حلة وعمامة وجبة ، فعرفا انه عمرو بن العاص . وصعد المنبر والناس ينظرون فحمد الله وصلى على النبي (صلعم) ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم ، وجعل يحضهم على الزكاة وصلة الأرحام ، ويأمر بالتوفير وينهى عن الفضول ، وكثرة العيال وافاض المقال في ذلك الى أن قال : « يا معشر الناس ، اياكم وخلاا اربعا فانها تدعو الى النصب بعد الراحة والى الضيق بعد السعة والى الدلة بعد العزة . اياكم وكثرة العيال ، واخفاض الحال ، وتضييع المال ، والقليل بعد القال في غير ذلك ولا نوال . ثم انه لا بد من فراغ يؤول اليه المرء في توديع جسمه والتدبير لسانه وتخليته بين نفسه وبين شهواتها ، ومن صار الى ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل ، ولا يضع المرء في فراغه نصيب العلم من نفسه ، فيحور من الخير عاطلا وعن حلال الله وحرامه غافلا . يا معشر الناس انه تبدلت الجزاء ، وذلت الشعري ، واقلت السماء وارتفع الوباء ، وقل الندى وطاب المرعى ، ووضعت الحوامل ، ودرجت السخائل ، وعلى الراعى لرعيته حسن النظر ، فحى لكم على بركة الله تعالى الى رفيكم فنالوا من خير ولبنه وخرافه وصيده ، واربعوا خيلكم واسمنوها وصوتوها واکرموها فانها جنتكم من عدوكم وبها مغانمكم وأنفالكم . واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا ، واياكم والمومسات والمعسولات فانهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم . حدثني عمر امير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها

خيرا فان لهم فيكم صهرا وذمة . فكفوا ايديكم ، وعفوا فروجكم ، وغضوا ابصاركم . ولا اعلمن ان رجلا اسمن جسمه وأهزل فرسه ، واعلموا انى معرض الخيل كاعتراض الرجال ، فمن أهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك ، واعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم ، وتشوف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخمر الواسع والبركة النامية . وحدثني عمر امير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كيفا فذلك الجند خير أجناد الارض) . فقال له أبو بكر رضى الله عنه : ا ولم يا رسول الله ؟ قال : (لأنهم وازواجهم في رباط الى يوم القيامة) . فاحدوا الله معرض الناس على ما اولاكم ، وتمتعوا في ريفكم ما طاب لكم ، فاذا يسر العود ، وسخن الماء ، وكثر الدباب ، وحض اللبن وصوح البقل وانقطع الورد من النشجر فحى الى فسطاطكم على بركة الله . ولا يقدم أحد منكم ذو عيال الا ومعه بحفة لعياله على ما اطاق من سعته أو عسرتة . أقول قولى هذا واستحفظ الله عليكم »

وكان عمرو يخطب والناس يسمعون وقد خشعوا لما تكلمه من الأوامر والنواهي والوصايا . فقال سعيد لعبد الله همسا : « والله انه لنعم الأمير ، وئلت يد تقتله . انى والله منذره بذلك متى دنا الأجل المضروب » . فلم يجبه سعيد بخافة ان يلحظ أحد شيئا مما هما فيه

وخرج الناس بعد الصلاة ، وخرج عبد الله وسعيد ، واجتمعوا في ساحة المسجد خارجا ، وتعارفوا فعرف عبد الله رجلا من غفار كان له معه صداقة فدعاه وسعيدا الى منزله ليقما عنده فاعتذرا فالح عليهما فسارا معه لثلا يوجب ابتعادهما شبهة ، فأنزلهما في منزل له في خطة اسمها خطة خارجة بن حذافة فأمر الغفارى عبدا له بتسلم الراحلتين والسير بهما الى المرباط ، ودخل بالضيفين الى غرفة لم « يا فيها نافذة الا كوة في أعلاها فعجبا ، وهم عبد الله بالاستفهام عن ذلك وأوقفه التادب ، فلحظ الغفارى استغرابه فقال له : « لا تعجب لحال هذه الغرفة فان كذلك سائر أبنية الفسطاط »

فقال عبد الله : « انى والله يا اخا غفار لفى عجب عجاب مما ارى فما الذى دعا الى هذه الأقوال ؟ » . فقال الغفارى : « اعلمنا أن خارجة بن حذافة صاحب شرطة الأمير عمرو بن العاص هو أول من ابتنى غرفة في الفسطاط . فلما علم بذلك امير المؤمنين عمر بن الخطاب يومئذ كتب الى عمرو بن العاص يقول : (ادخل غرفة خارجة وانصب فيها سريرا وأقم عليه رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير فان اطلع من كواها فاهدمها) . ففعل ذلك عمرو فلم يبلغ الكوى فأقرها فلم يجسر أحد ان يبنى غرفة بعد ذلك الا على هذا الوصف وهو أضمن للجباب »

ثم جاءهما الغفارى بالزاد فاكلا ، وما لبثا حتى خرجا يطلبان الخلوة للنظر فيما جاء من أجله ، ومشيا في المدينة يتظاهران بالتفرج على مشاهدتها فقال سعيد : « اننا في وقت الظهر وما العمل ؟ »

فقال عبد الله : « دعنى أسر وحدى الى عين شمس فانها على بضعة اميال من هنا حيث ترى الخرائب وامامها هاتان السلطان ، وسأبحث لأهتدى الى مكان الاجتماع فاذا عثرت عليه جئتك على عجل . فأين الملتقى ؟ »

قال : « أبقي أنا في المسجد حتى تعود الى واحذر أن تطيل غيابك »

فسكت عبد الله ولبث برهة يفكر ثم قال : « اذا أبطأت في الرجوع اليك فإذهب الى عين شمس وانتظرني بقرب هاتين السلطين القائمتين فأوافقك اليهما أو أبعث من يدعوك الينا »

فافترقا وقصد عبد الله الى عين شمس وقد جعل وجهته اليها السلطين وكانتا ظاهرتين عن بعد . وعاد سعيد الى الجامع

وأقبل عبد الله على عين شمس فاذا هي مؤلفة من اطلال ليس فيها من الابنية الا الجدران والأعمدة ، فطاف بين خرائبها فلم يراحدا ولاسمع صوتا . وقضى في ذلك ساعتين يتردد بين تلك الجدران ثم يعود الى حيث بدأ فلم ير أثرا للآدميين ، فظن نفسه قد أخطأ المكان أو أساء فهم ما بلغه من امر ذلك الاجتماع حتى كاد يهم بالرجوع وقد خاب ما أمله وخيل اليه أن دعاة على ابدلوا بمجتمعهم هناك مكانا آخر

فأسند ظهره الى جدار ووقف يفكر فيما يفعله وقد مالت الشمس الى المغرب فرأى رجلا قادما من القسطنطينية فتشاور عبد الله بمشاهدة ما هو محفور على تلك الآثار من الرسوم الهيروغليفية كأنه يعجب لغريب صنعها . وكان الرجل يظهر تارة ويختفي تارة أخرى في مرورة بين الأعمدة والخرائب وعبد الله يختلس النظر اليه . ثم نظر فاذا به قد اختفى



فعجب عبد الله لأمره وقال في نفسه : « لا بد أن يكون الرجل من اهل ذلك الاجتماع السرى وقد نزل في نفق أو نحوه » . فالتمس المكان الذى ظن أنه اخفى فيه فوجد منحدرًا يظهر لأول وهلة أنه مسدود فنزل فيه وهو يخطو الهوينى حتى انتهى الى ظلمة دامية فوقف وأصاح بسمعه فسمع لفظا فاسبسر بالوصول الى المكان المطلوب ولكنه لم يكن يعرف مدخل تلك المغارة وخاف أن يراه القوم فيقتلوه

فوقف برهة يتردد بين أن يسير منملسا طريقه وبين أن يرجع لياثى سعيد . ثم بدا له أن يتحقق المجتمع أولا ثم يعود ، فخطا بضع خطوات وهو

لا يرى شيئا امامه فلطم رأسه السقف ، فحس طهره وداهمه العطاس لوطوبه
الهواء فعطس عطسة دوى لها المكان وما شعر الا . قد ظهر نور ضعيف وتقدم
بضعة رجال كلهم ملثمون ، عليهم اردية سوداء تريدعهم رهبة فقبصوا عليه
وهو لا يبدى حراكا . ونزلوا به في الممر الى قاعة تحب الارض واسعة وكل
جدرانها وسقفها مغطاة بنسيج اسود مما يجعل المنظر رهيبا : ولولا شمعات
مضيئة في بعض جوانب المكان لكانت الظلمة لا تطاق لكشافتها . ونظر عبد الله
الى ما حوله فرأى في وسط القاعة دكة مغطاة بملاء سوداء لم يدر ما تحنها
ولكنه لم يستطع التامل وقد احس به بضعة عشر رجلا يحقوا العباءات
تحتها السير فركلهم ملثمون . فخطبه واحد منهم يسأله عما يريد .

فقال : « انى جئت اشارككم فيما انتم فيه »

قال : « وما ادراك ما نحن فيه ؟ »

قال : « علمت انكم تدعون الناس الى نصره الامام على . اليس ذلك
ما تدعون اليه ؟ »

قال : « وما شأنك في هذا ؟ »

قال : « شانى هو شأنكم . لا تسيئوا الظن بى انى قادم من الكوفة لهذا
الامر »

فقال له رجل آخر : « كيف تكون امويا وتدعى نصره الامام على ؟ »

فخيل الى عبد الله انه يستمع صوت صديقه الففارى الذى اضاف له
الصباح

فقال : « الست أنت صديقى الففارى . اصدقنى ولا تخف انى والله
جئتكم بخبر مهم اذا اشركتمونى فى امركم اطلعكم عليه وتحققتم صدق
قولى »

فقال الففارى : « اذا كنت صادقاً فيما تقول تعال معى » . ومشى فتبعه
الى الدكة فى وسط القاعة ورفع عنها الملاءة السوداء فاذا هناك مصحف فوقه
سيف مسلول وقال له : « ضع يدك على هذا السيف واقسم بالله العظيم
انك حليف للامام على تنصر نصيره وتحارب عدوه »

فوضع عبد الله يده على المصحف والسيف معا ، واقسم

ثم قاده الرجل الى دكة اخرى رفع غطاءها وتناول قارورة فيها مسحوق
اسود كأنه الكحل فقال عبد الله : « وما هذه ؟ » قال : « هذه قارورة فيها
بقية من رماد ابن أبى بكر الذى احرقتموه ظلما ، فاذا كنت تطلب الهداية
ونصرة الحق فعليك أن تكحل بهذا الرماد وتبكي ذلك القنيل المظلوم وتعاهدنا
على الاخذ بشاره . فهل تقبل وتظل على قسمك ؟ »

قال : « انى معكم فيما تريدون وقد صدقتكم القول »
فتقدم صاحبه ففتح القارورة وأدخل فيها شيئا علق عليه بعض الرماد
فأعطاه الى عبد الله فاكتمل به فهاجت عيناه وانسكب الدمع على الرغم منه
فشاركه الرفاق فى البكاء
ثم أراح الغفارى لشامه وقال : « نعم انى صديقك كما قلت ، ولكن اعلم
انك اذا كنت على غير ما تقول فانى عدوك اهدر دمك بجهد هذا السيف .
قل ما بدا لك »

فلما اطمأن عبد الله تذكر سعيدا فقال : « ان لى رفيقا اريد ان ادعوه
ليشهد ما نحن فيه ويشاركنا فى هذا الجهاد »
فقال له الغفارى : « انك لن تبرح هذا المكان حتى خروجا جميعا فقل
ما تريد »

فاطاع وقال : « لا تعجبوا لانى اموى . فقد أصاب صاحبى الغفارى ،
فقد كنت من انصار معاوية وكنت مطالبا بدم عثمان ، ولكن طرا على طاريء
ساقص عليكم نباه بعد ؛ اما الآن فاقول انى قادم من الكوفة وقد علمت ان أمير
المؤمنين عليا بن ابي طالب قد جمع رجاله هناك فاجتمع له اربعون الف مقاتل ،
وكلهم مستعدون للنزال وبذل النفس والمال فى هذا السبيل »

فقال الغفارى : « ان رجالنا يعدون بالآلاف وكلهم وكل ما ملكت ايديهم
وقف على نصره الامام ابن عم الرسول »

وهم عبد الله باتمام الحديث فاعترضه احدهم قائلا : « عرفتك امويا من
الاعداء الامام ، فما الذى حملك على نصرته مجازفا بحياتك ؟ »

فاخذ يقص عليهم حديث ابي رحاب ، ولم يكذب فوه بكلمتين حتى سمعوا
وقع حوافر الخيل فوق رؤوسهم وقد ارتج المكان فوقهم فانصتوا ووقع
الرعب فى قلوبهم ، وخيل اليهم انها دسيمة من عبد الله ، فهموا بقتله
ولكنهم ما لبثوا ان راوا المشاعل منبعثة من مدخل الممر وقد انهالت الشرطة
عليهم فارادوا الدفاع عن انفسهم فلم يفلحوا ، وتبدت الشرطة وثاقهم وساقوهم
فى ظلام الليل الى القسطنطينية



السجينة الامينة

مكث سعيد في الجامع حتى دنا الغروب ولم يعد عبد الله فجار في امره هل يذهب الى عين شمس أو ينتظر عودة عبد الله . ثم غربت الشمس فلم ير بدا من المسير الى عين شمس كما أوعز اليه عبد الله . فخرج من القسطة وجعل المسلتين وجهته والظلام يكاد يحجبهما عنه فمشى وقد أوجس خيفة من إبطاء عبد الله ولم يعد يرى المسلتين الا اذا برزتا في الافق . ثم اختفيا ولم يعد يراها وخاف أن يضل الطريق . وفيما هو في ذلك سمع ديبسا وقرقة كان جندا قادمًا وراءه فتحنى عن الطريق فاذا بكوكبة من الفرسان مرت به مسرعة نحو عين شمس فأوجس في نفسه خيفة . والتفت الى يمينه فرأى بيتا قائما في بستان . فبدا له ان يتوجه اليه يستفهم عن الطريق . فلما دنا منه سمع صوتا خارجا من بعض جوانب الممر استوقف انتباهه فوقف وأصاح بسمعه فسمع صوتا رخيفا يمازجه بكاء ولم ير هناك نورا ولا رأى أحدا في البستان ، فقصد باب البيت فاذا هو موصد ووضع له صوت الباكي فانصت فسمع صوت امرأة تبكي وتقول : « الا تخاف الله يا ظالم ؟ أما كفالك ما واطأت عليه من قتل البريء حتى رميت الوفا من الناس في خطر القتل الفظيع ؟ هل من نبيء هؤلاء الأبرياء بالوساية بهم فينقذهم من الموت ؟ »

فلما سمع سعيد تلك العبارات أشفعر بدنه ولم يعد يصبر على استطلاع سبب ذلك البكاء . فقرع الباب قرعا خفيفا فانقطع الصوت بغتة ، فصبر هنيهة وكرر القرع ويده ترتعش رهبة فلم يسمع شيئا ، فازداد شوقا الى استطلاع السر ، ولكنه خاف أن يقع في مكيده وهو غريب هناك ، فلبث برهة والهواحي تتقاذفه وقد حدثته نفسه أن بين ما سمعه وبين ما يسعى في البحث عنه علاقة كبرى . وكان الفرسان الذين مروا به قد بعدوا عنه ولم يعد يسمع من وقع حوافر افراسهم غير الدوى البعيد . فابقن أنهم في طريقهم الى عين شمس ولم يفهم سبب ذهابهم اليها في ذلك الليل . وبعد التأمل فيما سمعه ورآه أيقن أن في الامر سرا يهمه الاطلاع عليه

فهز الباب بيده هزا عنيفا كأنه يفتحه بالعنف فلم ينفج ولم يعد يستطيع صبرا فقال بصوت خافت : « هل في المنزل أحد يفتح الباب . . انى غريب ضللت الطريق ! . . »

فاجابه الصوت من الداخل : « ليس في البيت سوى . . والباب مقفل
 لاسبيل الى فتحه »
 فازداد سعيد دهشة واستغرابا وقال : « من انت ايها المتكلم ؟ انى اراك
 في ضيق فهل من سبيل الى انقاذك ؟ »
 فاجابه الصوت : « يا حبيذا اذا استطعته انى حبيسة . من انت ؟ »
 قال : « قلت لك انى غريب ضللت الطريق ، ارينى وجهك او ارشدنى الى
 وسيلة أفتح بها الباب »
 قالت : « عالج الاقفال بالعند ، لعلك تستطيع فتحها فتتقضى ، وربما
 انقذت الوفا من الناس معى »



ثارت الحمية في راسه واستل خنجره وجعل يعالج الاقفال وهى تساعده
 من الداخل حتى فتح الباب فبرزت منه فتاة محولة الشعر عليها رداء اهل
 القسطنطين ولما رأت سعيدا قالت : « من انت اصدقنى الخبر ؟ »
 قال : « اصدقينى انت ولا تخافى ، لقد سمعتك تندين الوفا من الناس
 فمن هم ؟ »
 فتغرسب فيه وتغرس فيها فلم يعرفها ولا عرفته
 ثم قالت له : « من قال لك انى ائلب الوفا ؟ »
 قال : « سمعتك باذننى . افسحى ولا تخافى »
 قالت : « وما يهمك من امر هؤلاء الالوف ؟ »
 قال : « اخاف ان اكون منهم »
 قالت : « وما الذى جاء بك الى هنا ؟ »
 قال : « كنت ذاهبا الى عين شمس فتهت وجئت لاسأل اهل هذه الدار
 عن الطريق فسمعت بكاءك ، فما خطبك . قولى لقد نفذ صبرى »
 قالت : « ابى اخاف العيون ، ولا ائق باحد بعد ان غدر بى ابى فكيف ائق
 بالغرباء ؟ »
 قال : « رب غريب اقرب من القريب . قولى ولا تخافى »

وفيما هما في ذلك سمعا وقع الخوافر وصوت الضوضاء من ناحية عين
 شمس ، فدخلت الفتاة الغرفة وجرت سعيدا بثوبه ولم تغه بكلمة ، فدخل
 في اثرها وقد تولته الدهشة ولبت صامتا . ولم تمض برهة حتى دنت
 الضوضاء منهما وسمعا من بين الأصوات قائلا يقول : « لقد وقعتم في ايدينا ،
 يا الخائنون وعرفنا دسائسكم » . وسمعا لفظا كثيرا مختلطا فظلا صامتين

حتى مر الفرسان كلهم وهم يسوقون جماعة من المشاة موثقين
فلما تواروا عن البيت لطمت الفتاة وجهها وقالت : « لقد نالوا بغيتهم
قبضهم الله وقبضوا على الجماعة »

فقال : « واى جماعة . هل قبضوا على جماعة عين شمس ؟ »

قالت : « نعم انهم قبضوا عليهم واأسفاه »

فدق سعيد يدا بيد وخرج يرقب الفرسان كأنه يريد ان يتحقق طريقهم
فقالت له : « أخالك كنت سائرا اليهم »

قال : « نعم »

فقالت : « لقد نجاك الله من أيديهم وكانما أراد الله ان تضل الطريق لنجاتك »
فاضطرب سعيد واختلج قلبه في صدره وقال : « بالله عليك أفصحى
يا أخية فقد نفدت صبرى ، وقد علمت غرضى فأخبرينى عن حقيقة أمرى »
قالت : « لم أمد أستطيع البقاء هنا مخافة ان يفاجئنا قادم فتكون العاقبة
وخيمة علينا »

قال : « وهل تريدان ان نبعد عن هذا المكان ؟ »

قالت : « نعم هلم بنا ، فإذا خلونا تحادثنا ، وعساك ان تتلافى أمرا لا أزال
خائفة من وقوعه ، وهو شر عظيم » . قالت ذلك وخرجت فمشيت أمامه
وهو يتبعها حتى خرجا من البستان وأوغلا في الحقول ، وهو يسير في أثرها
الى حيث لا يدري ، وكلاهما صامت لا يفوه بكلمة ، حتى دنوا من بناء على
الجدران كأنه لا باب له فقالت له : « هذا دير للقبط فلندخله بحجة الزيارة
فنكون في مأمن ، ومشيت أمامه الى باب صغير في أسفل الحائط مصفح بالحديد ،
فقرعته فأطل عليها من نافذة في أعلى الحائط راهب في يده مصباح وقال :
« من يقرع الباب ؟ »

ولم تمض هنية حتى فتح الباب فدخلوا وقد احتيا راسيهما لضيقه
فاشرفا على ممر دخلا منه والراهب يسير بالمصباح أمامهما حتى انتهيا الى
الكنيسة ، فنظر الراهب اليهما في نور المصباح فعرف ان الفتاة من أهل
الفسطاط بل من أشراهم ، فسر لزيارتهم ورحب بهما وأدخلهما الى غرفة
مضاءة في الجانب الآخر من الكنيسة وسألهم : « هل تحتاجان الى شيء ؟ » .
فقالا : « كلا » . فتركهما وقفل راجما



تأمل سعيد الفتاة على ضوء المصباح فوجدها شابة في مقتبل العمر جميلة
الطلعة وقد احمرت عيناها وذبلت اهدابها من البكاء ، فلم يزدها ذلك الا

حسنا ، وكانت قد ضفرت شعرها في أثناء الطريق وغطت رأسها بطرف ثوبها . فجلسا على وسادة فوق حصير وسعيد في كهفة على حديثها وقلبه يخفق توقعا للبا الغريب ، فابتدراها بالسؤال عن حقيقة أمرها ؟

ف نظرت اليه ولم تكذ تتأمله حتى قالت : « لعلك أحد الغريسين الذين وصلا الى الفسطاط صباح هذا اليوم ؟ »

قال : « نعم ، وما أدراك بذلك ؟ »

قالت : « رأيتكما مع جارنا الفغاري ، وها أنذا أقص عليك خبري الغريب ، وأرجو منك أن تسرع في تلافى الخطر العظيم الذي سيدهم المسلمين قريبا » قال بلهفة : « قولي ، اني لهذا الامر اثبت الفسطاط ، فمضى أن اكون قد وقعت على ضالتي »

قالت : « اني اطلعت على سر لا اظن احدا عرفه قبلي ، الست على دعوة الامام علي ؟ »

قال : « بلى اني على دموته ، وقد جئت في سبيل نجاته »

وهمت بالكلام ، ثم توقفت برهة واطرقت ، فلحظ سعيد ترددها وأدرك انها أساءت الظن به فقال لها : « لا تظني سرك مجهولا لدى واذا شئت قلت له . وليطمئن قلبك أقول أنه يتعلق بالامام علي وفيه خطر على حياته »

فاطمات ولكنها تنهدت وقالت : « اعلم ياسيدي أن أبي يصنع السلاح ويبيعه في الفسطاط ، وقد ربيت وأنا اسمعه يتشيع للامام علي فانفوس حب هذا الامام في قلبي ، وما أنا في حاجة الى مدح أبي الحسن وهو ابن عم الرسول وصهره ، ولكنني ذكرت لك هذا لاطلعتك على التغيير العجيب الذي طرأ علينا فقد كنا ندعو ابدا لعلي بالنصر ، حتى كانت واقعة صفين منذ بضع سنين فلحظت فتورا في غير أبي ، ولكنني لم اعرف لذلك سببا . وقد كنت كثيرا ما اراه يخنلي بجار لنا من بني مراد ، كان يعلم الناس القرآن ، وكنت احسبه من اهل التقوى . ولكنني وجدته وا أسفاه من اهل العداء . وما زالا يتساران في امر هذا العداء ولا يجرؤان على التظاهر به لأن مصر في حوزة الامام علي وعاملها محمد بن أبي بكر . فلما جاءنا ابن العاص بخيله ورجله ، وحارب دعاة علي فقتل ابن أبي بكر قتلة لم يسبق لها مثيل في الاسلام ، استقام الامر للامويين ، فبجاهر أبي بعداء علي ، وكان جارنا المرادي يزيد كرها له . فعلمت انهما تشيعا للخوارج ، فظلت مع ذلك صابرة كاظمة اذ لا سبيل لي الى شيء اعمله وأنا فتاة ضعيفة كما ترى . وكان أبي يظنني على دموته . ففي ذات يوم جاءنا ذلك المرادي يخطنني من أبي فقيل ، أما أنا فلم اجد خوفا من اكراهي على الزواج ، وصممت على الفرار اذا حملني أبي اليه كرها ، وما زلت امأطل في عقد القران الى الآن »

عبد الرحمن بن ملجم

كانت الفتاة في أثناء كلامها عن الزواج مطرقة حياء فلما بلغت هذا الحد رأت سعيدا مصغيا كأنه يتطلع الى اتمام الحديث فقالت : « ولا اطيع عليك قبل ان اصل الى جوهر الموضوع فاقول الى احتملت الامر بالصبر ثم علمت ان المرادى خرج الى مكة فظننته حاجا وتمنيت الا يعود ، ولكننى ما لبثت ان رأيته قد عاد »

قالت ذلك وتنهدت وسعيد ينتظر لسماع ما تقول وقد دهش لغرابة الحديث

فقالت : « عاد المرادى بمهمة جديدة ليتنى مت قبل ان اسمع نبأها ، فاذا لم اجد من يتحمل المشقة في تلافيها تلافيتها بنفسى . . . جاء هذا المرادى ثانيا يوم وصوله الى الفسطاط ، فخلا الى ابي كل الليل ، وانا لا اعلم ما دار عليه حديثهما ، ثم بلغنى انه اوصى ابنى بان يصنع له سيفا ماضيا اتفق عليه الف درهم ، وقضى مائة يوم يشحذه فلم افهم معنى هذا الاستعداد ، ولا اهتممت به ، وبعد ان شحذه كلف ابنى فسقاه السم . وقد علمت انه اتفق على سقايته الف درهم ايضا . فويل لجسم يجرحه هذا السيف ولو جرحا خفيفا »

فعل سعيد ولم يعد يستطيع صبرا على التصريح باسم ذلك الرجل والافصح عن غرضه بمقايمة السيف ، وخامره الشك في انه ربما كان يعد لقتل الامام عليه . وكان قد صبر نفسه حتى يسمع ذلك من فم الفتاة ولكنه مل الانتظار فسألها قائلا : « وما اسم هذا الرجل ؟ »

فقالت : « اسمه عبد الرحمن بن ملجم المرادى »

فلم يذكر انه يعرفه ، اما خولة فتنهدت وقالت : « فلما رأيت منه هذا الاستعداد المريب عمدت الى الحيلة ، فلما جاءنا في صباح امس يودع ابنى وقد عزم على الكوفة ، قلت في نفسى : سيذهب الرجل وانا جاهلة السر ، فظاهرت باعجابى بشجاعته واقدامه ، وأطريت غيرته على الاسلام ونحو ذلك ، وسألته ان يربنى السيف لاثامل فرنده ، فجاء به واوصانى ان اتقى حده لان جرحه يميت ، فسللته بحذر ، فاذا هو يلعب لمانا تقشعر منه الابدان ، فارتعد جسمى ولكننى اظهرت الجلد وقلت : اراك انفقت مالا كثيرا

على صقله ، ما الفائدة من هذا اللمعان ؟
فضحك مستخفا وقال : « اتجسبنينى انفقك كل ذلك المال على صقله
فجسب ؟ »

قلت . « وماذا هناك ، انى لا ارى فيه غير اللمعان »

فقال : « لقد سقيته السم »

فتظاهرت بالدهشة وقلت : « ولاى شىء هذا ؟ » . وما زلت احاوره
واجادله حتى خدع فقال : « اعلمى يا خولة انى سأقتل بهذا السيف رجلا
يرعون انه اكبر رجل فى الاسلام ويقولون انه اقربهم الى الرسول » . قل
ذلك والشر باد فى عينيه واصفرار اللؤم يتخلل ما كان يحاوله من الابتسام .
اما انا فلما سمعته ارتعدت فرائصى واختلج قلبى واطنه قرا ذلك على وجهى .
كيف لا وقد ظهر لى انه يريد قتل الامام على . ولكننى اردت التثبت فقلت :
« ومن هو ذلك الرجل ؟ » . فقال : « الا تعلمين من هو ؟ الا تعرفين سبب
كل هذا الانقسام ؟ فاذا كنت لم تفهمى بعد فاقول لك انه على بن ابي طالب
الذى يدعوه اشياعه امير المؤمنين » . قال ذلك واحمرت عيناه وتجلى القدر
فى وجهه وقال : « احذرى ان تبوحى بذلك لاحد ، والا اصابك جرح من هذا
السيف » . قال ذلك وهو يمزج الجد بالهزل . اما انا فتحققت انه يقتلنى
ولا يبالى ، فالذى يجرؤ على قتل امير المؤمنين كيف لا يقتل فتاة مثلى . فلم
استطع جوابا وخفت اذا انا نطقك ان ينكشف امرى ، فسكنت وقد عولت
فى سرى على السعى لابلأغ امير المؤمنين ذلك على عجل ، لان موعد القتل
قريب واطنه فى ١٧ رمضان ، لانى كثيرا ما كنت اسمعه يذكر هذا التاريخ
ويعرض بذكر الكوفة ، ولم اكن افهم مراده وقتئذ . واما الآن فقد تأكدت
انه هازم على قتل الامام على فى ١٧ رمضان ، ونحن الآن فى اواسط شعبان
واخاف ان ينال هذا الرجل بغيته قبل ان يبلغ الخبر عليا . آه يا ليتنى طير
لاجل الخبر اليه »



نهض سعيد عندما سمع كلام خولة ، وجعل يخطر فى الغرفة ذهابا وايابا
والحمية ملء راسه ، وندم على تركه الكوفة قبل ان يطلع الامام عليا ، ولكنه
تذكر انه لم يكن يعرف اسم المجرم الذى يريد اغتيال حيااته ، فلم تكن نعمة
فائدة من اعلامه ، اما الآن فانه يذهب اليه بالخبر اليقين

وكان مع شدة اضطرابه بعد ان سمع حديث خولة لايفعل ع ما يتجلى فى
وجهها من ملامح الجمال وما فى حديثها من صدق اللهجة ، وقد اعجبه منها
بنوع خاص غيرتها على الامام على ، فشعر بميل اليها . ولكنه تذكر عهده

لقطام وما يظنه من حبها له فرأى الا يطلق لنفسه العنان في حب سواها .
على أنه ما لبث ان عاد الى التفكير في عبد الله ومصره وسبب وجود خولة في
ذلك البيت المنفرد . فقال لها : « لا أدري يامولاتي ما الذي ساقني الى منزلك
حتى حظيت برؤيتك وسمعت هذا الحديث الذي جئت الفسطاط من
اجله . ولا أخفى عليك اني كنت عالما بعزم بعضهم على الفتك بالامام ، ولكنني
لم اكن اعلم اسم ذلك المجرم ، فجئت الفسطاط ومعى رفيق من ذوى قرابتي
كان قد سبقني في صباح هذا اليوم الى مجتمع العلويين في عين شمس ، على
ان يعود الى بخبرهم ، فلما ابدا سرت في الهرة وأنا لا أعرف الطريق فضلت
في الظلام حتى احدثت اليك الحسن حظي . ولكنني في قلق على رفيقي فانه
يلوح لي ان الفرسان الذين شاهدناهم الليلة كانوا قادمين من عين شمس ،
وربما قبضوا على انصار على هناك . . الا تظنين ذلك ؟ »

فقال خولة : « لو صبرت حتى تنمة حديثي لكفيت نفسك مؤونة الظن ،
ويلوح لي انك تود الاطلاع على سبب وجودي منفردة في ذلك البيت المغلق ،
فاعلم اني لما سمعت حديث المرادى سكوت وكظمت غيظي ، فخرج الرجل
واظنه شخص الى الكوفة ، ولبثت انا في حيرة لا أدري ماذا اعمل ، فقضيت
امسى في الهواجس والظنون ، وكلما تصورت عليا مقتولا بسيف هذا الغادر
يقشعر بدني . وكان ابى يخرج الى حانوته في الصباح ولا يعود الا في المساء ،
وعندنا في المنزل عبد رباني منذ حدثتي وهو يحبنى ويكرمنى ، وكنت قلما
أكلمه ، فخطر لي ان انتهز فرصة غياب ابى وأكلم العبد عساه ان يطلعني على
نبا جديد ، او لعلى افهم شيئا آخر . لأن حديث ابن ملجم اتعبني وأقلق
راحتي ، وليس لدى من اشكو اليه امرى ، او اكشفه سرى . فخرجت من
حجرتي لادعو العبد فلم أجده ، فناديت باسمه فابطا ولم يجب ، فنظرت من
الدار الى الطريق فرأيت واقفا مع عبد آخر غريب وهما يتهاوسان . فلما
رأني خجل وأسرع الى ، فدخلت غرفتي ودخل هو في اثرى وعلى وجهه آثار
الاضطراب كانه سمع خبرا غريبا يريد ان يقصه على . فقلت : (ابن كنت
وقد دعوتك فلم تجب ؟) . قال : (كنت مع عبد قادم من الكوفة في مهمة
سرية الى الامير عمرو) . فقلت : (وهل اطلعك على خبرها ؟) . فاراد ان
يبرهن على ثقته بي فقال : (انه اطلعني على سر لا اظن أحدا يعرفه في كل
الفسطاط سوى الامير وبعض شرطته) . ثم أخبرني ان ذلك العبد الذى كان
معه جاء الى الامير عمرو بأن انصارا على يجتمعون سرا في عين شمس يوم
الجمعة ، وان عمرا ارسل جندا للقبض عليهم او قتلهم في ساعة الاجتماع) .
فلما سمعت ذلك لم اتمالك عن البكاء لشدة الغيظ ، ورايت فرضا على ان
ابلق المجتمعين ذلك الخبر ليحذروا . ولكنني لم اكن أعرف احدا اثق به في
انفاذ هذه المهمة فعولت على الذهاب بنفسى ساعة الاجتماع . فاصبحت اليوم
وأنا انتظر خروج ابى الى حانوته ، لانتكر وأسير الى عين شمس ، فلم يخرج

ورأيت مضطربا كأن العبد أخبره بالحديث ، وبأنه أطلعني عليه ، فخاف أبى أن أروح به لأحد قبل القبض على المجتمعين . فلازمني حتى الظهر ، ثم دعاني الى الخروج من القسطنطينية ، فأتينا هذا البيت وهو بيت لشريك لنا في الفلاحة وليس فيه أحد ، فلم أظهر استفرابى ولم أقل شيئا لأنى كنت عالة بأن أبى سيكون فى جملة الذاهبين الى عين شمس فلا بد له من أن يتركنى ، فاذا تركنى خرجت وأنا على مقربة من المكان . وما علمت ما أضمره لى فانه لم تكد الشمس تميل الى الغروب حتى خرج متظاهرا بأن امرا ما يدعو الى الذهاب ، وادعى انه أقفل الباب على خوفا من الغرباء أو أبناء السبيل ، وهو يعلم انى لا أستطيع النداء والاستنجاد لأنى اذا تظاهرت بنصرة الامام كنت من المفضوب عليهم ، فظلت هناك حتى جئت انت ورايتنى فى هذه الحال . فلاشك انهم قبضوا على زميلك فى جملة من قبضوا عليهم من الانصار »

قال سعيد : « هل ترين بأسا عليه ؟ »

قالت : « اظنهم يسجنونه ليستجوبوه ، ثم اذا رأوا قتله قتلوه ، وكذلك يفعلون برفاقه . ولكن لأبأس عليه بأذن الله وسنتدبر أمره . على انى أخاف اذا عاد أبى ولم يرنى فى البيت ان تزيد ثقته على ، فأرى أن أذهب الى منزلنا فى القسطنطينية ، وانظاهر بأنى خفت من البقاء فى البيت وحدى ففتحت الباب بأسلوب ما واتجاهل كل ماحدث ، فعماذا أنت صانع ؟ »

قال : « أود ان اسرع الى الكوفة لأرى ابن ملجم فأقنعه بالمعدول عن جريمته ، أو أخبر الامام عليا »

فبادرته قائلة : « وكيف تقنعه وهو لا يقنع ، بل قد يسرع فى القتل ؟ ليس أفضل من ان تطلع الامام عليا على الأمر وهو يرى ما يراه »

قال : « وكيف أقفل برفيقتى هل اتركه فى السجن ؟ »

قالت « أخاف اذا تأخرت هنا أن تفوت الفرصة والمسافة من هنا الى الكوفة بعيدة ، وانى لأعجب منك كيف كنت عالما بخبر هذه المؤامرة ولم تخبر بها عليا وانت فى الكوفة ؟ »

فتنهده وقال : « كفى السلام فقد وقع ما وقع ، وكنت اظن الكتمان يبعد المصيبة ، وفانى أن أخبرك بأن المؤامرة ليست على مقتل الامام على فقط ، بل هى كذلك على مقتل عمرو ومعاوية أيضا . وقص عليها الخبر موجزا



استغربت خولة الخير وقالت : « مالنا ولهذين ؟ اننا نريد الدفاع عن الامام على الآن ، ولكننى لم أفهم كيف انتقل خبر قدومكما الى هنا وانت تقول انه كان سرا مكتوما لم يطلع عليه أحد »

فكاد سعيد يسيء الظن بقطام ، ولكن الحب اعمى بصيرته فانتحل سببا آخر وقال : « لا ادرى » . وخطر له ان يقص حديثه مع قطام ثم امسك عن ذلك حفظا لعهدا ، ولا عجب فهو سليم التنية لا يعرف الدهاء ، ولهذا لم يطلق لعواطفه الحرية في حب خولة ، مع ما آتسه فيها من جمال وكمال وتغان في نصرة الحق

على انه ادرك خطاه في كتمان خبر المؤامرة عن على الى ذلك الحين ، ولكنه حمله على اهمال من قطام لا على سوء قصدها ، ومع ذلك فقد رأى الامر سهل التلاقي ولا يزال ثمة باب مفتوح لاتخاذ على ببلاغه خبر المؤامرة ، وهذا يدعو الى السفر السريع ، وهو لا يعلم ما آل اليه حال عبد الله فقال لها : « انى عازم على الكوفة في اقرب وقت ، فما الذى افعله برفيقى وانا لا ادرى احنى هو أم ميت ؟ »

قالت : « غدا نعرف الحقيقة ، دعنى اذهب الآن الى منزلنا بالفسطاط ، وامكث أنت هنا الى الصباح »

قال : « كيف استطيع البقاء هنا وحدى ولا صبر لى على استطلاع خبر عبد الله ، فأرى ان ادخل الفسطاط واتردد الى المسجد ، اذ لا يعرفنى احد هناك ، فاما ان اسمع خبرا ممن يفد على المسجد من المصلين أو تبعثى الى بالخبر »

قالت : « لك الخيار في ذلك » . ونهضت فنهض وخرجا فرافقها الى قرب منزلها وودعها وعاد يلتمس بيت الغفارى للبيت وهو لا يدري ان الرجل في عداد المقبوض عليهم ، وقد أصبح بيته موضع شبهة ولم تكن خولة تعلم ذلك ايضا

وكان الجند بعد القبض على المجتمعين قد ساقوهم في الإغلال الى السجن ، وكان عمرو ينتظرهم في داره فلم يصبر الى الصباح وأمر باستقدامهم اليه واحدا واحدا ، فرأى بينهم جماعة ممن لم يكن يخطر له انهم على غير دعوة بنى أمية خصوصا الغفارى . ولما وصل الى عبد الله عرف انه من بنى أمية وعرف قرابته من أبى رحاب ، ولكنه تجاهل ذلك ، وأمر بان يسجن كل منهم في حجرة على حدة ، وبعث جندا يفتشون منازلهم ويقبضون على من فيها من الرجال لعلهم يظلمون على شيء جديد ، ولم تمض ساعة حتى دهم الجند منازل العلويين وأخذوا ما فيها



لما ذهب سعيد الى بيت الغفارى سأل عن صاحبه فقالوا له : انه خرج منذ الظهر ولم يعد . فلم يخطر له انه في عداد المقبوض عليهم ، فدخل

الحجرة التي وضع فيها ثيابه وحاول أن ينام ، ولم يكذب يلقى رأسه على سريره حتى تراكت عليه همومه فأخذ يفكر في عبد الله وماذا عسى أن يكون أصابه ، وخاف أن هو أبطأ في الذهاب إلى الكوفة أن ينفذ ابن ملجم جريمته فيذهب سعيهم عبثا

وفيما هو في هذه الهواجس وقد طار نومه سمع لغطا في الدار ، ثم علت الضوضاء وضج الناس فوقف وتسمع فإذا برجال عمرو قد دخلوا المنزل وأوغلوا في النهب وآذوا كل من تعرض لهم فأيقن أنهم آتون إلى حجبرته ، وسيفتكون به ، فتقلد حسامه والتفت يمينا وشمالا لعله يجد مخرجا ينجو منه فسمع صوتا يناديه من وراء الحجرة فاستأنس بالصوت وعرف أنه صوت خولة ، ولم يكن له سبيل إلى رؤيتها غير نافذة عالية يشرف منها إذا صعد على مرقاة ، فاحتال في الصعود إليها وأطل وكان الظلام حالكا ولكنه رأى شيئا وسمع صوت خولة تقول له : « انهم سيفتكون بكل من في المنزل ، فاليك هذا الخمار والجلباب فالبسهما وافتح الباب وأخرج ، وسيظنونك امرأة فلا يتعرضون لك » . فمد يده وتناول الخمار والجلباب فارتداهما وهو يرتعش مخافة أن تفاجئه الشرطة قبل خروجه

فلم يكن الا كلمح البصر حتى فتح باب الغرفة وأخرج بزي امرأة فرأى الضوضاء على أشدها ، ولم يتعرض له أحدا في إبان النهب ، فمشى إلى الشارع وراء البيت فرأى خولة واقفة فلم يتمالك من الإعجاب بشهامتها والاقرار بفضلها برغم دهشته وبغته . ثم رآها تمشي أمامه فاقتفى خطواتها حتى وصلا إلى مكان منفرد فوقفت وقالت له : « الحمد لله على سلامتك وسلامة الإمام على » . فلم يفهم مرادها فابتدرته قائلة : « لا تعجب لقولي فإن حياة الإمام على تتوقف على حياتك إذ ليس هنا من يعلم الخطر الذي يهدده سواك . نعم اني انا أعرفه أيضا ولكنني لا أراي استطيع الذهاب ولا آمن على السر أحدا »

فقال : « أما انا فلا مطمع لي في الحياة الا بانقاذ الإمام من القتل وأنت صاحبة الفضل ، ولكن كيف عرفت بالخطر المحدق بي حتى جئت بهذه الحيلة »

قالت : « علمت من أبي أن عمرا أمر بنهب منازل العلويين والقبض على من فيها من الرجال ، وأخبرني أيضا أن الفغاري كان من المقبوض عليهم ، وقد علمت أنك مقيم بمنزله فجئت إليك بهذه الحيلة . فالحمد لله على سلامتك »

فشعر سعيد بفضل خولة وأحس بميل إليها ولكن حبه لقطام مازال غالبا على قلبه لا يترك له سبيلا إلى سواها

وبعد التأمل برهة قال : « وما العمل الآن ؟ اني عازم على الكوفة عاجلا ، ولكنني لا أدري ما ألم بعبد الله ولا ما يؤول إليه حاله . هل علمت شيئا عنه ؟ » فتشاغلت خولة عن الجواب باصلاح ثوبها كأنها تحاول اخفاء ما تعلمه ،

فظنها لم تسمع كلامه فأعاد السؤال . فقالت : « لا يعلم المستقبل الا الله ؟ » فلم يعجبه جوابها فقال : « افصحى عما تعلمينه باخولة » قالت : « ان عمرا امر بقتل العلويين في فجر هذا الصباح ولكن من يدري ماذا حدث ؟ »

فاختلج قلب سعيد ايما اختلاج ، وشعر كأنما صب عليه الماء الساخن ، وقال : « ماذا تقولين ؟ هل يقتلون عبد الله ؟ كيف يكون هذا ؟ » فقالت : « دع الامر لله واعذرني . انى لا استطيع البقاء معك طويلا لئلا يظن ابى لغبابى فلا انجو من القتل . واما انت فحياتك في خطر عظيم ، فاخرج من القسطنطينية حالا »

فابتدرها قائلاً : « كيف أخرج وأترك عبد الله يقتل ؟ انه ابن عمى واعز من اخى . كيف العمل ؟ »

فقالت له : « لآخرة في الواقع ، فان شرا واحدا هون من شرين ، والوقت ضيق لا مجال فيه للسعى أو البحث عن سبيل لاتقاذ حياة عبد الله اذا قدر الله قتله ، ونحن الآن في منتصف الليل وسينفذ القتل عند الفجر » . قالت ذلك وسكنت هنيهة

فابتدرها سعيد قائلاً : « ما قولك في ان اقابل ابن العاص ، وأنبئه بعزم بعض الناس على قتله واحذره من الوقوع في الخطر ؟ الا تظنينه يغفو عن قتل عبد الله مكافأة على هذا الجميل ؟ »

قالت : « ربما عفا ، ولكنه لدهائه ولقسوته قديظن في قولك السوء فيقبض عليك ويؤجل قتل عبد الله حتى ١٧ رمضان ، فإذا لم يظهر صدقك قتلكما معا . فهل انت واثق من مجيء المتآمر على قتل عمرو في ميعاده ، حتى لاتكون النتيجة زجك بنفسك في التهلكة ؟ اترك هذا الامر لى فلغلي اهتدى الى وسيلة اذهب بها الى عمرو واطلعه على هذا السر . فاذا رأى ان يقبض على فليفعل والله الامر . اما انت فسر الى الكوفة قبل فوات الفرصة لأن الوقت قصير ، ووقتي الآن اقصر منه . والان دعنى اذهب الى أبى قبل ان يعلم بغيبابى فيعرقل مسعاى ، واقصد انت الى الدير الذى كنا فيه في اول هذا الليل وسأتيك بالخبر . ولاتنس ان تنزع النقاب والازار وادخل بثوب الرجال فرئيس الدير يعرفك فلا يسىء بك الظن » . وانصرفت مسرعة الى منزلها وهو يود لو أنها لاتفارقه



مشى سعيد وهو مضطرب قلق لا يدري الى اين يسير فاذا به قد خرج من القسطنطينية ووصل الى حافة ترعة ظنها لأول وهلة نهر النيل . ثم رأى ضيقها

فعلم انها خليج . وكان الظلام حالكا فوقف برهة يفكر في عبد الله ومصره والخطر المحقق به فازداد قلقا

وظل واقفا مشردا ذهن وحانت منه التفاتة فرأى بالقرب منه نخلة فجلس على حجر تحتها واستند ظهره اليها وجعل يسبح في بحر خياله ومصابئه . فتذكر قطام وعودها وما من له معها من الاحداث . وكان الجو هادئا لا يكدره الا نقيق الضفادع على شاطئ الخليج فتشاءم وخيل اليه ان عبد الله قد مات ، فرجف وجلا وقال في نفسه : « ابقى انا هنا وعبد الله في الخطر الشديد ؟ ماذا تكون حاله مع عمرو ؟ . ايقتله ام يستبقيه ؟ وماذا اعمل : هل ابقى في الفسطاط لانقذه من القتل ؟ ام اسير الى الكوفة لانقاذ الامام علي ؟ ولكن ما الفائدة من بقائي هنا وابن العاص قد امر بقتل عبد الله في صباح الغد ؟ لا بد من المبادرة الى انقاذه » . قال ذلك ومضى محاذيا الخليج جنوبا وهو ينظر اليه ، فتذكر انه خليج امير المؤمنين وقد حفره عمرو بن العاص لما فتح مصر منذ عشرين عاما لارسال المؤونة فيه الى الحجاز تلافيا لما كانوا يخافونه من القحط هناك . وكان قد حفره باشارة الخليفة عمر بن الخطاب لما كانت الخلافة في المدينة ، فتذكر حال الاسلام في ذلك العهد وما كان فيه من اجتماع الكلمة وما فتحته سيوف المسلمين من البلاد الواسعة في الشام ومصر والعراق في بضع عشرة سنة . وكيف تحولت تلك السيوف بعد مقتل الخليفة عثمان الى الفتنة فانقسم المسلمون فيما بينهم ، وشغلوا عن تثبيت ملكهم بالحروب الاهلية حتى أصبحوا يقتلون خلفاءهم ويتهمونهم تهما ما أنزل الله بها من سلطان . وأبج ما آلت اليه الفتنة تأمرهم على قتل امرائهم ، ولا سيما الامام علي وهو ابن عم الرسول وخيرة قواد المسلمين ، ولا ذنب له غير العمل على تأييد الكتاب . فلما تصور تلك الحال انقبضت نفسه وحزن حتى كادت تخنقه العبرات وهو لا يدري ايبكي عبد الله ام يبكي الاسلام ام يبكي الامام عليا ام يبكي سوء حظه الذي قاده الى الفسطاط فوقع فيما هو فيه ؟

وكانما امتزته هزة من الحماسة فوقف على الخليج وجعل يناديه قائلا « ايها الخليج ، اليس امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، هو الذي اشار بحفرك قل لي بمائك الذي يجري فيك هل علم ابن الخطاب لما اذن بذلك ان دولة الاسلام سيقضى عليها بالانقسام حتى يحمل عامتهم على خيلتهم ليقتلوه . ثم يخلطوا على الخلافة ليقسموها ، ثم يختصموا على اقتسامها ؟ . هل خطر لابن العاص يوم نزل وادى النيل وحاصر هذا الحصن المنيع حصن بابل انه سيجرد سيفه على المسلمين ويقتل ابن أبي بكر حرقا بالنار ، ثم ينقم على ابن عم الرسول فيخرج الخلافة من يده بالخييلة ؟ . أين هو عمر جامع كلمة المسلمين ؟ . كانت المدينة مقر الخلافة في عهده فاصبحت منقسمة على نفسها يدعيها غير اهلها . . رباها ما هذه الحال ؟ ياليتنى مت قبل هذا . هنبأ لك يا ابا رحاب ان عظامك ساكنة في التراب وروحك تنتظر لقاء ربها يوم الحساب

أنا أنا فاني تائه بعدك تتنازعني عوامل لا أدري مصدرها ولا أعلم مصيرها ،
البقى هنا لأرى مصير أخى عبد الله ؟ أم أسرع الى الكوفة لأبئى الامام بما
تأمروا به عليه ؟ . ولكن ما الفائدة من بقائى ؟ هل يعفو عمرو عن عبد الله
فيبقى حيا فإراه ؟ ما أظنه يفعل ، وما أظن اننى أستطيع الدفاع عنه ؟ »

ثم تذكر خولة فقال : « آه ياخولة ، يخيل الى انك ملك كريم ارسلك الله
لترشدني الى سواء السبيل . . فهل يتم السعد على يدك وتنقذين عبد الله
من القتل ؟ »

وفيما هو في ذلك يمشى الهوينى على ضفة الخليج ، سمع لفظا وحركة عن
بعد ، فأجفل وتقدم نحو الصوت وهو يحرق بنظره ، فعلم انه بجانب فم
الخليج عند اتصاله بالنيل ، ورأى في النيل سفنا كبيرة وسمع دويا عميقا كان
لصوصا يهمسون فيما بينهم ويحاذرون أن يسمعه أحد . وكان ما زال
لبلباس النساء فخاف أن يراه أحد فينكشف امره ، فانزوى وراء جيزة كبيرة
بقرب الشاطئ ، ثم تسلق أحد فروعها واختبأ بين الأغصان والاوراق مبالغة
في الحذر حتى اذا استقر على غصن غليظ جعل يتفرس فيما يراه فاذا هناك
بضعة وعشرون رجلا يحيطون بآخرين في مثل عددهم كأنهم أسرى مغلولون
يساقون الى قارب كبير ، وسمع بعضهم يقول : « الى أين أنتم ذاهبون بنا في
هذا البحر ؟ لعلمكم تريدون اغراقنا ؟ » . فشجبه أحدهم قائلا : « وما علينا
اذا اغرقناكم ، وأنتم عصابة شريرة تأمرتم على نصره رجل قتل الخليفة عثمان ؟ »
فصاح آخر : « أهذه أعمال ابن العاص ، يقتل الرجال غيلة ؟ . أما كفاه انه
طلب الخلافة لصاحبه بالحيله حتى يقتل نساء الحق غرقا ؟ . . أما تخافون
الله ؟ الا تخافون يوم القيامة ؟ »

فصاح به آخر وقال : « لاتخف اننا امرنا بنقلكم الى جزيرة الروضة تبقون
فيها أياما » . ثم علت الضوضاء فعلم سعيد انهم أنصار على الذين قبض
عليهم تلك الليلة في عين شمس . فظن أن ابن العاص أشار بقتلهم غرقا في
النيل ، فارتعدت فرائصه حتى كاد ان يقع ، وحدثته نفسه أن ينزل لنصرتهم ،
ولكن الخوف غلب عليه فانه أعزل وهم عصابة كبيرة بالسلاح ، فلبث برهة
كانها سنة وهو يرتجف غضبا ، وتسمع لعله يسمع صوت عبد الله أو يراه
فلم يسمع شيئا ولم ير شيئا ، وما هي الا دقائق معدودة حتى احتوى القارب
القوم ثم أداروا الدفة وهو ينظر اليهم وقد ندم على سكوته وود لو انه أظهر
نفسه لعله يستطيع نجدة أولئك المظلومين أو يقتل . ثم تذكر أن في بقائه حيا
نفعا للامام على ، فمكث برهة كأنه في حلم يتردد بين الندم والأسف حتى
توارت السفينة عن بصره فإيقن أن عبد الله ملاق حثفه وسيذهب ومن معه
طعاما للأسماك

واشتد اضطراب سعيد وهو أجسه ، ثم بكى ونزل من الشجرة وهو يندب

عبد الله ويوبخ نفسه لضعفه وتردده قائلاً : « أرى عبد الله يساق الى القتل ولا انصره ؟ يا للجن وبيا للخيانة ! . وكيف اتخلى عن رجل ذهب ضحية حبه لي ، فانه لولاي لم يات الى هنا ولا رأى ما رآه من الشقاء . . فما الفائدة من حياتي الآن انى لا أستحق البقاء ولا بد من ان القى نفسى فى هذا الماء على القى صديقى عبد الله » . قال ذلك وهم بأن يلقي نفسه فى النيل فشعر بقوة خفية اوقفته بغتة ، وفكر فى الامام على وما يحدث به من الخطر فقال : « اذا قتلت نفسى فانما اقتل عليها معى . نعم اقتله لأنى اذا لم اذهب الى الكوفة وانبئه بعزم ابن ملجم ذهب قتيلاً بذلك السيف المسموم . آه ياخولة أين وعدك بانقاذ عبد الله ؟ . . ولكن ما ذنبك وانت لاتعلمين انهم سيسرعون فى القائه فى اليم قبل الصباح . . هذا دهاء ابن العاص ومكره . ولكنه سوف ينال جزاءه من اولئك المتأمرين . . ليتنى انبأته بالمؤامرة وجعلتها فدية لعبد الله . ولكن قضى الامر ولا خيرة فى الواقع »

ثم سكت وجعل ينظر فيما حوله وقلبه لا يطاوعه على التطلع الى اتجاه القارب . فأراد أن يعود الى المكان الذى أتى منه فرأى شبحاً مسرعاً نحوه فخاف وتهاى للقتال اذ رآه يقترب منه . فلما اقترب الشبح اذا هو امرأة فعجب لقدومها وحدها فى ذلك الليل ولكنه ما كاد يتفرس فى قيافتها حتى علم انها خولة ، فخفق قلبه وغلب الحجل عليه لما رآه من جراتها واقدامها ليلاً وهى فتاة لا يحملها على القدوم ألا السعى فى انقاذ عبد الله . فحدثته نفسه أن يختبئ خجلاً ، ولكن المفاجأة اذهلته فدنا منها وناداه . فلما عرفت صوته صاحت : « أين عبد الله ؟ »

فأراد أن يجيبها فاختنق صوته وسبقته العبرات

فدنت منه وهى تقول : « سعيد ، هل رايت أحدا جاء الى هنا ؟ وما الذى جاء بك انت ؟ »

قال : « رايت الشرطة يحملون الاسرى فى قارب »

قالت : « وأين هم ؟ أين ذهبوا بهم ؟ . . هل رايت عبد الله معهم ؟ »

قال : « أخذوهم فى القارب ، ولا ادرى اذا كان عبد الله معهم ام لا ، لأنى لم اسمع صوته ولا رأيت »

- فدقت بدا بيد وقالت : « لابد من أن يكون معهم . آه ما الحيلة الآن ؟ ما كنت أظن ابن العاص يعجل بقتلهم هكذا . . ولماذا لم تحاول الدفاع عنهم ؟ »

فقال والاعتذار والحجل يتنازعانه : « لم أكن أعلم ان عبد الله معهم ، وهبى انى علمت فكيف أستطيع انقاذه وأنا اعزل وهم جماعة مسلحون ؟ »

فصمت خولة ثم قالت : « حسنا فعلت فابقيت على نفسك لاتنقاد الامام على ، لان حياته موكولة الى الاسراع فى رجوعك »

فقال بلهفة : « وانت ما الذى جاء بك وكيف عرفت أمرهم ؟ »

قالت : « علمت ذلك من عبدنا ، وكنت قد أعددت حيلة أدخل بها على عمرو لاستمهله فى أمر عبد الله باطلاعه على سر المؤامرة ، فعلمت أنه بعث بهم هذه الليلة لاقائهم فى النيل حذر الفتنة أن هو قتلهم جهارا ، وهو يعلم كثرة انصارهم فى الفسطاط . فأسرعت لعلى استطيع انقاذ عبد الله ولكن لم يسعفنى القدر . . واأسفاه عليك يا عبد الله . آه من أهل الظلم . ان ابن العاص غلب عليا بحيلته فأخرج الخلافة من يده لسداجة أبى موسى الأشعرى ولكنه لن ينجو بنفسه من غائلة المؤامرة »

ثم دنت من سعيد وقالت : « ان فقد عبد الله مصيبة علينا لأنه شوم وسيد هب ضحية مروءته ، على أننا نرجو أن نعتاض عن فقدنا بانقاذ الامام على من خطر القتل ، فاركب الى الكوفة على عجل وتعم المهمة التى حثت من أجلها . فها قد عرفت اسم المتآمر ، وأنه سار الى الكوفة فأسرع ما استطعت قبل فوات الفرصة »

وكان سعيد مع شدة تأثره بما رآه تلك الليلة من الاحوال لا يفغل عما أبدته خولة من الحمية والشجاعة فازداد حبا لها وأعجابا بشهامتها ، وفيما هو يفكر فى ذلك ابتدرته قائلة : « اعلم يا سعيد انى خرجت الليلة من بيت أبى مجازفة بحياتى وأنا احسبك فى الدير كما تواعدنا ، وكنت عازمة على الذهاب لاحك على السفر ثم اعود الى أبى وأنتحل له سببا لخروجى . أما وقد التقينا هنا فانى استودعك الله وأرجو منك أن تسرع فى الذهاب ، وسارسل اليك جلا مع عبدنا ليسير فى ركابك الى الكوفة »

فأعجب سعيد بحسن تدبيرها ورباطة جأشها ، ورأى نفسه ضعيفا بين يديها ولم يستطع مخالفتها فقال : « سيتبين لنا الخيط الأبيض من الخيط الأسود قريبا وها أنذا ذاهب الى جبل المقطم ، فهل يوافينى عبدك وجلك الى هناك ؟ »

قالت : « انه سيوافيك حتما . سر بحراسة الله واحذر ان تفوتك الفرصة . ان ابن ملجم قد سبقتك الى هناك . . هل علمت ذلك ؟ » . ومدت يدها اليه فصافحها ويده ترتعش وقد نسي نفسه لحظة ، ثم ما هو بسبيله ، فأخذ يودعها وقلبه يضطرب حبا لها ، واعتزم . وبين نفسه اذا نجح فى مهمته أن يطلق لقلبه العنان فى التقرب من خوله . قال لها : « أمل أن تذكرينى وتدعى لى بالتوفيق »

قالت : « اذهب فانى معك بقلبي وان لم أبرح الفسطاط ، وأرجو أن نلتقى يوم ينجو الامام من أيدي الظالمين وينال ما يستحقه من الاستئثار بالخلافة » ثم ودعته وأحت عليه فى الاسراج فى السفر ، وأكدت له أن عبدنا سيلاقيه ومعه الجمل وراء المقطم ، ثم توجهت الى الفسطاط

فلما تركته وحده أدار وجهه الى النبل حيث كان القارب ، وتأوه وتحسر
 قال : « أستودعك الله ايها الصديق الحميم ، أستودعك الله ايها الأخ الحبيب ،
 هيباً لك ذهابك ضحية في سبيل نصره أمير المؤمنين فستلقى ربك باسمي
 مفتخراً ، فادع لي أن ألقاه أنا أيضاً منتصراً على القوم الظالمين »
 قال ذلك واتجه نحو جبل المقطم ، ولم يدركه حتى انبلج الصبح ، فلقى
 العبد قد سبقه الى هناك ومعه الجمل وسائر معدات السفر



فلنتركه سائماً ظعنه يطوى البید طياً ، ولنعد الى قطام بالكوفة وما كان
 من دهانها ومكرها بعد سفره . وكانت قد أرسلت عبيدها الى الفسطاط
 للوشاية بسعيد وعبد الله ثم خلت بلبابة فقالت لها : « لقد تمت لنا الحيلة في
 قتل هذين المذنبين فانهما مقتولان لا محالة . وبقي علينا أن نعلم من هو
 المتآمر على قتل علي ، فاذا عرفناه شجعناه على قتله وساعدناه »

فضحكت لبابة وقالت : « انه لأمير سهل ، فان عبدك ربحان ماهر ذاهية
 اخذ عن سيدته ، ولا نظنه الا عائدا اليها بالخبر اليقين ، وأما تحريض المتآمر
 على القتل فهو أسهل ، ولا سيما اذا رأى هذا الوجه الجميل فيفتن به لا محالة ،
 فما عليك حينئذ الا أن تعديه بالزواج وتجعل قتل علي مهراً لك فما قولك؟ »

فقالت قطام : « بورك فيك يا خالة ، اما وعده بالزواج فأمر سهل علي .
 ولا نظننا نحتاج في البحث عن ذلك الرجل الى منسقة فانه اذا دنا الميعاد
 المضروب لا يد قادم الى الكوفة ، واذا جاءها فلا بد من أن يطلع احداً من اهلي
 على عزمه لعلنا على دعوته . فاذا عرفناه هان علي كل عسر »

ولم يهل شهر رمضان حتى تحدث اهل الكوفة بتوقع حادث فظيع يخشى
 منه على حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وكان الناس يتداولون الخبر
 همساً ولا يعرفونه اهتماماً لعدم نهوض الدليل من شاهد أو عارف للقاتل
 المنتظر ، فضلاً عن علم العقلاء أن أمثال تلك الاشاعات تروج في مثل ما كان
 فيه الامام علي يومئذ . ولم يفت الامام وحاشيته شيء من تلك الاشاعة ،
 ولكنهم لم يعبأوا بها وأخذوا أهله وأصحابه على أنها اشاعات ينشرها ذوو
 الأغراض . هذا مع العلم أنك قلما ترى حادثاً فظيماً لم تتقدمه الاشاعات
 المنبئة بقرب وقوعه . ومهما يكن من الأمر فان اهل الكوفة كانوا يتحدثون
 ببلاء يتوقعون نزوله بأمر المؤمنين ولكن أكثرهم كانوا لا يكثرثون

ومضت أيام من شهر رمضان ، فتلفت قطام لعرف من هو المتآمر على
 قتل الامام على بتنصره أو تحرضه . فلما اقترب نصف الشهر ولم يأت
 احد ولا سمعت بأحد ظنبت المتآمرين قد رجعوا عن عزمهم تهيباً وورفاً .

واستبطلت عودة عبدها ربحان ، وكانت في انتظار قدومه لعلها تسمع منه شيئاً عن المؤامرة ، ولكن تسأله عما آلت اليه حال سعيد وعبد الله . على أنها لم تكن تشك في وقوعهما في الفخ

ولما كان الخامس عشر من رمضان وقطام في بيتها ومعها لبابة سمعتا قرعاً بالباب ، فنهضت لبابة فسمعت جمجمة جل عرفت انه جل ربحان فأسـرعت الى الباب ففتحته ودخل ربحان فقبل يدها وهو ما زال بلباس السفر ودخل توا الى غرفة سيدته . فلما رآته ابتسمت له ابتسامة عوضت عليه كل شقائه . فتقدم لتقبل يدها وهو مشرق الوجه اشارة الى نجاح مسعاه . فقالت : « اني اقرا آيات البشر على وجهك رغم سواده ، فاقصص على تفصيل ما قمت به من آيات الدهاء والمهارة »

فقال وهو ينفض الغبار عن لحيته ووجهه : « ركبـت الى الفسطاط فوصلت اليها يوم الخميس قبل وصول سعيد وعبد الله بيوم ، فسرت توا الى الأمير عمرو بن العاص ، وقصصـت عليه خبر القادسين وان في الفسطاط جماعة من انصار على يجتمعون في عين شمس كل جمعة . فأمر رئيس شرطته أن يتأهب لداهمتهم ، وخفت أن يهاجوا المكان قبل وصول سعيد وعبد الله ولكنهما وقعا في الفخ ، فانهما ذهبا الى الجمعية وقبضت الشرطة عليهم جميعا ، ولكنني لم ار سعيدا في جملة الأسرى »

فابتدريته قطام قائلة : « هل قبضوا على كثير من الأنصار ؟ »

قال : « قبضوا على نحو عشرين وعبد الله معهم »

قالت : « وسعيد ؟ »

قال : « لم أره ، واظنه تأخر عن الاجتماع فلم يشهده فنجبا بنفسه »

قالت : « وماذا فعلوا بالأسرى ؟ »

قال : « ساقوهم الى النبل وأماتوهم غرقا في الليلة التي قبضوا عليهم فيها »

فاشرق وجه قطام ، ثم انقبض بفتنة ولبابة تنظر اليها كأنها تلتذ بالتأمل في ملاحظها . فلما رأتها انقبضت همت بها وقالت : « ما بالك ، ما الذي كدرك ؟ »

قالت : « ان سعيدا ما زال جيا فأخاف أن يعرقل مساعينا »

قالت لبابة : « لا خوف منه لأنه كما تعلمين سلس القياد تنظلي عليه الحيلة بسهولة . وأما عبد الله رفيقه فقد رايت فيه دهاء وكرا فالحمد لله على نجاتنا منه »

قالت : « صدقت ولكن سر المؤامرة عند سعيد فأخاف ان يجيء ويطلع عليا عليها فيحتاط لنفسه فيذهب سعينا هباء منثورا »

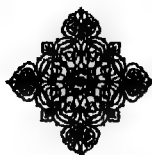
فأطرقت لبابة برهة ثم التفتت الى ريحان وقالت : « هل عرفت الرجل المتأمر على قتل علي ؟ »

قال : « علمت أنه من بنى مراد واسمه عبد الرحمن بن ملجم »
فبغت لبابة وصاحت : « ابن ملجم . . ؟ لقد هان الأمر ! »
قالت قطام : « وهل تعرفينه ؟ »

قالت : « أعرفه جيدا ، وهو جرىء لا يصلح لمثل هذا العمل أحد سواه ، فإذا كان هو الرجل فقد نلنا المرام فإنه مغرم بالحسان ويتفانى في سبيل مرضاتهن » . ثم أدنت فمها من أذن قطام وقالت : « لا شك أنه اذا رآك وقع في هواك » . ثم التفتت قطام الى ريحان وقالت : « هل رأيته قبل مجيئك ؟ »
قال : « لا ولكنني سمعت أنه قدم الكوفة يوم وصولى الى الفسطاط . وقد كنت أظنه زاركم لأن حزبنا فى الفسطاط يعلمون كرهنا لعلى ، وسعينا فى اخراج الأمر من يده »

فقالت : « بالله سر الى عشتري وابحث عن الرجل واثنتى به ، وحاذران يدرك أنك قادم من قبلى »

وخرج ريحان فتبعته لبابة الى حديقة البيت فوقفت به فى ظل نخلة وهمست فى أذنه قائلة : « اذا لقيت الرجل فقل له ان خالتك لبابة هنا وهى تريد أن تراك لأمر ذى شأن ، واستعجله واذكر له انى مقيمة بمنزل سيدتك قطام ، واحتل فى حديثك لتفهمه ما عليه سيدتك من الحسن والجمال وانى قد أمهد له للزواج بها . وانت فطن لبق تحسن تصريف الأمور » . فهرول ريحان ذاهبا



لبابة وابن ملجم

عادت لبابة الى قطام مسرورة مبتسمة تقول : « لا ريب اننا فزنا بمرامنا،
وقلبي يحدثني بان عليا سيقتل ويشفى غليلنا منه على أهون سبيل »
اما قطام فظلت صامتة مقطبة الحاجبين كأنها تفكر في أمر ذي بال . فسألتها
لبابة : « ما بالك يا قطام ما الذي حدث فأوجب هذا الاهتمام ؟ »
قالت : « انى خائفة يا خالة »
قالت : « ما الذي يخيفك ؟ »

قالت : « انى خائفة من سعيد فقد قال لنا ريحان انهم لم يقبضوا عليه
في الفسطاط ، ولا يبعد أنه عرف اسم ابن ملجم والميعاد المضروب لتنفيذ
المؤامرة ، فيأتى بالخبر الى على ، وتذهب مساعينا وجهدنا عبثا »
فقلت لبابة : « وما الراى يا بنية ؟ »

فقلت : « لا بد لنا من تدبير الأمر بالحكمة وتدارك الأمر قبل وقوعه »
قالت : « فما الراى ؟ »

قالت : « أرى أن نسعى في منعه من الذهاب الى على . فقد يتراءى له
أن يسير اليه حال وصوله الى الكوفة »

قالت : « هذا سهل فانا نبعث ريحان لينتظره في مكان خارج الكوفة
لا بد له من المرور فيه ، فاما أن يؤخره عن دخول الكوفة واما أن يدعو الينا
بحجة اشتياقك الشديد اليه ! ولا أشك انه اذا سمع بشوقك نسي كل شيء
وطار اليك . ومتى جاءنا استبقيناه اما طائعا أو مكرها . ما قولك ؟ »

قالت : « أرى رأيك ، ولكننا الآن في الخامس عشر من رمضان ولم يبق الا
يوم واحد على الموعد المضروب ، فلا بد من المبادرة بارسال من يوقعه خارج
الكوفة او يستقدمه الينا ، وريحان خرج في مهمة الى اهلى وقد يبطيء »

قالت لبابة : « دعى هذا الى . ها انذا ذاهبة في أثر ريحان فأبعثه الى
خارج الكوفة ، وأبحث عن ابن ملجم بنفسى وذلك سهل على لائى اعرفه » .
قالت ذلك وتبرقعت وتناولت عكازها وخرجت تعتو عدو الشباب

وخلت قطام الى نفسها وتأملت ما هى فيه من الصعاب وراجعت في
مخيلتها ما دبرته من الحيل في سبيل قتل الامام على ، فرأت أنها أحسنت

بارسال ريحان ، فانه اذا نجح في تأخير سعيد ، ونجحت لبابة في استقدام ابن ملجم ، وفازت هي باغرائه وتشجيعه ، نالت بفيثتها وانتقمت لابيها وأخيها . ولما تصورت وقوع ذلك ارتاحت نفسها ، وهون عليها حبها للانتقام وما جبلت عليه من السكر ، تأنيب الضمير على جريمتها . ثم عملت ذهنها فوجدت أنه ينقصها احتياط واحد لا بد من تداركه . وذلك ان سعيدا قد لا يلتقى بريحان لاختلاف في الطريق أو ربما التقى به ولم يصغ الى قوله وقصد فوراً الى الامام على فأطلعه على سر المؤامرة . فلما تصورت ذلك خفق قلبها واضطربت ونهضت وجعلت تمشي في غرفتها ذهاباً وإياباً وتخرج منها الى الغرفة الأخرى وهي تترقب عودة لبابة ليتداولوا في الأمر معا وندمت على ارسالها قبل أن تفتن لهذا الأمر

وزاد قلقها فخرجت الى حديقة النخيل وكانت الشمس قد تكبدت السماء وانحصرت الظلال واتفق وقوع شهر رمضان في تلك السنة (٤٠ هـ) في ابان الشتاء لانه يبدأ في العاشر من يناير وكان اليوم صحوا يحسن الخروج فيه الى الخلاء في ساعة الظهر للاستدفاء بأشعة الشمس . فمشيت بين النخيل مبتعدة عن السور الذي يلي الطريق الى ما يلي البحيرة وهي لا تكثر لما حولها من صرير أو تغريد أو نقيق فقد انصرفت الى ادراك غرضها



قضت في الحديقة ساعة وحدها حتى ملت الشمس وحرارتها وهمت بأن تدخل المنزل ، وفيما هي عائدة سمعت أناسا يتكلمون عن بعد ، فوقفت على أرومة نخلة كانوا قد قطعوها للوفود منذ عامين والتفتت فرأت شبحين لم تلبث أن عرفت انهما لبابة وعبد الرحمن بن ملجم . فانصرفت الى اتقان الحيلة فدخلت البيت على عجل وكانت قد رأت لبابة تكلم عبد الرحمن وتشير اليها باصبعها . وعمدت الى النقاب فأرسلته على رأسها وجلست على وسادة تعودت الجلوس عليها اذا استقبلت الزائرين من الغرباء . ولبثت صامتة تنتظر دخول لبابة ، وما لبثت أن سمعت صوت ضحكها قبل سماع خفق نعالها . وبعد قليل دخلت لبابة وحدها فاستقبلتها قطام استقبال المشتاق ودعتها الى الجلوس

فقالت : « لا اجلس قبل ان ادعو رفيقا لي صحبتك لزيارتك »

فبالت : « اهلا بك وبرفاقك اجمعين . فليدخل »

فصاحت لبابة للحال : « أدخل يا عبد الرحمن »

وما اتمت كلامها حتى وقف في الباب رجل طويل القامة نحيف البدن ، خفيف اللحية اشمطها ، براق العينين يكاد الشرر يتطاير منهما ، وعليه

العباءة والقفطان والعمامة وآثار السفر لا تزال بادية على نواتي وجهه ، وبخاصة انفه فقد كان شديد الاحرار . فخلع عبد الرحمن نعله خارج الباب وحى ودخل . فردت قطام التحية وهى تم بالوقوف وأشارت اليه ان يجلس ، فجلس الأربعاء مستعرضاً سيفه على فخذه ، فبدأته قطام بالكلام قائلة : « الى من ينسب ضيفنا ؟ »

قال : « الى بنى مراد »

قالت : « والنعم والبركة »

فقالت لبابة : « انه عبد الرحمن بن ملجم ، من القراء المشهورين ، قرا على معاذ بن جبل . ولعلك سمعت به »

قالت : « انت تعلمين حالى يا خالة ، بل انت ادرى منى بما هو شغلى الشاغل من الأحزان والمصائب ، فلم يبق لى عقل اذكر به شيئاً غير مقتل أخى وأبى . والسعى فى الانتقام من أهل العدوان .. » قالت ذلك واجهشت بالبكاء

وكان عبد الرحمن ينظر اليها من طرف خفى ، فافتتن بها ايما افتتان ، وكان قد سمع بجمالها فود أن يحوزها . ولما لقيته لبابة لم تذكر له شيئاً مما عرفوه عن عزمه ، ولكنها قالت له : « علمت بمجيئك الكوفة ، واعلم انك تحب الحسان ، وعندى واحدة منهن ليس اجل منها فى العراق » . فجا ولما رآها تحقق ما سمعه فشغف بها ، ومن عجيب أمر هذا الرجل انه ما عظم ما ندب نفسه له من قتل أمير المؤمنين وقرب اليوم الموقوت لم يشغل ذلك عن مغازلة الحسان . فلما سمع كلام قطام ورأى بكاءها قال : « وما الذى يحزن مولاتى ؟ الا أستطيع تفريج كربتها ؟ »

فقالت لبابة : « لا يخفى عليك ما اصابها على اثر وقعة النهروان ، فقد قتل فيها أبوها وأخوها رحهما الله ، وهى لا تفتأ تذكر تلك المصيبة وذلك اليوم وتبكي ذينك الفقيدين ، ولكننى أريد أن اشغلها عن هذه الأحزان بكفء لها »

ففهم عبد الرحمن تلميحتها فقال : « انى والله اكون اسعد الناس حظاً اذا اذا تم لى ذلك الذى أتمناه »

فتجاهلت قطام وقالت : « وما الذى تتمناه يا سيدى ؟ »

قال : « لقد جئتكم خاطباً وانت فى أحزائك عساى أن أستطيع تفريجها ، فاطلبى منى ما تشائين مما تقر به عينك »

فتنهدت قطام ثم قالت : « انى لأعجب من تسرعك فى الطلب ونحن لم نلتق قبل الآن »

فقطعت لبابة كلامها قائلة : « نعم انكما لم تلتقيا قبل الآن . ولكن لبابة

تعر فكما جيدا ، واذا اذنت مولاتي بكلمة فأقول انكما انما خلقتما لتعيشا معا
فسكتت قطام فقال ابن ملجم : « ومع ذلك فاطلبى ما تشائين يكن لك »
فظلت قطام ساكنة برهة تتظاهر بالحياء والتردد اتماما للحيلة . ثم التفتت
الى لبابة قائلة تقول لها : « انى استحيى أن أقول » . فقالت لبابة : « انا
أقول . اجعل مهرها ثلاثة آلاف دينار وعيدا وقينة »
ولم تتم لبابة قولها حتى صاحت قطام : « لا . لا . لا يرضينى ذلك ولا مطعم
لى فى المال كما تعلمين »

فقال عبد الرحمن : « اطلبى ما تريدن »
فتظاهرت بالتمنع وصبرت هنيهة كأنها تستخف بما اقترحه عليها من
الطلب ثم قالت : « أن مهرى هو قتل على بن أبى طالب قاتل أبى وأخى »
فابتسم عبد الرحمن ، ونظر اليها ويده على قبضة سيفه وقال : « ان ذلك
وما قالته هذه الخالة سيكونان لك . ثلاثة آلاف دينار وقتل ابن أبى طالب
والعبد والقينة . فان مثلك لا يعز فى سبيل نيلها مهر . واعلمى انى انما
جئت الكوفة لهذه الغاية . أنظرى الى هذا السيف (وجرده فلمع نصله
لمعانا شديدا) انى اشتريته بألف وسممته بألف لاقتل عليا بن أبى طالب »
فابتسمت وقالت : « ولكننى أرجوان يكون ذلك عاجلا لثلاثت فوج الفرصة »
فقال : « ان موعدنا قريب لم يبق منه الا يوم وليلة سأقتله فى صباح يوم
١٧ من هذا الشهر أى بعد غد ، فاطمئنى »
قالت : « وكيف عينت اليوم والساعة ، الا يستحسن أن يكون ذلك غدا »
قال : « ان لذلك سببا سأذكره لك فيما بعد ، فاننى مقيد بهذا الموعد فى
انفاذ مهمتى »

فسكتت قطام وهى تتجاهل ما علمته من أمر المؤامرة
وكانت لبابة عالمة بقياب ربحان ، ولا بد من زاد يتناوله الضيف ، فدعت
عندها فى اثناء قدومها فجاء وأعد لهم طعاما تناولوه
وما صدقت قطام أن خلت بللبابة لحظة حتى أشارت اليها انها تحب الانفراد
بها لأمر ذى بال ، فاحتالت هذه على عبد الرحمن حتى استأذن فى الخروج الى
السوق فى حاجة له ، وخلت قطام بللبابة



وكانت لبابة قد ادركت ربحان فى الطريق قبل عثوره على عبد الرحمن ،
فأمرته أن يسرع ليلقى سعيذا خارج الكوفة وزودته بنصائحها لتضمن نجاح
مهمته . فسار أولا الى ساحة كبيرة فى وسط الكوفة تجتمع فيها القوافل .
من كل حذب وصوب . ولابد للقدام الى الكوفة من المرور بها أو النزول فيها

وسمع عن بعد هدير الجمال وصهيل الخيل فلما وصل رأى الساحة غاصة بالدواب وبينها الناس في هرج بين راكب وراجل ، ورأى الاحمال ملقاة هنا وهناك ، فجعل يتفرس في الوجوه لعله يرى سعيدا أو أحدا من خدمه ، فلم ير أحدا . وذهب الى بيت سعيد يسأل عنه فقبل له انه لم يأت بعد فخرج الى الطريق خارج الكوفة وهو ينظر الى الأفق لعله يرى هجانا أو فارسا . فمشى ساعتين ولم يرا أحدا حتى وصل الى شجرة كبيرة يستظل بها المسافرون للراحة قبل دخولهم المدينة ولا بد لمن كان قادما من الشام أو مصر من المرور بها . فجلس هناك وعيناه تحدقان في الأفق وذهنه يعمل لفتق حيلة تنطلي على سعيد فيستبقيه أو يسير به الى بيت قطام . فغربت الشمس ولم يأت أحد ، وكان القمر بدرًا فلم تكد تغرب الشمس حتى طلع البدر وانعكست الظلال من الشرق نحو الغرب . فاتكأ على حجر وعيناه ترقبان

وقضى أوائل الليل على هذه الحال ، وكلما رأى شبحا ظنه سعيدا ، فاشتد به البزد وهو يصبر ويتجلد . وحدثته نفسه أن يرجع فجأف أن يجيء سعيد في غيابه فيذهب سعيه هباء منثورا ، فالتف بثوبه حتى اذا انتصف الليل غلبه النعاس وهو يتجلد ولكنه لم يقو على سلطان النوم فأغمضت عيناه ، ولكنه لم ينم طويلا حتى استيقظ بغتة أسفا على رقاده خشية أن يكون سعيدا قد مر ولم يره . فوقف يفكر في الامر ، حتى دنا الصباح فلم يأت أحد فخيّل اليه أن سعيدا مر في أثناء نومه ، فعاد الى الكوفة بأسرع من لمح البصر يبحث في ساحتها وسار الى بيت سعيد فتحقق انه لم يأت بعد فرجع الى الشجرة وقضى معظم النهار تحتها أو حولها كانه على جمر الغضا . وهو مع ذلك صابر لا يتلذذ ولا يتضجر حتى غابت الشمس وظلح القمر . فقال في نفسه : « لم يبق الا هذه الليلة فاذا لم يصل الرجل لم يبق ثمة حاجة الى بقاى اذ يكون قد نفذ السهم وقتل على » . وتمنى الا يأتى سعيد فيتخلص هو من الاحتيال عليه لأخذه الى قطام ، وقد قرب أجل الموعد المضروب

ولما دنا العشاء رأى جلين قادمين عن بعد وعليهما راكبان فاختلج قلبه واصطكت ركبته وزاده البرد ارتعاشا . فلما اقتربا وقف وتقدم نحوهما فاذا هما سعيد وبلال عبد خولة ، وكانا ملثمين فعرف سعيدا من قيافته وأما بلال فلم يعرفه

وكان سعيد قد قضى مسافة الطريق في قلق على الامام ، فما كاد يطل على الكوفة حتى قرر أن يسير توا الى منزل على . فلما وصل الى الشجرة ترجل وترجل عبده ليستريحا قليلا ثم يستأنفان المسير . فاستقبله ريحان وسلم عليه ، فلما رآه سعيد استأنس به ورد السلام وقال له : « ما الذى جاء بك يا ريحان ؟ »

قال : « ان سيدتى مضطربة البال لطول غيابك » . وأشار اليه ان يندو

منه ليبت اليه ما أوّمن عليه من السر . فدنا منه على انفراد وشغل بلال بأمر الجميلين

فقال ريحان : « ان سيدتي قطام تقرئك السلام وتذكر لك انك اطلت الغيبة عليها أنت وسيدى عبد الله »

فتنهذ سعيد وقال : « لا تذكر عبد الله فقد تركناه في مصر » . قال ذلك وهو لا يريد ان يطارح العبد الحديث في مثل هذه الشؤون أنفة وترفعاً ، فسكت ريحان وهو يعلم ان عبد الله أغرق في حلة من أغرقهم عمرو بن العاص في التيل ، ثم قال : « وماذا أقول الآن لسيدتي أقدم أنت للمبيت عندنا الليلة ، فانها قد أعدت لك كل شيء »

فلبت سعيد برهة تتنازعه عوامل الشوق الى قطام وبواث العجلة الى على ، فرأى أن ميعاد القتل قد دنا فاذا بات الليلة في منزل قطام فانه قد يتمتع برؤيتها ويشنف سماعه بطلو حديثها ولكنه يصبح في الغد وقد قتل على ، لأن المجرم لا يتأخر عن فعلته الى ما بعد صباح السابع عشر من الشهر . ثم بدا له ان يزورها للتو زيارة قصيرة ثم ينطلق من بعدها الى على ، والتفت الى بلال فرآه مهتما باعداد العشاء فتداه باسمه فأقبل . فلما سمع ريحان اسم بلال اختلج قلبه في صدره ، وتفرس فيه فعرف انه عبد خولة ، وكان قد لقيه في الفسطاط وباح له بمهمته ولم يكن يخطر له يومئذ انه سيأتي مع سعيد . فارتبك في أمره وحاول اخفاء نفسه لئلا يراه بلال فيعرفه . أما بلال فلما دعاه سعيد أسرع الى ما بين يديه فقال سعيد : « الا ترى ان نسير توا الى الكوفة ؟ » قال بلال : « الامر لمولاي ولكنني أعددت لك الطعام . الا ترى ان تتناول منه شيئاً ونستريح هنيهة ثم نذهب الى حيث نشاء »

قال : « ولكن بعض أهلى بعثوا يدعوننى الى العشاء »

والتفت بلال الى ناحية وقوف ريحان فرآه قد تقهقر الى جذع الشجرة يستتر بظلها فلم يره ، وكان سعيد في اثناء الطريق قد استأنس ببلال واطلمه على خبر المؤامرة . فاعتنم بلال فرصة انفراده به وقال : « الا ترى يا مولاي ان تم مهمتنا التي جئنا لها من الفسطاط قبل كل شيء فانى اخاف أن يكون ذهابنا الى اهلك سبباً في التأخير ، وهم ربما لا يعلمون الغرض الذى يدعوننا الى الاسراع ، وربما حدث لك بعد العشاء ما يعيقك . اما اذا أنفذنا مهمتنا واطلعنا الامام على ماخباه له اهل البقي فاننا نمضى بعدئذ حيث نشاء ، هذا ما اراد والامر لك . على انى قد أعددت لك الطعام الآن فاذا شئت اكلت ثم فعلت ما يترأى لك »

فارتاح سعيد لهذا الراى ، ولكنه اراد ان يخبر بلالا باطلاع ريحان على سر الامر فقال له : « ولا اخفى عليك ان هذا الهمام (وأشار الى ريحان) من حلة الساعين فيما نحن فيه »

فقال بلال : « اذن فهو يعذرنا اذا رأى اننا نؤثر أن نذهب أولا الى منزل الإمام . هلم الآن الى طعامك وأنا أهيب الجمليين معه ثم نذهب جميعا بعد انتهائك من الطعام »



سار بلال الى حيث جلس ريحان وراء الشجرة . وكان هذا يحاول أن يختبئ ، وحدثته نفسه بأن يرجع الى الكوفة لئلا يراه بلال فينكشف أمره . ولكنه ما لبث أن رأى بلالا قد دنا منه وكلمه فاجابه بصوت منخفض وهو يتشاكل باصلاح نعليه وشملته لا يرفع نظره اليه . فاستغرب بلال ذلك فتقدم للميه . قال : « تعال يا اخي تقعد ريثما يتناول مولاى طعامه ثم نسير معا »

فسكت ريحان ولم يجب ، وتظاهر بأنه اضاع عصاه وأخذ في البحث عنها وبلال يتبعه ويعجب لما يبدو منه . فلما بعد ريحان عن ظل الشجرة بانته سحنته فتذكر بلال انه يعرفه ، ثم فطن الى انه هو الذى أسر اليه خبر مهمته فى الفسطاط . فادرك ان فى الامر خديعة ، ولا سيما لما رآه يحاول اخفاء وجهه . فتقدم اليه وامسكه بيده وقال : « تعال يا صاحبي تقعد هنا الى أن ينهض مولانا فنسير معا » . فاجذب ريحان يده من يده مفضيا ، فتبعه بلال وهو يقول : « يظهر أنك لم تعرفنى يا صاح ألا تذكر أننا التقينا فى الفسطاط » فصاح به ريحان : « وأى فسطاط ؟ . انى لا اعرف الفسطاط ولا اعرفك ؛ وليتنى لم أعرفك فقد أضعت عصاى بسببك »

فسمع سعيد صياحه وكان قد جلس الى الطعام ، فنظر اليهما من بعيد ، فرآهما يتحاوران فوق ونادى عبد قطام قائلا : « لا تغضب يا ريحان ان بلالا على دعوتنا »

فسكت ريحان ، واضطر الى أن يجيء لئلا يثير الشبهة ، ولكنه بقى مصرا على انه لم يذهب الى مصر

فلما دنا من سعيد له : « ما بالك تخاصم بلالا ؟ »

قال : « انى لا اخاصمه ، ولكننى أضعت عصاى ، وفيما أنا أبحث عنها جاءنى بحديث لا أعرف له أصلا »

قال سعيد : « وما ذلك يا بلال ؟ وما الذى قلته له ؟ »

قال : « لم أقل له شيئا ، ولكننى تذكرت انى رأيته فى الفسطاط منذ بضعة عشر يوما ، فأنكر وتنصل »

فقال سعيد : « يحق له أن ينكر عليك ذلك لأنه لم يبرح الكوفة منذ أشهر » فاعاد بلال النظر الى ريحان وتفرس فى وجهه وقال : « بل انا على يقين مما

اقول ، وقد لقيتك هناك غير مرة وقد يعذر على انكاره ، لأن وجوده هناك عاد بشر العواقب على سيدى ورفيقه »

فبغت سعيد وكانت اللقمة في فمه فلم يعد يستطيع ازديادها ، وكاد يقص بريقه ووقف للحال وقال : « ماذا تقول يا بلال ؟ اظنك تخطط في القول . ان ربحان عبد قظام بنت شحنة ، وقد تركته هنا يوم سفرى وأنا واثق بأنه لم يبرح الكوفة ، فلعلك رايت في الفسطاط عبدا آخر يشبهه »

فلما سمع ربحان اعتذار سعيد عنه اطمأن وقال بهدوء : « يلوح لى انه خطأ ، لان البشر يتشابهون ، ولكنه سأل الله جاءني مغضبا وأنا أبحث عن عصاى فأغاظنى فأسمعته كلاما مؤلما وها أنذا الآن أطلب منه غفران ما فرط منى » . والتفت الى بلال وابتسم حتى يجيز عليه حيلته

أما بلال فكان فى أثناء ذلك يتفرس فى ربحان فلا يزداد إلا اعتقادا بأنه هو الرجل الذى قابله فى الفسطاط وحدث أن نادته سيدته خولة وهو يكلمه فذهب اليها وقص عليها خبره كما مر ، فلما آنس منه ذلك اللين ظل يتفرس فيه وهو صامت . فلما أتم ربحان كلامه قال له بلال : « ربما كنت مخطئا فى ظنى ولكنى أسألك سوألا أرجو أن تجيبنى عليه »

قال : « قل ما بدالك »

قال : « ألا تذكر أنك رايت وجهى ؟ »

فتفرس فيه ربحان وهو يظنه يقول ذلك بسداجة ، ثم قال : « لا يا أخى ، لا أذكر انى رأيتك قبل الآن »

فقال : « يا للعجب ولكننى واثق بانى لقيتك وكلمتك ، فرايت هذا الوجه وسمعت هذا الصوت . فالظاهر أنك زرت الفسطاط قبل اليوم »

قال : « نعم انى صرت اليها منذ بضعة أعوام »

فضحك بلال وقال : « ولكنك قلت الآن أنك لاتعرفها »

فارتبك ربحان وعمد الى المغالطة فقال : « دعنا من هذه الاوهام ولا تشغلنا بما لا طائل تحته »

وكان سعيد فى أثناء ذلك يسمع كلامهما مصدقا ما يسمع

أما بلال فخاف أن يؤدى سكوته الى ذهاب سعيد مع ربحان . فقال لربحان : « اذا كان الحال كما تقول فعليك أن تساعدنا فى انفاذ المهمة التى جئنا من أجلها . دعنا نذهب الى منزل الامام الآن »

قال : « انى أشد رغبة منك فى هذا ، ولكن الليل طويل ، ويحسن ان يذهب مولائى معى الى سيدتى قظام لتراه ثم يذهب بعد ذلك حيث يشاء »

قال : « فليذهب هو معك وأذهب أنا الى منزل الامام أقوم مقامه »

فضاق ربحان به ذرعا وظهرت البقعة على وجهه فلم ير له مخرجا من المازق

غير التظاهر بالغضب فقال : « ولماذا هذا اللف والدوران ؟ هل بلغ بك الامر الى اساءة الظن بنا ونحن أولى منك بهذا الامر ؟ »

فتحقق بلال حينئذ أن ظنه في محله فقال : « نعم انى اسىء الظن وبسيدتك ايضا »

فخاف ريحان أن يفضى الامر الى افتضاح حاله فتظاهر بالغضب وقال لسعيد : « انى لأعجب من فحة هذا الاحق ومن سكوت مولاي عليه ، وها انذا اترككما فافعلما ما تشاءان »

قال ذلك واخذ يعدو نحو الكوفة ، وظل سعيد وبلال صامتين كان على راسيهما الطير



مضى ريحان وهما ينظران اليه لا يفوهان بكلمة . فلما تواري قال سعيد : « ما الذى أراه يا بلال ؟ انى أحسب نفسى في حلم ؟ ما الذى تقوله عن هذا العبد ، أوائق أنت أنك رايتَه في الفسطاط ؟ »

قال : « نعم بامولاي ، وقد زادنى ايمانا بذلك تناقض اقواله ، وغضبه بعد ما اقترحته عليك »

قال سعيد : « ما الذى يدعوهُ الى انكار ذهابه الى الفسطاط ؟ »

قال : « يدعوهُ الى هذا ما ارتكبه من الخيانة هناك . تبأ له من نذل يا ليتنى قضيت عليه ، قبل فراره . انه وشى بكمارالى عمرو بن العاص »

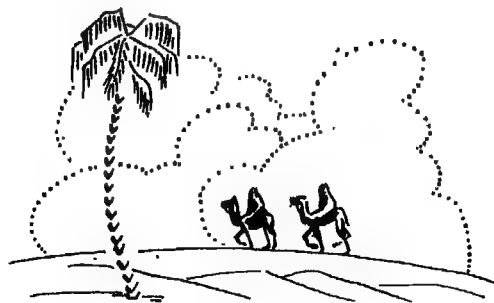
فبغت سعيد وبدات الفشاوة تنحسر عن عينيه ، وتذكر ما قصته عليه خولة من حديث عبدها مع عبد آخر وشى بهما الى ابن العاص . وانه استغرب يومئذ أن يصل خبر قدومهما الى الفسطاط وهما انما قدما اليها سرا لا يعلم بهما احد غير قطام ولبابة وهذا العبد . فوضح له ان ريحان لايتى الفسطاط الا بايعاز من سيدته ، وتذكر ما كان يراه في ابن عمه عبد الله من الشك في قول قطام ، فندم على استسلامه لها وعض على سبابتِه ، وظل واقفا لا يبدى حراكا ، وبلال واقف بين يديه صامتا . ثم التفت الى بلال وقال : « ألا بارك الله في خولة ، انها والله ملاك بعثه الله من السماء لكشف تلك الخديعة . ولكن وا أسفاه ، فقد نفذت حيلة قطام في عبد الله فمات غريقا . على انها لن تنفذ في الامام على بعد أن افتضح أمرها قبل دنو الاجل المضروب والحمد لله » . ثم صمت وتذكر حبه القديم لقطام وما أكنه لها من الاخلاص ، وما بذلته هى من الخداع ، فعظم الامر عليه وأمسيت عواطفه تتراوح بين ما انفرس في قلبه من الحب وبين ما اكتشف له من المكر السيء ، فلم يملك نفسه عن البكاء . وخجل أن يذرف الدمع امام بلال ، فأوما اليه ان يهين الجمال ، وأدار وجهه الى

الغلاء ومشى وأطلق لنفسه عنان البكاء . ولاسيما وقد تمثل له ما اصاب ابن عمه عبد الله من البلاء بسببه ، فجعل يندب ويندب سوء حظه ويقول :

« تبا لك يا قطام . اصحيح انك بعثت عبدك اللوشاية بنا الى ابن العاص ليقتلنا ؟ اين عهدك واين وعودك ؟ . اين ما سمعته منك من التوبة عن قتل الامام علي ؟ . وا اسفاه عليك يا اخي عبد الله ، انك ذهبت ضحية غفلتي ودهاء هذه المرأة . آه يا قطام ! . . هل يخلق الله قلوبا تقسو الى هذا الحد ؟ (قتل الانسان ما اكفره) . اتسمحين بقتل محب تقاني في سبيل هواك ؟ وتقتلين بريئا حلتته غيرته على السعي في انقاذ امير المؤمنين ؟ . وتسعين بعد ذلك الى قتل امير المؤمنين وانت تنظرين . آه لو كان امامي متسع من الوقت لاسرعت الى الانتقام منك قبل الذهاب الى الامام »

ثم وقف فجأة وانتبه كأنه افاق من رقاد ، ونظر الى ما حوله فاذا هو في ليلة مقمرة صفا هواؤها ورق نسيما ، فجعل يعيد في ذهنه ما مر به من الاهوال ، وتذكر حبه قطام فغلب عليه طيب عنصره فقال في نفسه : « لعل قطام بريئة ، وربما كان ريحان صادقا وبلال مخطئا » . فسرى عنه بعض الشيء ، ثم أدرك انه انما يخادع نفسه في التماس العذر لها ، وقد تثبت عليها الجريمة . ثم التفت فرأى بلالا قد اعد الجمليين وهم بالقدوم اليه فمسح دموعه وتقدم اليه وهو يقول في نفسه : « لقد نفذت حيلها في اخي عبد الله ، ولكنها لن تنفذ في الامام علي . ها انذا ذاهب الان الى بيته وساستعين به على قتلها وقتل المعجوز المحتالة وذلك العبد الشرير »

وركب جله ، وركب بلال في أثره ، وسارا يقصدان منزل الامام علي



مقتل الإمام علي واحراق قاتله

كان منزل الامام على بجانب المسجد ، وبينهما باب السدة يدخل منه الامام للصلاة . وكان للمنزل دار واسعة فيها المقاعد والمجالس لمن يفد عليه من الولاة واهل الامصار . وبجانب المنزل ساحة واسعة فيها مرابط للخيل ومواقف للجماعات لاتبرح غاصّة بجماهير الناس من دعاة الامام ، وكلهم متفانون في نصرته معترفون بامامته لا يرون احدا اولى بها منه . وكان اهل العراق وغيرهم قد اجتمعوا تلك السنة على نصرته فبايعه منهم اربعون الفاعلى الموت . ولعله كان ينتظر اتمام صيام رمضان ليحمل على معاوية بذلك الجند العظيم ، غير آبه بمثل ما مر به من حيلة « صفين » وغيرها بعد ان رأى ما قاده الى ذلك من تأييد سلطان معاوية

وكان الداخل الى مجلس الامام حينذاك يرى رؤساء القبائل يترددون عليه ولا حديث لهم الا ما كان من اجتماع كلمتهم وما يتوقعونه من النصر ويرجونه من احقاق الحق وكبح جاح الطامحين الى الخلافة من غير اهل البيت

ذلك كان شأن الكوفة في شهر الصيام المبارك . اما على فلم يكن يشغله عن فروض الصوم والصلاة شغل ، فاذا دنت الساعة واذن المؤذنون تهافت الناس في صحن المسجد الى سماع ماعهدوا في كلامه من البلاغة وشدة الغيرة على الاسلام والمسلمين . فاذا صعد المنبر رايت الناس سكوتا كان على رؤوسهم الطير اعجابا بما يسمعون من درر الفاظه ويدع حكمه وبلغ آياته ، وهم يعجبون لما قام في انفس المعارضين ممن تخلفوا عن بيعته ، وبخاصة الخوارج الذين اختلقوا لمعاداته اسبابا ما انزل الله بها من سلطان

وكان اذا فرغ من صلاة المغرب ذهب الى داره ومعه جماعة من الامراء يتقدمهم اولاده وسائر اهله ، فيجلسون الى الاسمطة للانفطار ، والقراء يتلون القرآن في جوانب الدار ، والكل يسبحون ويهللون حتى يخليل اليك انهم في يوم الحساب ، وما فيهم من يخاف عقابا لما يعتقدونه من صدق دعوتهم وقيامهم بالحق البين

وكان الامام اذا فرغ الناس من الافطار وجلسوا للاحاديث اقلهم كلاما . وربما مكث ساعة أو بضع ساعات لا ينس بينت شفة كأنه يفكر في أمر ذي بال ، وربما كان تفكيره فيما يخشاه من سفك الدماء اذا حمل بزجاله على

الشام ، ونفوس الناس ودیعة عنده یضن بها ان تذهب ضیاعا ولا یضن بها أصحابها فی سبیل نصرته

كان ذلك شأنه فی اواسط رمضان ، وعلى الاخص فی ليلة السابع عشر منه ، وهی الليلة التي بات فیها ابن ملجم یترقب انبلاج الصبح ليقوم بفعلته للفتك بابن أبی طالب . وفی تلك الليلة أسرع سعید وعبدہ الى دار الامام لينبأه بعزم ذلك الرجل

وما ظنك بابن ملجم فی تلك الليلة . . هل تظنه بات رابط الجاش مطمئن القلب ؟ . وهل عرف الكرى جفناه ؟ . لا نخاله قضی ليلته الا قلقا مضطربا لهول ماعول عليه من الامر الجسيم . وای شيء أقطع من ان يسفك دما بريئا ، دم رجل جمع الى كرامة الخلافة شرف النسب ، وأحرز من العلم ما لم يحرزہ أحد من المسلمين فی ذلك العهد ؟ . اليس هو ابن عم الرسول وخليفته وصهره ؟ . اليس هو ذلك العالم التقى العادل المخلص الغيور على الاسلام والمسلمين ؟ لا نخال ابن ملجم قضی ليلته الا على شوك القتاد لم يغمض له جفن وقد طال ليله . وربما حدثته نفسه بالرجوع عن عزمه فيغلب عليه عهده لرفقائه ووعدہ لخطيبه قطام بنت شحنة ، ولا سيما بعد ان اشركت معه فی الجرم ابن عم لها يقال له « وردان » حرزته على الاخذ بناصره . ولقى هو رجلا من « أشجع » يقال له « شبيب » استحثه على ركوب ذلك المركب الحسن معه . فتواعد الثلاثة على العمل معا فی فجر الفد . فهل تظنه بعد تلك العهود والمواثيق یصفى لنداء ضميره ان كان له ضمير ؟

على انك لو سبرت غور قلبه فی تلك الليلة وهو ینقلب على فراشه وسيفه المسموم الى جنبه ، لرايته یناجی نفسه ويدفع تبکيت ضميره بحجة انه عمد الى ذلك دفعا لفتنة كان سببها تنازع على ومعاوية وعمرو على السلطة ، والفتنة شر من القتل

وكان نفس الامام على حدثته فی هذا الاوان بخاطر يتوقعه على حياته وكان مد اهل رمضان یتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند جعفر ، لا یزید على ثلاث لقمات ، ثم یقول : « أحب ان یأتیني امر الله وأنا خيصر » . وأما فی تلك الليلة فانهم تعشوا جميعا فی منزل الامام وهو جالس لا یأكل الا قليلا واولاده بین يديه ینظرون اليه ويعجبون لحاله

وكان حاجبه « قنبر » رجلا كهلا من اهل الحبشة اذا نام الامام بات هو عند بابه ، وكان فی تلك الليلة أشد الجميع قلقا لم یتناول الافطار ولا هدا له بال . أكل الناس وهو جالس القرفصاء عند الباب وعیناه شاخصتان الى

الفضاء يتوقع قدوم قادم وهو لا يكلم أحدا ولا انتبه أحد لحاله ، ولو سألهم أحدهم عن علة قلقه لباح له بما أطلع عليه من الأسرار التي ظن أنه كشفها وهم يبحثون عنها عثا

وبعد صلاة العشاء أرفض المجلس ، فذهب كل الى منزله وناموا جميعا الا « قنبر » فإنه لبث ساهرا وقد أخذ الاضطراب والقلق منه مأخذا عظيما . وما سهر للحراسة وهو يعلم ان الامام لا يريد حرسا يحرسه . ولكنه جلس يفكر في أمر اذهب رقاذه والقاء في حيرة

[]

أما سعيد وبلال فانهما دخلا الكوفة وأسرا الى دار الامام على وكان القمر بدرا أو حوالى البدر ، وقد تكبد السماء فأرسل أشعته على أبنية الكوفة ، وقد انقشعت الغيوم عن السماء على غير المعتاد في ذلك الفصل . فلما دخلا الكوفة رأياها ساكنة هادئة لانقضاء ميقات السهر . وقد نام الناس وهم يتوقعون أذان السحر لينهضوا للسحور

سار سعيد وهو يستحث جله وقلبه يرقص طربا لنجاح مهمته لاطلاعه على حيلة قطام قبل فوات الوقت . فلما دنا من المسجد ترجل وقال لبلال : « خذ الجمل وسر به الى ساحة الكوفة وامكث حتى آتيك »

فعمل بما أمره به ، ومشى سعيد وركبته تصطكان من الاضطراب ، حتى أقبل على دار الامام فرأى السكون مخجما عليها ، فوقف يفكر كيف يدخل الدار وأهلها نيام ، فتردد خشية أن يظن به السوء لقدومه في ذلك الوقت ، ولم يكن قد دخل الدار من قبل ولا لقي الامام عليا لقاء أهل الولاء . ولكنه لم ير بدا من الاقدام قمشي مترددا حتى دنا من باب الدار فرأى شبيحا جالسا لم يعرفه ، ولكنه سر به لعلمه أنه لا يبعد أن يكون من رجال علي فيسهل رسالته ، على أنه لم يكده يقبل عليه حتى وقف الشبح بغتة واعترضه سائلا : « من القادم ؟ »

فقال سعيد وهو يتلجلج : « انى رسول الى الامام على ، ومن انت ؟ »

قال : « انا قنبر حاجب الامام . ومن أنت ؟ »

قال : « انى سعيد الاموى ، أريد مقابلة الامام على »

فصاح قنبر قائلا : « انت سعيد ؟ تعال معى »

فسر سعيد لاجابة طلبه ثوبا ، ومشى في اثر قنبر حتى دخلا باب الدار وتوجها الى حجرة فيها مصباح ، فدخلا قنبر أولا وابقظ رجلين نائمين هناك ، فلم يكده يدخل الحجرة حتى اطبق عليه الرجلان وقيدا يديه ورجليه

وهو واقف لا يبدى حراكا من هول المفاجأة ، ولما عاد اليه وعيه قال لقنبر :
« ماذا تصنعون بى ، وما هذه الوقاحة ؟ أين الامام على ؟ »

فاجابه قائلا : « لقد خاب فالك ايها الوغد اللئيم ، انك لن ترى عليا حتى ترى الموت قبله »

فكاد سعيد ان يحن ، ولم يدرك الباعث على عملهم فصاح بهم : « ما لكم تفعلون بى هكذا وقد جئتمكم فى رسالة لانتقد الامام عليا من القتل »

قال قنبر : « اخسأ ولا تكثر الكلام ، انك اموى وما أتيت الا لتقتال الامام ، ولكن دون وصولك اليه خرط القتاد »

فقال : « وكيف اريد به شرا ، وقد جئت لانتقاذه من القتل ؟ »

فامسك قنبر بتلابيبه ويداه ترتعدان اضطرابا وقال له « انظن حيلتك تطلى علينا ؟ اما كفى بنى امية ما فعلوه ، حتى جئتم تقتلون الامام فى عقر داره ؟ »

فبهت سعيد ، وجد الدم فى عروقه وقال : « ما بالكم تسيئون بى الظن وانتم لم تروا منى خيرا ولا شرا ، الا تسمعون قولى ثم ترون رأيكم ؟ »

فقال قنبر : « وماذا تريدنا ان نسمع وانت اموى اخذ عليك العهد لتقتل الامام على مهرا لفتاة خطبتها »

فذهل سعيد واراد ان يدفع عن نفسه فرأى قنبر قد اخرج من جيبه رقعا دفعه اليه وجذبه بيده الى المصباح وقال له : « اقرا اليس هذا خطك ؟ »

فلما وقع نظر سعيد على الرق رآه العهد الذى كتبه لقطاع يوم خطبها ، فايقن ان قطاع هو التى ارسلت هذا الرق الى دار الامام لتوقع به . ورآها لفرط حيلتها قد محت اسمها عنه ووضعت اسم فتاة اخرى فصمت ولم يجب . فاتخذ قنبر سكوته حجة عليه فصاح : « اجب ، قل . اليس هذا خطك ؟ »

فارتبك سعيد فى امره ولكنه ظل يؤمل ان ينجو اتكالا على النبأ الذى جاء به عن مكيدة ابن ملجم فاجاب : « هب انه خطي ولكننى جئتمكم بخبر المكيدة التى كادها بعض الناس للامام . الا تمهلونى ريثما اخبركم »

فلم يصبر قنبر على سماع كلامه وصاح قائلا : « وای مكيدة اعظم من ان تتعهد بقتل الامام . امكث هنا الليلة ، وسنرى فى امرك غدا » . قال هذا واوحد الباب دونه

فلما خلا سعيد الى نفسه فى تلك الحجرة ظن نفسه فى حلم ، وجعل يفكر فى امره وفى دهاء قطاع . وكيف اوصلت هذه الورقة الى هذا الرجل لاتمام حيلتها . ولكنه لم يكتث لما عامله به قنبر ، وصمم على مقابلة الامام فى الصباح الباكر واطلعه على سر الامر

وأما وصول الصك الى قنبر ، فانما سمعت فيه لبابة المحتالة بإشارة قطام بعد ان تداولنا في اتمام الحيلة مخافة أن يطلع سعيد على مكيدتها قبل وصوله اليها ، او أن يذهب الى منزل الامام قبل المرور بها . فاخرجت ذلك العهد وغيّرت فيه الفاظا رفعت بها الشبهة عنها ، وكلفت لبابة فأتت منزل قنبر في صباح ذلك اليوم بدعوى أنها دلالة تبيع الأقمشة وألقت الى قنبر حديثا لفقته بحيث تلبس الشبهة سعيدا فلا يصفى احد الى كلامه . وكان انصار على قد سمعوا اشاعة اعتزام بعض الناس قتل الامام . فلما رأى قنبر الصك وعلم أن صاحبه أموى ربي في بيت عثمان وقام بنصرته لم يبق عنده شك في اجرامه ، ولا سيما بعد أن رآه قادما قدوم اللص بعد منتصف الليل . فلما قبض عليه حبسه الى صباح الفد ليرى الامام رايه فيه بعد أن يعود من صلاة السحر

أما بلال فانه مكث بالجمعين في ساحة الكوفة ينتظر قدوم سعيد . فلما أبطأ عليه قلق ، ولكنه لم يظن سوءا لما يعلمه من سلامة نية سعيد . وفيما هو جالس يفكر في ذلك سمع أذان السحر وكان يعلم أن عليا يخرج في تلك الساعة للصلاة فهرول الى المسجد فدخله فرأى فيه قبة مضروبة علم أنها قبة بعض النساء ممن يجلسن لسماع الصلاة . فوقف يجيل نظرة لعله يرى سعيدا . فاذا برجال دخلوا وفيهم رجل ملثم وقد التفت بعباءة يخفي تحتها سيفا فتفرس فيه عن بعد فرأى على جبهته أثر السجود فعلم أنه ابن ملجم ، فارتعدت فرائضه وحدثته نفسه أن يصبح به ولكنه خاف على نفسه ولم يكن يشك في أن عليا قد اطلع على سر المؤامرة فلا يلبث أن يدخل المسجد ويأمر بالقبض عليه ، ثم رأى ابن ملجم وقد توجه ومعه رجل آخر هو شبيب نحو تلك القبة فكلما من فيها ، وكان فيها قطام بنت شحنة ، ثم مشى ابن ملجم حتى اقترب من السدة وبلال يرقبه ويتوقع سماع الأمر بالقبض عليه حالما يدخل على

وبعد هنيئة ، فتح باب السدة ، ودخل منها الامام على وهو يمشي الهوينى رِعَمَامَتِهِ على راسه تغطي صلعته وكان ذا بطن ولحية كثيرة الشعر ضخمة العضل وفي يده درة (سوط) كان يوقظ بها الناس للصلاة كل صباح ، فمشى الامام وابن النباح المؤذن بين يديه والحسن ابنه خلفه . فلما دخل أنصت الناس وبلال ينظر اليه موقنا أنه سينادي من يقبض على ابن ملجم ، فاذا به قد وقف ونادى : « أيها الناس الصلاة الصلاة »

والتفت بلال الى ابن ملجم فاذا هو لا يزال واقفا لكن رفيقه (شبيب) تقدم مسرعا وسيفه بيده فضرب به الامام عليا فأصاب عضادة الباب وسقط السيف من يده فأجفل بلال وهم بأن يسرع الى على يخبره بأمر ابن ملجم

فاذا بابن ملجم قد أقبل على على بأسرع من لح البصر والسيف يبرق في يده وضربه على جبهته وهو يقول : « الحكم لله يا على وليس لك ولاصحابك »

فصاح على : « فزت ورب الكعبة » . ثم قال : « لا يفوتكم الرجل »

فتكاثف الناس على ابن ملجم فدفعهم بسيفه ففرجوا عنه فهجم عليه المغيرة ابن شعبه وتلقاه بقطيفة فرماها عليه واحتمله وضرب به الأرض وقعد على صدره وانتزع السيف منه . وأما شبيب فأفلت في الغلس وخرج من المسجد هاربا

وانفرط عقد الناس ونظر بلال الى القبة المضروبة فرأى امرأة خرجت من تحتها واذا هى قطام اسرعت وفرت في غمار الناس . فذهل لما رآه ولكنه أمل الا تكون الضربة قاضية ، ثم تذكر ان سيف ابن ملجم مسموم فيئس من نجاة الامام ، وجعل يتفرس في الناس لعله يرى سعيذا فلم يقف له على أثر فتقدم فيمن تقدم الى السدة حيث كان على مطروحا فسمعه يقول : « احضروا الرجل » . فأحضروه اليه

فقال له على : « اى عدو الله . . الم احسن اليك ؟ ! »

قال : « بلى »

فقال : « فما حلك على هذا ؟ »

قال : « شحذت سيفى هذا اربعين صباحا ، وسألت الله ان يقتل به شر خلقه » !

فقال على : « لا أراك الا مقتولا به ، ولا أراك الا شر خلق الله » . ثم التفت الى من حوله . وقال : « النفس بالنفس ان هلكت فاقتلوه كما قتلنى ، وان بقيت رأيت فيه رأى . يا بنى عبد المطلب لا الفيتكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قد قتل امير المؤمنين . الا لا يقتل الا قاتلى . انظر يا حسن ان انا مت من ضربنى هذه فاضربه ضربة بضربة ، ولا تمثلن بالرجل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور) . »

قال ذلك وابن ملجم موثق ، وكانت ام كلثوم ابنة على واقفة بجانب أبيها فقالت لابن ملجم : « اى عدو الله لا بأس على أبى والله محزبك » . فالتفت اليها ابن ملجم وقال : « على من تبكين ؟ والله ان سيفى اشتريتنه بالف وسميته بالف ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر ما بقى منهم أحد »

ثم تقدم جندب بن عبد الله الى على وقال : « ان فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن »

قال على : « ما آمركم ولا انهاكم ، انتم أبصر »

ولما علم الناس أن سيف ابن ملجم مسموم أيقنوا ذنوبهم ، وخافوا الفتنة فيمن يخلفه ، ولكنهم بعد أن سأله جندب بن عبد الله ما سأله عن يخلفه فأجابته بأنه لا يأمرهم ولا ينهاهم ، لم يسعهم إلا تأجيل النظر في الأمر ، ثم نقلوه إلى داره ماشيا وهو يتوكأ على ولديه الحسن والحسين والدم يفيض جبينه وكان السم لم يفعل فعله بعد

أما ابن ملجم فكان لثامه قد وقع عن وجهه وبانت سحنته ، وكان اسمر أبلج في جبهته أثر السجود ؛ فساقوه إلى السجن ولو لم يوص أمير المؤمنين بالألا يقتلوه إلا إذا مات هو من الضربة لقطعوه أربا أربا . ولكنهم اضطروا امتثالاً لأمر الإمام إلى أن يسوقوه إلى السجن ريثما تظهر عاقبة الجرح

أما بلال فسار في أثر الجمع إلى منزل الإمام على ، وقد راعه ما رآه من هول تلك الساعة ، ومما زاد في أسفه وضاعف حزنه ما أصابه من الفشل بحبوط مسعاه ومسعى سيده ، لأنه إنما كان يود نجاة الإمام من تلك المؤامرة أكراما لمولاه خولة ، ولا سيما بعد أن صحب سعيدا وسمع منه في أثناء الطريق ما حدثه به جده أبو رحاب عن فضائل الإمام على التي يندر اجتماعها في رجل

على أنه كان مع ذلك في شغل عما كان فيه الناس من الاضطراب والاهتمام والانهماك بأمر الإمام وجرحه بالتفكير في سعيد وحاله ، وقد عجب لفشله في مهمته مع علمه أنه إنما أسرع بعد طول مشقة السفر وسعى في منتصف الليل لينبئ القوم بالخطر الداهم ، فمشى وهو يتفرس في الناس واحدا واحدا لعله يرى سعيدا بينهم فلم يقف له على أثر . على أنه ما لبث أن رأى الجمع دخلوا المنزل وأدخلوا الإمام محمولا إلى حجرته ، وتفرق الباقيون في صحن الدار جماعات ، وحديثهم يدور حول الحادث ، وما عسى أن يصيب الإسلام بعده مما لم يكن في الحسبان ، وما فيهم إلا من يقول : « ليتني أشفى غليلي بضرب عنق ذلك الباغي »

وفيما هو ينظر في وجوه الناس لعله يرى سعيدا ، إذا بقنبر حاجب الإمام على قد خرج من الغرفة والدمع ملء عينيه وهو يقول : « اقتلونني أيها المسلمون ، اقتلونني أني جنيت على أمير المؤمنين »

فنهض الناس والتفوا عليه وهم لا يفقهون حديثه ، فإذا به قد اخترق الجمع ومشى إلى الحجرة التي كان سعيد مسجوناً فيها وفتحتها وأخرج سعيدا منها وهو ما زال في اغلاله

ولم يكن سعيد قد درى بما أصاب الإمام عليا . فلما أخرجه قنبر على تلك الصورة ورأى الجمع متكاثرا ظنهم يريدون به سوءا . فقال : « أروني الإمام عليا فاطلمه على دسيطة دبرها له أهل البغي ولا تظنوا بي سوءا »

فعلا صوت قنبر بالبكاء وقال : « لقد نفذ السهم يا سعيد ، انهم فتكوا بأمر المؤمنين »

فصاح سعيد : « ومن فتك به ؟ »

قال : « ابن ملجم ، ضربه ضربة قاتلة قتله الله »

فصاح سعيد : « ويلاه ، واحسرتاه ، كيف يقتله وقد قطعت البراري والقفار سعيا في تلافى المصاب ؟ ألم أقل لك ذلك يا قنبر ؟ »

قال : « انك لم تفصح المقاتل ، وقد نفذ السهم وجرح الإهم جرحا لا أظنه ينجو منه ، ولو أصغيت إليك لنجا أمير المؤمنين ، لقد وقع القضاء ولا مرد لقضاء الله »

ولم يتم قنبر كلامه حتى بكى سعيد وبكى الناس ، وعلا الصياح وهم مبهوتين ينظرون إلى قنبر يتوقعون منه تفصيلا لما أجمل

أما هو فاشتغل بحل قيود سعيد وهو يقول : « قاتل الله تلك العجوز المختالة ، أنها أغرتني بك وقد نجحت حيلتها »

فهم سعيد بأن يقص حديثه على أثر ما رأى من رغبة القوم في ذلك فاذا ببعض الناس يقول : « إن الإمام في عافية وهو يحدث ابنه الحسن والحسين »

فتحول الجمع إلى غرفته كالسيل ، وانتهم بلال تلك الفرصة فدنا من سعيد كأنه يستفهم سبب فشله في مهمته . فقص عليه الخبر باختصار ، ووعده باتمام الحديث في فرصة أخرى . وسار مع الجمع إلى غرفة الإمام فلم يستطع الدخول إليها لتزاحم الأقدام . فأطل من نافذة فرأى عليا متوسدا فراشه وهو معصوب الرأس بمنديل يغطي الجرح وكانوا قد غسلوا الدم عن وجهه ولكن آثاره بقيت ظاهرة على لحيته

فتذكر سعيدا جده أبا رحاب وما أوصاه به فأجهش بالبكاء ، على أنه ما لبث أن سمع عليا يتكلم فوجه إليه انتباهه فرآه يخاطب ولديه الحسن والحسين وهما جاثيان عند رأسه وقد اشتد بهما الحزن ، ولكنهما يتجلدان بتجلد الرجال ، وهما ينصتان وأعينهما شاخصة في وجه الإمام الجريح ، والناس سكوت وكلهم آذان يسمعون ما يتلوه الإمام من الآيات البينات وهي آخر خطبة ألقاها . فاذا هو يقول :

« أوصيكم بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا وإن بعثكما ، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما . وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعيانا الضائع واصنعا للأخرى . وكونا للظالم خصيما وللمظلوم ناصرا ، وأعمالا بما في كتاب الله ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم »

ثم نظر إلى محمد بن الحنفية فقال : « هل حفظت ما أوصيت به أخويك ؟ »

قال : « نعم »

قال : « فاني أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك ، ولا تقطع أمرا دونهما » . ثم قال لهما : « أوصيكما به فانه أخوكما وابن أبيكما ، وقد علمتما أن أبائكما يحبه » . وقال للحسن : « أوصيك أي بني بتقوى الله وإقامة الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء فانه لا صلاة الا بظهور ، وأوصيك بغفر الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة الحرم ، والحلم عن الجاهل ، والتفقه في الدين ، والتثبت في الامر ، والتعهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش »



وما أتم وصيته حتى أجهد وتعب من الكلام وما كان العهد به أن يتعب من الوعظ والخطب ساعات متوالية . ثم أمر بتلك الوصية فكتبت ودفعت الى الحسن ، ولم ينطق الامام بعد ذلك الا بقوله : « لا اله الا الله » . حتى مات (١) فعلا الضجيج وزاد العويل والبكاء . ثم غسله الحسن والحسين وعبد الله ابن جعفر وكفن بثلاثة أثواب ودفن

ولما رأى سعيد وقوع المصاب تذكر قطام وخبثها وقال في نفسه : « والله لم يقتله الا هي ولولاها لم يقتل امير المؤمنين »

وفيما هو يفكر في ذلك ويكيى جاء قنبر فقبض على يده وجره فسار في أثره وهو لا يدري ما يريد منه . وسار بلال في أثرهما حتى دخلا سجن ابن ملجم وكان مغلولا هناك . فلما دخلوا عليه هم سعيد بالكلام فقال قنبر : « تمهل لنرى ما يقول هذا اللعين » . فلما رآهم ابن ملجم قادمين عليه ظل جالسا ولم يعبا بهم ، ولكنه خاطب قنبر قائلا : « أظنك جئت تدعوني الى النطع ، لأن صاحبكم مات »

قال : « الى ذلك جئت ، ولكنني أسألك عن هذا الرجل هل تعرفه ؟ » (وأشار الى سعيد) فقال : « كلا »

وكان قنبر قد أراد ان يتحقق براءة سعيد ، وقد شك في اشتراكه مع

(١) هذا ما رواه ابن الأثير من أمر مقتل الامام . وذكر صاحب تاريخ الخميس أنه توفي صبيحة يوم ١٧ رمضان مثل صبيحة بدر . وقيل ليلة الجمعة ثلاث عشرة ليلة من سنة أربعين (عن أبي حمز وابن عبد البر) . وفي الصفوة قال الطاء بالسري : ضربه عبدالرحمن بن ملجم بالكوفة يوم الجمعة ثلاث عشرة بقين من رمضان ، وقيل ليلة احدى وعشرين منه سنة أربعين ، فبقى الجمعة والسبت ومات ليلة الأحد ، وقيل يوم الأحد . وغسله ابنه وعبد الله ابن جعفر ، وصلى عليه الحسن ، ودفن في السحر . وقالوا غير ذلك مما ليس هنا مكان تحقيقه . وذكروا أنه دفن في مسجد الكوفة وقبل حل الى المدينة ودفن عند فاطمة ، وقيل غير ذلك

ابن ملجم في المؤامرة . فقال له : « ألم يكن لهذا الأموى يد معك في القتل ؟ »
فتبسّم ابن ملجم وقال : « إنه أضعف من أن يقدم على ذلك . انى
لاأعرفه »

فقال بلال : « هل تعرف قطام بنت شحنة ؟ »

قال : « أعرفها وهى خطيبتى ودم ابن أبى طالب مهرها »
فصاح فيه قنبر : « أخسأ يا لثيم أنك ملاق حتفك قريباً ، قم الى الموت »
أما سعيد فلما سمع قوله ان قطام خطيبته اشتد حنقه وغيظه من تلك
المرأة ، وقال في نفسه : « انى والله سأخذ بالثأر منها يدي »

وكان الحسن هو الذى أمر باحضار ابن ملجم ليقبله عملاً بوصية أبيه ،
فلما حضر بين يديه ، نظر الى ما حوله فرأى الناس ينظرون اليه بأعين
تلتهب حنقاً وكل يود أن يقتله بيده ، فلم يعبا بما رأى ، ولم يصبر حتى
يكلمه أحد منهم فنظر الى الحسن وقال : « هل لك في خصلة ، والله قد
أعطيت الله عهداً الا أعاهد عهداً الا وفيت به ، وانى عاهدت الله عند الحطيم
أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما ، فان شئت خلت بيني وبينه .
فلك عهد الله على أن لم أقتله ثم بقيت أن آتيك حتى أضع يدي في يدك »

فقال له الحسن : « لا والله حتى تعاین النار »

وكان الناس قد جاءوا بالنفط والبوارى والنار وقالوا : « نحرقه » .
فقال عبد الله بن جعفر والحسين بن على ومحمد بن الحنفية : « دعونا نشف
ما فى أنفسنا منه ، فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه ، فلم يجزع ولم
يتكلم ثم كحل عينيه بسمار محمى فلم يجزع ، وجعل يقول : « أنك لتكحل
عينى عمك بمكحول محمص » . وجعل يقرأ : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .
حتى أتى على آخر السورة وان عينيه لتسيلان على خديه ، ثم أمر به فعملج
على لسانه لقطعه فجزع فقليل له : « قطعنا يدك ورجليك وسملنا عينيك
يا عدو الله فلم تجزع فلما صرنا الى لسانك جزعت » . قال : « ما ذاك من
جزع الا انى أكره أن أكون فى الدنيا فواقلا أذكر الله » . فقطعوا لسانه ثم
جعلوه فى قوصرة فأحرقوه بالنار

ولما اشتهم سعيد رائحة القتر المتصاعد من بقايا ابن ملجم شفى بعض
غيظه ، ولكن قوله : « ان قطام خطيبتى وان قتل على مهر لها » . بقى
يرن فى أذنيه ، وازداد تعجباً من دهاء تلك المرأة واستغرب أن يكون فى النساء
واحدة فى مثل ذلك الدهاء ، وتذكر ما حدث له معها من الوعود وما ارتكبته
فى سبيل الانتقام لأبيها وأخيها من الجرائم ، وكم قتل بسببها من الرجال
وعبد الله ابن عمه فى جلتهن . فاتقد غيظاً وظل برهة غارقاً فى هواجسه
لا ينتبه لما يدور حوله من الأحاديث ولا يفقه شيئاً من انهماك الناس فى مباحة

الحسن . ولم ينتبه حتى ناداه بلال فلباه فقال : « هلم بنا يا مولاي من هنا إن لي كلاما أقوله لك »

قال : « هيا بنا » ومشيا ولم ينتبه لهما أحد لاشتغال الناس بالمبايعة وعادا توا الى ساحة الكوفة حيث تركا الجمليين ، وسارا من هناك الى منزل سعيد ، وكانا في أثناء الطريق يلتقيان بأهل الكوفة مسرعين زرافات ووحدا الى منزل الامام على أثر ما سمعوه عن مقتله ، وهما لا يكلمان احدا

ولم يكن سعيد قد دخل منزله منذ ذهابه الى القسطنطين فلم يجد فيه احدا لان الخدم ساروا في جملة السائرين الى منزل الامام . وكان التعب قد اخذ منه ماخذ عظيم لاهول ما قاساه بعد سفره الطويل . فدخل الدار من باب خاص به وترك بلالا يهتم بالجمليين . وبدل ثيابه وهو يفكر فيما رآه من الأحوال وما يتوقعه بعد موت الامام على من تغير المال

ثم توسد وسادة يلتمس الراحة وهو يفكر فيما يتوقع سماعه من بلال ولكن التعب تغلب عليه وغلب عليه النعاس فنام . ودخل بلال عليه فراه نائما فتوسد مقعدا في غرفة اخرى ، واخذ يتهيا لمكاشفة سعيد بما يجول في خاطره من الشؤون حتى نام



ظل سعيد وبلال نائمين حتى الغروب فافاق سعيد على صوت الخدم وهم يفتحون الباب بعد عودتهم ، وقد بغتوا لما رأوا سيدهم هناك على غير انتظار أما هو فعذرهم لغيابهم ودعا بلالا فوقف بين يديه فدعاه للجلوس فاستأذن في اغلاق الباب دونهما ، فأمر خادما فأضاء له مصباحا وضعه على مسرجة وخرج ، فأغلق بلال باب الغرفة وجلس الى سعيد والاهتمام باد على وجهه فقال سعيد : « قل يا بلال ما بدا لك »

قال : « أياذن لي سيدي في أن أسأله ما الذي دعا الى فشل مهمته ؟ » فتنهد سعيد وقال : « ان السبب قديم يا بلال لم أكن لاقصه عليك لو لم آتس منك ما آتسته من الغيرة والمروءة »

قال بلال : « ولم يكن من شأنى أن أسالك عنه لو لم الحظ من خلال الأحداث ما يشف عن بعض السر ، ولعلنى اذا اطلعت على حقيقة الحال ان آتيك بخبر جديد »

قال لا أخفى عليك ان السبب في فشلى امرأة اظنك سمعت اسمها في هذا الصباح من فم ابن ملجم »

قال : « اظنها قطام بنت شحنة »

قال : « نعم ، قبضها الله من داهية محتالة . فانها كانت سببا في قتل ابن عمي وقتل الامام وابن ملجم . ولا يخفى عليك ان قتل الامام لا يقتصر شره على قتل النفس ولكننا نخاف منه الفتنة . ولا ريب في انها ارادت ايضا ان تقتلني بوسيلة دبرتها » . وقص عليه حديثه مع قطام مختصرا من اول معرفته بها الى تلك الساعة

فلما فرع سعيد من كلامه عض بلال على انامله وتحرق ثم تنهد وسكت فقال سعيد : « ما بالك يا بلال ، وما الذي يدعوك الى التنهد ؟ »

قال : « يدعوتني اليه ندعى على ما فاتني من القبض على هذه المرأة في صباح هذا اليوم لانى رايتها في قبعتها بالمسجد وقد مر بها ابن ملجم ورفيقه فكلماها قبل اقدامهما على تلك الفعلة الشنعاء ، ولكننى كنت اظن عليا والهفى عليه قد علم منك بما ينويه ابن ملجم فلا يترك له فرصة لارتكاب ذلك المنكر . وقد رأت بنت شحنة خارجة من المسجد بعد ان تحققت نيل بغيتها بقتل الامام ، فياليتنى قبضت عليها . ولكن ما قدر كان . وقد قتل الامام وقتل قاتله والامر في ذلك لله . على اننى اذا عشت فسأنتقم لك وللإسلام من هذه الفاجرة . ومن غريب الاتفاق ان ابن ملجم هذا كان قد خطب سيدتى خولة من أبيها ولكنها لم تكن تحبه ولم ترض به »

ولم يكن بلال عارفا باطلاع سعيد على هذا الخبر من خولة فلم يشأ سعيد ان يعترف له به فظل صامتا ليسمع بقية الحديث فقال بلال : « ولا شك ان سيدتى خولة ستفرح اذا سمعت بمقتل هذا العاقد لنجاتها من شركه »

قال سعيد : « وما الذى يحملها على قبوله اذا لم تكن ترغب فيه ؟ » قال : « ان اباها هو الذى اطعمه بها ووعدته بزفافها اليه ، أما هى فانها كانت قد عزمتم على رفضه مهما تكن العاقبة »

تذكر سعيد حديث خولة ، وتمثلت له صورتها ملكا كريما وما هى عليه من الحمية والأنفة والمروءة ، وما شعر به من الميل اليها يوم لقيها في القساطر أيام كان لا يزال مخدوما بمواعيد قطام ومشغولا بأمر الامام على ، فلم يترك قلبه يومئذ مجالا للحب ، فلما سمع ذكرها الآن تجددت ذكراها واحب أن يسمع حديثا عنها فقال : « وهل أنت واثق من انها كانت مصممة على رفضه ولو أغضبت اباها ؟ »

قال : « نعم انى واثق بما أقول وقد لحظت شيئا آخر . . » . وسكت وهو يتسهم

قال : « وما هو ؟ » . قال : « ألم تلحظه أنت ؟ » قال : « كلا وما هو ؟ . قل » . قال : « لحظت أنك وقعت من نفسها موقعا

عظيما ، ولحظت أيضا أنك لم تجهل ذلك »

قال : « كيف عرفت انى لم أكن أجهله »

قال عرفته مما رأيت من خروجها اليك غير مرة ليلا ، التماسا لنجاتك وهي تستجهلنى ولا تنتبه الى . ولكنك كنت فى شأغل يومئذ بلهفتك على انقاذ الامام على من كيد الحاقدين »

فعجب سعيد لما ظهر له من اطلاع بلال على سره ، وتذكر أنه شعر بشيء منه يوم كان فى الفسطاط وأن اشتغاله بأمر الامام وخوفه عليه مع تعلقه بقطام وعهودها حال بينه وبين تمكين جبل الودة مع خولة . فلما سمع ما سمعه من بلال ساعته أن يحب أن يستطلع جلية الخبر فقال له : « أفصح عما فى نفسك انى لم افهم مرادك »

فقال بلال : « أن مرادى واضح مما ذكرته لك ، وها أنذا أفشى لك سرا هو أن مولاتى خولة حين أمرتنى بأن أسير فى ركابك ، أوصتنى بأن أنتظر حتى تكشف دسيسة ابن ملجم وننقذ الامام عليا ثم أطلعك على رغبتها فى عودك الى الفسطاط لأنها تكون قد نجت من خطبة ابن ملجم وتكون أنت قد فرغت من مهمتك ، ولا أدري ما تنويه هى فى رجوعك ؟ »

ففهم سعيد ما وراء ذلك فقال له : « أما رجوعى الى الفسطاط فلا يخلو من مجازفة لما فى ذلك من الخطر على لائى انما جئت منها فرارا من القتل . فاذا عدت فانما أعرض نفسى لما هو شر من القتل ، وابن العاص لا يعفو عنى ، ناهيك بكرهى لبلد فقدت فيه ابن عمى » . وسكت هنيهة وتنهى ثم قال : « وهل أنت واثق من ميلها الى ؟ فانى والحق يقال رأيت فى خولة من الحمية وعزة النفس مع التفانى فى نصرة الامام ما جعل لها فى نفسى مقاما رفيعا . ولا اكتمك ما خالج قلبى يومئذ من الميل اليها ولكننى كنت بحالق القلب بقطام اخراها الله فانها خدعتنى »

فابتدرة بلال قائلا : « لا تذكر هذه الخائنة يا مولاي ، انى والله اكبره ان اسمع ذكرها ، لائى أشعر بقصورى وجهلى اللذين سببا نجاتها ، وهى والحق يقال أصل هذا الشر العظيم . . . ففى سبيل انتقامها لأبيها وأخيها ارتكبت أعظم اثم حدث فى الاسلام فقتلت ابن عم الرسول (صلعم) ولكننى سوف اذيقها حتفها واسفك دمها ولو بذلت فى هذا حياتى » . قال ذلك وهو يحرق أسنانه حنقا وأسفا

فقال سعيد : « وما ظنك بها الآن . أباقية هى فى الكوفة ؟ »

قال : « لا أظنها تبقى بعد ما ارتكبته فيها ، وقد افتضح امرها وعلم الخاص . والعام أنها شريكة فى القتل »

قال : « وأين تراها تذهب ؟ »

قال : « لا أدري ، وسأبحث في ذلك صباح الغد ، أما الآن فلنعد الى ما كنا فيه فانك اذا لم ترجع معي الى الفسطاط أحسبني مقصرا فيما عهد الي فيه . وخولة بامولاي يندر مثلها بين البنات جمالا وتعقلا واثقة ، ولولا أبوها وتشيعه لمعاوية لانت بما لم يأتها أعظم الرجال . ولكنه كثير التشيع لابن أبي سفيان وكثيرا ما كانا يختلفان امامي ويختصمان على أمور أستدل منها على ذلك »



واحس سعيد بعاطفته تتجدد ، وشاقه حديث خولة وتاقت نفسه اليها ، ولكنه استثقل الذهاب الى الفسطاط مخافة الوقوع في قبضة عمرو بن العاص . ثم تذكر ان المتأمرين كانوا قد اجتمعوا على قتله وقتل معاوية في مثل ذلك اليوم ، فقال : « ألم أخبرك ان اثنين آخرين تأمرا على قتل ابن العاص ومعاوية ايضا »

قال : « بلى أخبرتنى ولكننى لا أخاف على ابن العاص الوقوع في الشرك » قال : « وما الذى ينجيه منه وهو لا يدري ما يمكرون ، فاذا فنكوا به سهل على الدخول الى الفسطاط ويكون ذلك أسهل ايضا اذا قتل معاوية في الشام »

قال بلال : « ان البحث عن ذلك يحتاج الى وقت ، ولا بد لنا من التربص حتى تأتينا الأخبار أو ان نذهب نحن للبحث عنه »

قال سعيد : « لا صبر لى على الانتظار ، ولا اظنك تصبر عليه . فأرى ان تسير أنت على عجل الى الفسطاط تستطلع جلية الخبر ، وتعود باليقين . واذا جعلت طريقك على الشام جئت بالخبرين معا »

قال : « أمرك يا سيدى . وأنت ماذا تفعل ؟ »

قال : « انقى هنا للبحث عن تلك الخائنة قطام ، فانى اتوق للانتقام مها فاذا لم اوفق الى ذلك عشت منغص العيش طول عمري . انها قتلت ابن عمى وأمير المؤمنين وكادت تقتلنى ! »

قال : « بالله دع امرها لى ، فانى أريد ان أشفى غليلي منها ومن عبدها الزنيم ربحان لا أراحه الله ، ولكننى أرى سفرى الى الفسطاط ادعى الى العجلة »

فأعجب سعيد بحماسة بلال ، وزاد ميلا اليه وشوقا الى خولة . واخذ يبعد الى ذهنه ما أنسه فيها من اللحال الحميدة والغيرة عليه ، وكيف كان التقاؤه بها سببا في نجاته من القتل ليلة ذلك الاجتماع . فضلا عما رآه فيها

من الغيرة على أمير المؤمنين . ولكنه لم يكذب بذكر عاقبة ذلك السعى وحيوط ما دبره حتى اشتعل غيظا ، ولكنه لم ير حيلة فيما مضى فقال : « لقد قضى الأمر يا بلال ولم تبق لنا حيلة فيما مضى ، فإذهب أنت الى الفسطاط وعرج في طريقك على الشام ثم عد الى بالخبر اليقين عن عمرو ومعاوية . وأما أنا فاني باق هنا أبحث عن قطام وعجوزها وعبيدها ، فإذا عدت فوافني الى هذا المنزل »

قال : « وخولة ؟ ماذا أقول لها ؟ »

قال : « اذكر لها ان شوقى اليها لا يوصف ، وان ما عندي اضعاف ما عندها ، ولها منى عهد الله ان لن ينالها سوى »

قال : « أما رضاها فانا الضمين لك به » . وسكت بلال وقد أبرقت أسرته سرورا بما سمعه . ثم قطب وجهه بغتة وقال : « ولكن هب أن ابن العاص ما زال حيا وأبوها كما تعلم شديد التشيع له فلا أظنه يرضى بك زوجا لها ، فما الحيلة ؟ »

قال : « هذا راجع الى اختيارها ، ومتى عدت الى بالخبر نتدبر الأمر في حينه ، أما الآن فلا نضيع الوقت . امض الى الفسطاط على عجل وعد الى بالخبر اليقين وعلى الله الاتكال »

فأخذ بلال يستعد للرحيل ، وسعيد صامت يفكر فيما هو فيه . وأصبح الحصول على خولة شغله الشاغل ، ولكن فشله في انقاذ الامام أثار فيه حُب الانتقام من قطام . فصمم على الفتك بها اما بيده واما بمساعدة الحسن بعد تبوؤه عرش الخلافة



نجاة عمرو بن العاص

فلنترك سعيدا وبلالا على حالهما ، ولنعد الى خولة في الفسطاط . فقد تركناها عائدة في ذلك الليل الى منزلها على طريق عين شمس . وكان أبوها قد حبسها فيه . فلما أخرجها سعيد منه وسارا معا الى الدير ثم خرجت هي وحدها لم تر خيرا من أن تتظاهر بالبكاء والخوف فهرعت الى منزل أبيها باكية وكان هو لا يزال غائبا يتداول مع عمرو بن العاص في شأن الذين قبض عليهم في ذلك اليوم . فلما فرغ من أمرهم وحرّض ابن العاص على انقراضهم سار الى محبس ابنته فرأى الباب مفتوحا وليس هناك أحد . فاستغرب الأمر وعاد توا الى منزله فرأى خولة جالسة في غرفتها تبكي . فتجاهل سبب بكائها وقال : « ما بالك يا خولة ؟ »

قالت : « كيف تتركني وحدي في ذلك البيت ألم تخف على من ابتداء السبيل ؟ »

قال : « ألم ترى اني أقفلت الباب وأوصدته خوفا عليك من ذلك ؟ »
قالت : « كيف تفعل بي هذا ؟ اعاصية أنا أمرك ؟ » . واستغرفت في البكاء فتحرّكت فيه عاطفة الأبوة ، وظنها تقول ذلك عن سداجة فقال لها :
« وكيف خرجت ؟ »

قالت : « لما رايت نفسي حبيسة هناك خفت على حياتي فجعلت أناديك واستغيث بك ، ثم سمعت قرعة وضجيجا ووقع حوافر كثيرة فازداد خوفي فصحت واستجرت ، فقيض الله لي رجلا فتح الباب بالعنف فخرجت وهرولت الى البيت وأنا أرتعد من شدة الاضطراب »

فطيب خاطرها ولامها على خوفها ، ولكنه سر لظنه أن حيلته قد انطلت عليها ، وما زال يهون عليها حتى تظاهرت بالرضا فتركها وخرج وهو يظنها عازمة على الرقاد . ثم سمعت لفظ الناس في المدينة فانتبهت الى أن الجند لا يلبثون أن يفتحوا بيت الفقاري ، فاذا راوا سعيدا هناك قبضوا عليه فخرجت لانقاذه كما تقدم . وقبل خروجها أوصت عبدها بأن يوصد الباب ، وإذا سال أبوها عنها يقول له انها نامت وأقفلت الباب عليها لسدة ما أعرأها من الخوف في ذلك المساء . فبات أبوها تلك الليلة وهو يحسبها نائمة ، أما هو . فبعد انقازها سعيدا عادت الى غرفتها مضطربة فلم تستطع رقادا ،

وجعلت تفكر في وسيلة تنقذ بها عبد الله ، ولم تمكث قليلا حتى سمعت لفظا في دار ابيها ، وفهمت من خلال اللفظ ان ابن العاص عول على اغراق اسراه في النيل ، وسمعت اباها يضحك سرورا لهذا القرار ، فأسفت أسفا شديدا ، ولبثت برهة تفكر فيما تفعل ، حتى حدثتها نفسها لفرط انفعالها ، بأن تخرج في أثر الخارجين لعلها تستطيع انقاذ عبد الله . فغافلت اباها وكان قد ذهب الى فراشه وخرجت وأوصدت الباب وولعها بلال نائم امام عتبة ، وسارت في اتجاه ضفة النيل حيث ظنت انهم ساقوا الأسرى وهي عزلاء دفعتها حاستها الى الخروج هكذا . فالتقت هناك بسعيد وقار ما دار بينها وبينه ووعدته بارسال عبدها ليصحبه الى الكوفة كما تقدم . ثم عادت وحدها

فلما أشرفت على المنزل رآته هادئا وأهله نيام ، فانسلت الى الدار فرأت عبده بلالا نائما فابقظته فهب من رقادته مدعورا وكانت تعلم شدة تعلقه بها وتغانيه في مرضاتها ، فدعته الى غرفتها فتبعها فلما خلت به قالت :

« اتدرى لماذا دعوتك ؟ »

قال : « كلا يا مولاتي ولكنني رهين اشارتك »

قالت : « اطيعني يا بلال ؟ »

قال : « كيف لا وانا عبدك وطوع امرك ؟ »

قالت اريد أن اعهد اليك في أمر خطير فهل تقوم به ولو أدى الى الموت ؟
قال : « ان الموت هين في سبيل مرضاتك . مری يا سيدتي بما تشائين فانني في خدمتك »

قالت : « اسمعت بما حدث اليوم في عين شمس وما فعل ابن العاص بالمجتمعين هناك ؟ »

قال : « نعم وقد ارتكب امرنا فيه امرا جسيما وقتل كثيرين »

قالت : « اما سرك ما فعله ابن العاص بأولئك العلويين ؟ »

قال : « اذا كان سرك فانه يسرني »

قالت : « وما ظنك بي ؟ »

قال : « لا اظنك راضية عن هذا العمل ، لعلني انك على غير دعوة الأمويين ، وان يكن سيدى ابوك متفانيا في سبيل التشيع لهم »
قالت : « وكيف عرفت ذلك ؟ »

قال : « أنت تحسبيني ساذجا وقد قضيت في خدمتك اعواما طويلا واطلعت على مكنونات قلبك وأنت لا تعلمين . وأما الآن فقد دفعتنى الى التصريح بأنى اعلم غرضك ولم يفتنى شيء مما تقاسينه في سبيل الدفاع

عن الامام على ولا سيما امس ، وانت لا تعلمين شيئا الا انى احرس هذا الباب الموصل واكنتم خروجك منه عن ابيك »

فاستغربت خولة قوله ولكنها سرت به وقالت : « وما قولك فيما حدث امس ؟ »

قال : « اتحسبننى غافلا عما قاسيته فى سبيل انقاذ ذلك الشاب الغريب الليلة ، وقد كان فى جملة من خيف عليهم الوقوع فى شرك ابن العاص فانقذته بهمتك ؟ »

فتحقت انه كان يراقب حركاتها وسكناتها. فتהל قلبها سرورا فقالت : « اما والحال على ما ارى فاخبرك ان ذلك الشاب مسافر الآن الى الكوفة ، واريد منك ان تذهب اليه بالجمالين الى سفح المقطم ، فاذا التقيت به هناك فسر فى ركابه الى الكوفة واحذر ان يدرى بك احد او ان تذكر ذلك لاحد » ولم تتم كلامها حتى خرج مسرعا بهم باعداد الجمالين ، فاسترجعته وقالت : « فف يا بلال بورك فيك واسمع كلمة اخرى اقولها لك »

فعاد وقال : « لبيك يا مولاتى قولى ما تشائين »

قالت : « انك ذاهب مع هذا الشاب الى الكوفة لانقاذ الامام على من القتل ، وستعلم تفصيل ذلك منه . واما الآن فيكفينى ان اوصيك به خيرا ، واذا انتهيتما من تلك المهمة فارجع به الينا ، فانى اكراه ابن ملجم الذى يريده ابنى خطيبا لى . هل فهمت ؟ »

فضحك بلال وهز رأسه ولسان حاله يقول : « فهمت »

فقالت : « سر فى حراسة الله ، وكنت اود ان ازيدك بيانا ، ولكن الوقت ضيق فاذهب وعد سالما باذن الله ، واحذر ان تبوح لاحد بما سمعته او رأيته »

فخرج وهو يلتفت اليها كانه عاتب على ما ظهر من ضعف ثقتها بامانته ، ولكنه كان فرحا بما كلفته به ، فاعد الجمالين وخرج الى سفح المقطم وصحب سعيدا كما تقدم



ولما خرج بلال عادت خولة الى غرفتها ، وغلقت الباب واستلقت على فراشها وقد تعبت مما قاسته فى ذلك اليوم من المشاق ، وكان قد هم بها النعاس لولا ما شغل ذهنها من عظام الامور ، وما تخلل ذلك من شعورها بالميل الى سعيد ، ولولا الحياء واهتمامها بانقاذ الامام لصرحت به . وذلك لما آتست فيه من الرغبة فى انقاذ الامام على ، مع ما فى قلبها من النور السديد.

من ابن ملجم حتى كرهت أباهما من أجله ومن أجل تشييعه للأمويين
 قضت بقية ليلها لم يغمض لها جفن ، وهى تفكر فى سعيد ، وقلبها
 يخفق ميلا إليه وخوفا من فشله فى مهمته . فجعلت تقدر الوقت اللازم
 لسفره الى الكوفة فرأت أنه اذا أسرع لا يفوته الوصول اليها قبل الأجل
 المضروب للقتل . وكان يعترض مجرى افكارها خوفها مما قد يطرا عليه فى
 الطريق فيعيق وصوله فترتعد فرائصها فرقا على حياة الامام . وفى قتله
 ضربتان كبيرتان : الاولى موته ، والاخرى عودة ابن ملجم اليها . ولكنها كانت
 تتعزى بأن ابن ملجم اذا ظفر بقتل الامام لا ينجو من القتل . ثم تحول ذهنها
 الى ابنيها وخروج عبدها بالجملين ، واعدت اعدارا تنتحلها فى سبب خروجه
 فلم تجد خيرا من أن تدعى فراه الى حيث لا تعلم
 وكان ابوها قد اخفق فى أثناء الليل وهى غائبة فجاء غرفتها ليراها فوجد
 الباب موصدا فسأل العبد عن ذلك فقال : « ان سيدتى استولى عليها الخوف
 على غير المعتاد فأوصدت الباب وأوصتنى بأن أنام خارجا »
 فقال ابوها فى نفسه : « مسكينة خولة ان رعبها من ذلك الحبس لا يزال
 مؤثرا فيها » . وعاد الى فراشه وهو مصدق ما قاله العبد
 وفى الصباح جاء الغرفة فرأى الباب لا يزال موصدا ولكن بلالا ليس امامه
 فقرعه فنهضت خولة وفتحته وهى تتظاهر بالذبول لطول استغراقها فى
 النوم . فأمسكها بيده الواحدة ووضع الاخرى على كتفها وهو يقول :
 « لعلك لا تزالين خائفة يا بنية ؟ »

قالت : « كلا يا سيدى انى تحت جناحك فى امن وطمانينة »
 فقال : « بورك فيك تعالى نتناول الطعام » . ثم نادى بلالا فلم يجبه أحد
 فقال : « أين بلال ؟ »
 فقالت : « لا أدري لعله ذهب الى السوق »

فانتظر هنيهة فلم يجرى ، فأرسل خادما فى اثره فلم يقف له على خير
 ثم علم بضياح الجملين ولما انقضى معظم النهار ولم يعد بلال ولا الجمelan أشكل
 عليه أمره ، فقالت خولة : « يظهر أنه اخذ الجملين وفر » . فبعث اناسا فى
 اثره الى ضواحي المدينة فلم يأتهم أحد منهم بخبره ، فصدق أنه فر



اما خولة فلما تحققت انطلاء الحيلة على ابنيها عادت الى هواجسها وتذكرت
 المهمة التى ذهب فيها سعيد ، وأخذت تفكر فى أمره وهى خائفة ان يتأخر فى
 الطريق عن الوقت المضروب لقتل الامام فيذهب سعيها هباء منثورا ، ولكنها

كانت مع ذلك فرحة لنجاتها من ابن ملجم ، لعلها انه ان فاز يقتل الامام علي فلا ينجو من سيوف أشياعه وهم كثار في الكوفة . ولكنها شغلت من ناحية أخرى بسعيد بعد ان انتهت من تدبير سفره ولم تكن واثقة من وقوعها من نفسه مثل وقوعه من نفسها وتمنت لو يعود عبدها بلال ليطمئن قلبها ، على انه لم يكن قد أرف زمن رجوعه بعد فصبرت على مضض تترقب أحداث القدر

وجاء أبوها ذات مساء بعد عودته من حانوته وعلى وجهه سيماء البشر وقرأت فيه خبراً جديداً ، فأخبت أن تعرف كنهه . فلما جلسا الى الطعام احتالت على استطلاع حديثه فذكرت له أمر العلويين والقبض عليهم وتفتنت في استرضائه ، فابتسم وانقاد الى الكلام مع ما هو فيه من الالتئام بالطعام ، وكانها أدركت ما في ضميره فتوقفت عن طعامها تنتظر حديثه ، فالتفت اليها وقال وهو يتسم : « لقد عودتني يا خولة أن أحاذر في الكلام معك فيما أخشى افشائه »

فاستغربت وقالت : « انى لأعجب يا ابتاه من سوء ظنك بى ، فانا فتاة متحجة في هذا البيت لا أعرف من أهل الدنيا أحدا سواك ، فكيف تقول انك تحاذر أن تذكر أمامي ما تخاف افشائه . أى سر بحت به الى فافشيته ؟ » . قالت ذلك وهمت بأن تتباكى

وعاد هو فابتسم وقال : « لم أقل انك تبوحين بالسر ولكن ... » . وسكت

فقالت : « ولكن ماذا يا ابتاه ؟ انك تظلمنى بظنونك ، ويسوءنى الا يكون لى نصيب من الثقة حتى ولا من أبى الذى لا أعرف أحدا سواه »
قال : « لا أخفى عليك يا ابنتى اننى كنت ولا أزال أعتقد انك ميالة الى الأعداء و »

فابتدته وقالت : « وأى أعداء تعنى ؟ . أعوذ بالله من هذه التهم ! كيف تقول ذلك ؟ ! » . وتحت عن المائدة وأعرضت عن الطعام

فقال : « انى الحظ ميلك الى العلويين ، وأنت تعلمين أن عليا حاربنا وقتل جماعة منا في النهروان وغيرها . ولا ألومك على ميلك اليه ، لأننى كنت انا ايضا مثلك في جلة التشيعين له ، ولكنى أصبحت بعد وقعة صفين ناقما عليه لما ارتكبه في مسألة الحكمين بحيث أخرج الخلافة من يده وجعل لمعاوية بدا فيها »

فأدركت انها اذا أقرت بحقيقة ميلها القت نفسها في تهلكة ، فلم تر خيرا من الإنكار فقالت : « وما أدراك انى باقية على الراى القديم ، فانك ان كنت انت انحرقت عنه فمن أكون انا حتى أخالفك فيه »

قال : « لو لم تكوني على هذا لما تمنعت عن زواج ابن ملجم وانت تعلمين ان هذا الرجل قد عاهد نفسه على القيام بفعل لم يقدم عليه أحد من المسلمين في هذا العصر . فقد صمم على قتل علي »

فاجفلت عند سماعها ذلك التعريض وحدثتها نفسها بان تبوح بحقيقة ميلها ولكنها خافت ضياع الفرصة وهي انما افتتحت الحديث لتستطلع ما في نفس ايها ، فانكرت التهمة كل الانكار وقالت : « ان ما تنسبه الي من امر ابن ملجم ظلم يا مولاي ، فاني لم ارفض الرجل وهو خطيبي متى عاذ من رحلته هذه . وكيف تقول اني لم اقبله وأنا لم افه بكلمة في هذا الشأن ؟ »

فضحك ابوها وهو يتشغل بتقطيع فخذ من الضان بين يديه ، وقال : « نعم انك لم تفوهي بكلمة ، ولكنني أدركت من مجمل حالك انك غير راضية به » . وكان قد اتم بتقطيع اللحم فقدم لها قطعة فابت ان تتناولها وأعرضت ذللاً وحنقاً

فقال لها : « خذي كلي ياخولة ولا يسؤك كلامي »

قالت : « انما ساءني لانني اراني مظلومة واظنك عاملتني معاملة العدو فحبستني في ذلك البيت المظلم بناء على هذه الظنون »

قال : « لقد اذكرتني حديث تلك الليلة وما كان فيها من الاحوال ، وهو الامر الذي جئت لأقص خبره عليك ، ولكنني لا اقول كلمة قبل ان تصدقيني الخبر : هل انت على ولاء ابيك تأتمرين بأمره . أم ماذا ؟ »

فتغاضبت وقالت : « اني أراك تخرجني وتلجئني الى الانحراف عن دعوتك بما تشير علي من الظنون وأنا لا ابغى من هذه الحياة غير مرضاتك »

فمد يده وهو لا يزال قابضاً على قطعة اللحم وقال : « خذي اذن هذه اللقمة وأصفي لما أقوله لك »

فتناولتها من يده وقالت : « قل » . ووضعت اللقمة في فمها وهي لا تمضغها لانشغال ذهنها بما ترجو سماعه فقال : « اعلمي ياخولة ان اميرنا حفظه الله علم بقدوم رجلين اتيا من الكوفة للاجتماع ببعض كبار العلويين الذين كانوا يجتمعون سرا في خرائب عين شمس ، فبعث جندا من شرطته فقيض عليهم في مجتمعهم تحت الأرض . ألم تسمعي بهذا ؟ »

قالت : « عرفت بعض خبره بعد حدوثه »

قال : « فاعلمي اننا وجدنا بين المقبوض عليهم في تلك الليلة واحدا من ذينك الاثنين اسمه عبد الله . وأما الثاني فقد نجا ، ولا ندرى من هو ، ولعله لم يشهد الاجتماع . أما الاول فساقيه مع من سبق تلك الليلة الى دار الامارة وقد يكون وقع اليك ان « الامير رأى ان يقتل اولئك المتأمرين ، وكنت أنا ممن أشار عليه بذلك مخافة الفتنة اذا ظلوا أحياء . فأمر عمرو باغراقهم في النيل

وعبد الله معهم ، وقد عدت أنا من حضرة الأمير وهم يتهيأون لارسالهم الى النبل وعلمت في اليوم التالي انهم أغرقوهم »

فلم تر خولة في حديثه شيئا لم تكن تعرفه ، ولكنها رأت ان الحديث لم يتم فصبرت وتظاهرت بخلو الذهن من هذا الموضوع الغريب

أما هو فقال : « وقد كنت أعتقد انه أغرقهم جميعا حتى كان اليوم وأنا في منزل الأمير فرايت في بعض جوانبه عرفة مقفلة كنت كلما جئته أراها مغلقة فلم أهتم بشأنها ، فلما كان عصر اليوم دخلت على الأمير وأنا عائد من عملي ، فذكرت له امر ابن ملجم ومهمته وطفقتنا نتحدث فيما عسى أن يكون من أمره في الكوفة ، فلما وصلنا الى ذلك رأيت به يتسم ، وتوسمت في وجهه خيرا فرغبت اليه أن يطلعني على ما حدث ، وأنت تعلمين ما لي من الدالة عليه . فتردد اول الامر ، فألححت عليه فقال لي : « أتعلم من هو المقيم بهذه الغرفة ؟ »

قلت : « لا يامولاي ، لا أعلم ، وليس من شأني السؤال عما في منزل الأمير » فضحك عمرو حتى رقصت لحيته وقال : « اني حبست فيها رجلا سينقذ حياتي من القتل »

فعجبت لقوله واستغربت ما يشير اليه ، ولبيت انتظر الإفصاح فقال لي : « أعلم يا صاحبى اني حبست في هذه الغرفة عبد الله الاموى الذى كان قدومه سببا في قتل العلويين منذ أيام »

فلما سمعت خولة ذكر عبد الله علمت انه رفيق سعيد ، وخفق قلبها فرحا بنجاته ، ولكنها استغربت سبب تلك النجاة ، على انها ظلت متجاهلة تتوقع سماع تنمة الحديث ، وأبوها يتشاغل عن اتمامه بالمضغ والبلع ، وكان أكو لا

فلما خلا فمه من الطعام عاد الى الحديث فقال : « فاستغربت كلامه وسألته عما عساه أن ينجيه من الموت ؟ فذكر لي ان صاحبك ابن ملجم خطيبك هر أحد المتأمرين على قتله أيضا مع على في يوم واحد ، وأنه سمع ذلك من عبد الله هذا فلم يصدق قوله لأمراته وأساء به الظن لعلمه ان ابن ملجم من رجال دعوتنا ، ولكنه لم يسهه الا أن يستبقيه ويحبسه في منزله ريثما يأتي الاجل المضروب لقتل على وقتله وهو يوم ١٧ رمضان ، فاذا تحقق صدق قوله أفرج عنه والا ضرب عنقه . فلما سمعت ما قاله الأمير استغربته كل الاستغراب وخفت ان يكون قد أساء الظن بي ، فأقسمت له الايمان المظلة اني لم أكن عالما بغير عزم ابن ملجم ، وسألته هل عرف اسم الرجل الآخر الذى تعهد بقتله فذكر لي ان الاموى الاسير لا يعرف الاسم »

قالت خولة : « وماذا تنوى ان تصنع ؟ » . قال : « الحق يا ابنتى اننى لم ادر كيف أوكد للأمير صدقى واخلاصى بخافة أن يبقى على سوء ظنه بي ، فبالغت في اظهار الغضب من ابن ملجم ، وقلت له : (انى لو عرفت خداع الرجل ما رضيت به صهرا ، وأنا منذ الآن مانعه من خولة) . ولما قلت له ذلك

التفت الى وقال : (لا يكفينى هذا الوعد وأنا أعرف خولة وأعرف مقامها ، وطالما كنت أريدها لأحد أولادى ، وأما الآن فانى أطلب اليك اذا صدق هذا الاموى فى قوله ان تكون ابنتك خولة عروسا له ، لان الرجل اموى وكان على دعوتنا حتى أغراه بعض الناس بالتشيع لعلى) . . »

فلما وصل الى هذا الحد علمت خولة ان عبد الله لا يزال حيا ، واطمان قلبها وادركت انه لم يذكر اسم المتآمر الثالث على قتل معاوية مخافة ان يرسل عمرو بخبره الى الشام فينجو معاوية منه

ولكنها لما سمعت ذكر خطبتها له اطرت حياء وسكتت وقلبا يختلج فرحا بنجاتها من ابن ملجم ، ثم تذكرت حبها سعيدا وما بعثت به اليه مع عبدها بلال ، فاحتارت فى أمرها على انها لم يسعها الا كتمان كل ذلك والتظاهر بالاستغراب فقالت وهى تهز رأسها استغرابا : « اصحيح أنهم تأمروا على قتل عمرو ايضا انها لمصادفة غريبة ؟ »

قال : « حقا انها لمصادفة نادرة ، ولكن ما قولك فى اقتراح عمرو ؟ » فسكتت ولم تجب

فقال : « ما معنى سكوتك وانت تعلمين اننا لانستطيع رد ذلك الاقتراح ؟ » قالت : « دع هذا الآن ، فانه ليس بالامر المهم ، وما خولة الا جارية حقيرة لاستحق هذا الاهتمام ، ولنصبر الى الاجل المسمى لئلا نرى ما يكون »

فقال : « اننا صابرون ، وأرجو أن يكون خطيبك الجديد اهلا لك وليس مثل ابن ملجم الخائن ، على انى أدركت من خلال حديث عمرو ان عبد الله رجل كريم ، وهو اموى ربي فى منزل الخليفة عثمان ، ولكنهم أغروه بالتشيع لعلى ، ثم عاد الى ما كان عليه . وأذكر انى رأيته ليلة قبضوا عليه فاذا هو شاب فى مقتبل العمر واظنك سترتاحين اليه »

فظلت خولة ساكنة ، فحسب والدها سكوتها قبولا فسكت ، وكانا قد فرغا من الطعام فنهض ونهضت خولة ففصلت يديها وذهبت الى غرفتها وهى تفكر فيما سمعته من ابيها وتحسب نفسها فى حلم



فلما خلت بنفسها تذكرت سعيدا وحبها له فتعاذفتها الهموم ، وهى تخاف ان يحملها عمرو على الاقتران بعبد الله قبل ان تعلم مصر سعيد ومهمته فى الكوفة ، وقد أعجبت بدهاء عبد الله لانه باح بخبر المؤامرة على قتل عمرو وكنم امر المؤامرة على معاوية ، ولكنها خافت الا تتم نبوءته فلا يأتى القاتل فى الاجل المعين فيقتله عمرو . وكانت اذا تصورت صدق نبوءته ونجاته من القتل يخفق قلبها لاضطرارها عند ذلك الى قبوله زوجها لها وهى تحب سعيدا ،

فهلجت اشجانها واربتكت في أموها ، وجعلت تبحث عن سبيل تنجو به من هذا التردد فلم تر خيرا من الصبر والنزول على حكم القدر
 اما عبد الله فكان قد جنح الى هذه الخيلة خوفا على حياته ، وكان يخشى ان يتأخر المتعهد بقتل عمرو عن المجيء لسبب من الاسباب فيذهب سعيه عبثا

وظل عمرو اياما لا يخرج للصلاة ، فلما كان فجر ١٧ رمضان شكى المأ في بطنه فلم يخرج ، واتفق خروج خارجة بن ابي حبيبة صاحب شرطته للصلاة وهو لا يعلم بخبر المؤامرة ، ولم يأمره عمرو بالخروج ولو علم بخروجه لنعى ، على انه لم يكن يحسب ان القاتل يأتي لقتله في الفجر وهو يصلي ، بل كان يحسب انه سراقب خروجه في اثناء النهار في بعض شؤنه . ولكن منية خارجة عاجلته فخرج فجر ذلك اليوم الى الجامع ليصلي بالناس ، ولم يكد يبدأ بها حتى هم به رجل من الوقوف وهو يحسب ابن العاص فضربه بالسيف فقتله فقبضوا عليه وساقوه الى عمرو . فلما رآه عمرو بغت وصاح به : « وبلك قد قتل صاحب شرطتي قتل خارجة بن ابي حبيبة » . فأجابته الرجل بقلب لا يهاب الموت : « والله اني كنت أحسبه أنت »

فقال له عمرو : « اردتني واراد الله خارجة . من أنت يا غادر ؟ »

قال : « عمرو بن بكر » . قال : « ومن أنت ؟ » . قال : « من تميم »

فقال : « اقتلوه » . فقتلوه ، وقد حزنوا لمقتل خارجة ولكن ما قدر كان اما خولة فانها باتت ليلة ١٧ رمضان على مثل الجمر وهي تتوقع ان تسمع خبرا جديدا في اليوم التالي ولم تكن تتوقع ان يفعل الفادر فعلته في الفجر فاصبحت وقد ضجت الفسطاط بخبر خارجة وجاءها ابوها فأخبرها به ولسان حاله يقول : « لقد صحت أقوال عبد الله فتأهبي للاقتران به »

تحققت وقوع المحذور ولم تعد تدري ماذا تفعل وندمت لأنها لم تفادر بيت ابيها سرا قبل ذلك اليوم على انها لم تكن من الجهة الاخرى موقنة من ان سعيد يبادلها ودا بود ، فانها لما لقيته في الفسطاط لم تتحقق ميله اليها . فوقع في حيرة ولكنها كانت مع هذا في قلق على الامام على لا تدري هل نجا كما نجا عمرو ام ذهب فريسة ابن ملجم وتمنت لو ان عبدها يعود في ذلك اليوم بالخبر اليقين



تركنا سعيدا وبلالا في الكوفة وقد اخذ الاخير يتأهب للسفر الى الفسطاط ، واخذ سعيد يفكر فيما يفعل بعده وكان هو الذي أمره بالذهاب الى الفسطاط ليعود اليه بالنبا اليقين عن عمرو . ثم رأى انه قد يطول به الانتظار ولا صبر له عليه . فقال لبلال : « كنت قد امرتك بالذهاب الى الفسطاط ، ولكنى أرى

اجل عودتك بعيدا فلماذا رايت ان اذهب الى دمشق لانتظرك بها ، على أن
توافيني الى مسجدنا بعد عشرين يوما ، وسواء اتمكنت من الفتك بقطام ام
لا ، فاني ساعرف هناك مصير معاوية »

وسافر بلال ، وصبر سعيد الى الغد ثم خرج قاصدا بيت قطام فراه
مقفرا من اهله ، فوقف عند باب الخديفة يتأمل نخلاتها وطرقاتها ويفكر فيما
مر به هناك من الاحداث وما انطلى عليه من مكر قطام غير مرة ، وتذكر آخر
مرة زارها في ذلك المنزل ومعه ابن عمه عبدالله فازداد ميلا الى الانتقام منها .
وفكر في المكان الذي عساها ان تكون قد ذهبت اليه ، فخطر له ان تكون قد
سارت الى اهله في جوار الكوفة ، فمضى للبحث عنها هناك ، ولكنه لم يقف
لها على اثر ، فمل البحث وخاف ان ينقض الاجل الذي ضربه بلال كيما يوافيه
هذا في دمشق ، ولاح له ان قطام قد تكون سافرت الى دمشق لتلتجئ الى
معاوية بعد ان نجحت في قتل الامام على منافسه ، فحزم امره وقصد الى
دمشق على ناقة تسابق الرياح

اما قطام فكانت قد علمت من ريحان بقدومه في الليلة التي وصل فيها الى
الكوفة ، اذ عاد اليها ريحان واخبرها بما دار بينه وبين بلال عبد خولة ،
وحكى لها ما فضحه هذا من سره وكيف كان سببا في انكشاف امره لدى سعيد
فلم يعد يصدق له ولم يرض المجيء معه الى بيتها ، فحنقت على بلال وعلى
سيدته خولة ، وشعرت مع كرها لسعيد بالخيرة تاكل قلبها من اجل علاقته
بخولة ، ولا سيما ان هذه كانت عوننا على عرقلة مساعيها لقتل الامام على ،
فأضمرت لها السوء ولكنها شغلت عنها تلك الليلة بما كانت فيه من انتظار
الفتك بعلي . وكان ابن ملجم باثنا عندها . فلما كان الفجر خرجت هي
وعجوزها وعبدها ، وضربت قبتها في المسجد كما تقدم . وفي ذلك من الجراة
ما فيه ، ولم تكن تخشى كشف حيلتها لما دبرته من ارسالها لبابة المحتالة
بالصك بعد تغييره الى قنبر حاجب الامام



نجاة معاوية

قتل الامام علي ، ورات قطام انه قد قبض على ابن ملجم كما توقعت فسارعت الى الفرار بعبدتها وعجوزها الى مكان خارج الكوفة ، وقد شفت حرازة صدرها بقتل الامام . ولكنها بقيت نائمة على سعيد وزادت نغمتها بعدما علمته من امر خولة ، فعزمت على الذهاب الى الفسطاط ، لتشي بها الى عمرو ابن العاص لاعتقادها انه لا بد مقدر لها ما اثباته به عن سر اجتماع العلويين . ولم يخامرها شك في نجاح وشايتها بخولة ، لانها من انصار علي ، فيقتلها اذا كان هو قدسلم . اما اذا كان قد قتل ، فانها لن تعجز عن تدبير حيلة اخرى . واستشارت لبابة فيما عن لها فاستحسن رأياها ، وحسنت لها المسير الى الفسطاط . واستشارت ريجان فقال لها : « اني في ركابك ، اينما توجهت » . فاثنت على غيرته ، واصبحت في اليوم التالي قاصدة الفسطاط على ان تمر بدمشق وتستطلع حال معاوية وما كان من امره بعد ١٧ رمضان . فاذا كان قد قتل ، فتحمل الخبر الى عمرو ، وتحرضه علي طلب الخلافة لنفسه

فلما وصلت الى دمشق سمعت ان رجلا اسمه البرك بن عبد الله التميمي الصريمي ، قعد لمعاوية في فجر ١٧ رمضان في مسجد دمشق . فلما خرج معاوية للصلاة شد عليه بالسيف فوقع السيف في اليته . فلما اخذوه اليه قال له : « ان عندي خبرا اسرك به ، فهل يتفعنى ان انبئك به ؟ » فقال له معاوية : « نعم »

قال : « ان اخا لي قتل عليا هذه الليلة »

فقال : « لعله لم يقدر على ذلك »

قال : « ان عليا ليس معه احد يحرسه . فلا بد ان يكون قد قتله »

فامر به معاوية فقتل ، ومضى هو يطيب جرحه

فلما علمت قطام بنجاة معاوية لم يبق لديها الا الشخوص الى الفسطاط للايقاع بخولة



اما عبد الله فلبث في سحنه بمصر وقلبه واجف لما يخشى من حبوط

المؤامرة . وقد خطر له أن يحتاط لذلك ، فلما باح عمرو بالسراشترط عليه الا يطلع احدا عليه لانه اذا شاع وبلغ خبره التآمر فقد يعدل خطته ، فيقدم الميعاد أو يؤخره ، واقتنع عمرو بهذا ، فكتم امر المؤامرة عن كل الناس حتى صاحب شرطته . اما أبو خولة فقد كان من أكثر الناس تقربا من عمرو ، واعظمهم غيرة عليه ، وكان عمرو يثق فيه ، على انه لولا رغبته في معاتبته على خيانة صهره ابن ملجم لما كشف له الامر

فلما كان ليل ١٧ رمضان أخذ القلق من عبد الله مأخذا عظيما لعلمه انه أصبح بين الحياة والموت . فلما كان الصباح وهو في سجنه يطل من كوة ليرى أو يسمع ما يجري وصل الى اذنيه لفظ لم يفهم منه شيئا صريحا ، فانتظر حتى جاءه الحارس بالطعام على عادته ، فعلم منه ما حدث ، فاطمأن . وبعد العشاء جاء أحد رجال عمرو الى السجن فحل قيوده ودعاه الى مجلس الامير ، فمشى في أثره وهو يرى نفسه قد خرج بذلك من عداد الاموات . فقاده الرجل الى قاعة جلس فيها عمرو بن العاص على وسادة ، وفي يده درة (سوط) يلاعبها بين أصابعه ، وليس في القاعة احد سواه . فلما اشرف عبد الله على القاعة نزع حذاه ودخل توا الى مجلس الامير وهم بتقبيل يده ، فأمسكه ابن العاص بيمينه وأجلسه الى جانبه وهو يقول بصوت منخفض : « لقد كانت نجاتنا على يدك فحق لك علينا التكريم ، ولكن وقع صاحب شرطتنا في الشرك الذي كان منصوبا لنا ، ولو علمنا الساعة أو المكان المعين لتلك الفعلة الشنعاء لاستطعنا تداركها ، أو لاطلعت خارجة على سر الامر فربما كان نجا بنفسه ، ولكني لا أظنه كان يستطيع ذلك وهو لا يعلم الزمان والمكان المعينين »

فقال عبد الله : « ان حباتي كانت رهنا ببقاء الامر سرا ، ولو أنه شاع لغير الغادر خطته تأخيرا أو تقدما ، وكنت انا المقتول الآن بدلا من خارجه ، لأنك كنت تسيء الظن بى فتقتلنى »

ولم يتم كلامه حتى دخل خادم يقول : « ان أباخولة بالباب » . فقال عمرو : « ادخلوه »

فدخل أبو خولة ولم يكن من مصاف الامراء ولا من القواد الانداد حتى تكون له تلك المنزلة عند عمرو ، ولكنه نال الخطوة عنده عندما اطلعه على عزم ابن ملجم على قتل على . وظل يتردد على دار عمرو ويبدل وسعه في خدمته حتى عده عمرو من أصحابه

فلما دخل أبو خولة القاعة حيا ، وقبل أن يجلس قال له عمرو : « اغلق الباب ، ومر الخدم الا يأذنوا لاحد » . ففعل ودخل . فدعاه عمرو الى جانبه وعرف اليه عبد الله ، فأعجب أبو خولة به لانه كان شابا جيلامع نباهة وذكاء . وسر لما دبره عمرو من مصاهرته له . واما عبد الله فكان خالي الدهن من كل هذا

فلما جلس الثلاثة التفت عمرو الى عبدالله وقال له : « لقدعرتك بصاحبنا
أبى خولة ، وأزيدك علما انه من أعمز أصدقائي ، وقد كتبت أمر المؤامرة عن
كل أحد سواه ، ولكنني اشترطت عليه شرطا أظنه يعود عليك بالنتغمة ، وقد
فعلته مكافأة لك على خدمتك لى »

فوقف عبد الله متأدبا وقال : « أياذن لى مولاي فى كلمة ؟ »
قال : « قل » . قال : « لا تحسب أبها الأمير أن لى فضيلا بما بحت لك به ،
فانى والحق يقال انما فعلته استبقاء لحياتي ، فلا تظننى أخدعك أو أخدع نفسى »
فأعجب عمرو بصراحة عبد الله وقال له : « لم تودنى بما قلت إلا رغبة فى
مكافأتك ، أن ابن العاص لا يجهل قدر الرجال وليس من السداجة بحث
لا يدرك أنك لو لم تقع فى يده وتشعر باخطر على حياتك وبلا نجاة لك بغير
افشاء ذلك السر ، ما أقدمت عليه . ولكنى مع كل ذلك أقدر جيلك ، وأريد
مكافأتك . وقد رأيت من صدق قولك ما أكد لى أنك لو كنت من أنصارنا
لكان لنا بك نعم النصير ، وأنت أموى على ما علمت فليس تشيعك للعوليين
معقولا » . قال ذلك وفى صوته غنة استفهام كأنه يستفهم عن سبب تشيعه
فسكت عبد الله . فقال عمرو : « ولكنك لم تسألنى عن المكافأة التى أعدتها
لك »

قال : « قلت انى لا استحق مكافأة »

قال عمرو : « امتزوج أنت ؟ »

قال : « كلا يا مولاي »

قال : « اذن فاعلم أن فى الفسطاط فتاة يتحدث بجمالها وتعقلها أهل هذه
المدينة ، وهى ابنة صاحبى هذا (وأشار الى أبى خولة) . ولا أخفى عليك
انها كانت مخطوبة لعبد الرحمن بن ملجم ، وهو أحد المتآمرين على قتلى وقتل
على بن أبى طالب ، ولا ندرى ما كان من أمره اليوم فإنه الموعد المضروب »
ولما قال عمرو ذلك تذكر عبد الله ما كان قادمنا من أجله مع سعيد وكيف
فشلت مهمتهما فاتقبضت نفسه ولكنه تجلد وصبر الى آخر الحديث

فأتم عمرو كلامه قائلا : « أن خولة هذه كانت مخطوبة لابن ملجم ، على أن
يتزوجها بعد عودته من الكوفة ، ولا ريب أن ذلك الخائن كان عالما بتواطؤ عمرو
أبن بكر على قتلى فكتم ذلك ، وسار ولم يطلعنى على شيء منه ، ولهذا عدته
شريكا فى قتلى ، فحرمته من خولة ، ولئى دالة على أبيها لأنها بمنزلة ابنتى ،
وقد خطبتها لك منه ، ومتى رأيتها تحققت أن قد أزوجناك زهرة الفسطاط
وخير بناتها » . ثم التفت عمرو الى أبى خولة وقال : « ولا تظننا فرطنا فى
خولة ، فإن هذا الشاب من سلالة الأمراء ، ويكفى أنه أموى وبينه وبين الخليفة
معاوية نسب قريب . أما الخائن ابن ملجم فإن عاد إلينا فلا أبقانى الله أن أبقيته
حيا . ولكننى لا أظنه الا مقتولا فى دار ابن أبى طالب فإن فى مهمته أم لم يفر » .

قال ذلك والغضب باد على وجهه ، فعزح عبد الله بما ناله من الخطوة في عيني عمرو ، وارتاح لما سمعه عن خولة ، ولكنه بقي قلقا على ابن عمه سعيد ، وما كان من امره يعد ان فارقه في مسجد الفسطاط يوم اجتماع عين شمس . وحدته نفسه ان يسأل عمرا عنه مخافة ان يكون وقع في ايدي رجاله ، ولكنه لبث ساكنا يتردد ، وقد نسي اقتراح عمرو . فظنه عمرو غير راض فقال : « ما بالك لم تجيب ؟ لعلك لم ترض بخولة ، والله اني ارضاها لأعز أبنائي »

فابتدره عبد الله قائلا : « عفوك يا مولانا ، كيف لا ارضي بما رضى عنه انت لي ؟ وما سكوتي الا لاني حسبت اقتراح الامير امرا نافذا لآخره لي فيه ، على اني ارجو ان تسألها هي رايها في الزواج بغريب مثلي » فقال ابو خولة : « ان خولة جارية مولانا الامير ، وما يرضاه لها لامندوحة لها عنه ، وانا وهي طوع ارادته »

واستولى السكون عليهم لحظة ، ثم التفت عمرو الى عبد الله فقال : « كنت اظنكما اثنين جثما معا الى الفسطاط ، ولكنني لم أر سواك »

فاضطرب عبد الله ، ونظر الى عمرو وقال : « هذا هو الامر الذي شغل بالي في اثناء حديث مولاي . ان رفيقي هو ابن عمي ، وقد جئنا معا الى هذه المدينة ولكنني يمت عين شمس وحدي وتركته في المسجد على ان استقل المكان واعدت اليه ، فقبضوا على ولم اعد اعرف شيئا عنه الى الآن . فهل عثر الشرطة به فقتلوه ؟ »

قال عمرو : « لم أسمع عنه شيئا ، ولا اخبرني احد بخبره ، فقد يكون نجا بنفسه لما سجع بما وقع لكم في ذلك الاجتماع »

فهذا روع عبد الله ، ولكنه ظل مشتاقا لاستطلاع حال سعيد وتمنى ان يسير توا الى الكوفة فيستطلع كل شيء ويتحقق ما وقع للامام على ، ولكنه خجل من ابداء رايه هذا لعمرو ، ورأى ان يتظاهر بالرغبة في السفر للبحث عن ابن عمه فقال : « لقد اوضحت لمولاي ما انا فيه من القلق على ابن عمي هذا ، فهل يأذن لي الامير بالذهاب الى الكوفة لاستطلع حاله ثم اعود ، واكون في خدمتك الى الممات فقد اوليتني جيلا لا انساها ؟ »

قال عمرو : « يكون ذلك بعد عقد قرانك بخولة ، حتى اذا صرت من اصهارنا ، كان لك ان تسير الى حيث شئت »

وكان عمرو لدائه وحسن سياسته قد ادرك ان رجلا حرا صادقا مثل عبد الله لا يفرط فيه . لانه اذا اخلص الخدمة كان نفعه عظيما ، فلم ير لسكي يقبده خيرا من ان يبادئه بالجميل ، وأن يزوجه ابنة صاحبه وهو بحسب خولة على دعوته فتجيب اليه الرجوع الى حزب الامويين . ولم يكن يعلم آنئذ هل نجح ابن ملجم في مهمته بالكوفة أم لا . فلما اقترح على عبد الله عقد قرانه قبل السفر ، قبل عبد الله واطاع ، فضرب عمرو أجلا لذلك وقال :

« تقيم عندنا في أثناء ذلك ضيفا كريما ، فاذا آن الزمن عقدنا لك على خولة
ثم تنصرف للبحث عن ابن عمك »

فوقف عبد الله بين يدي عمرو بهم بتقبيل يده وقال : « لقد غمرني فضلك
ولست بمستطيع ان افي يدك على حقها » . وأستاذن في الخروج فأذن له

وخرج أبو خولة أيضا وهو يكاد يطير فرحا لما رأى من خلق عمرو . وسره
الخطيب الجديد لابنته ، فسار توا إلى المنزل وكانت خولة جالسة هناك على
مثل جمر الغضا تتقاذفها الهواجس بعد أن تحققت نجاة عمرو وعلمت بما
فرضه من زواجها بعبد الله . بينما هي تؤثر البقاء على حب سعيد وهو أول
من وقع في نفسها مع عدم نفورها من عبد الله ، فلما كان المساء وأبطأ أبوها في
العودة إلى البيت قلقت وليبت تنتظره بفارغ الصبر لعلمها انه لا بد من مروره
بعمرو على أثر ما كان من نجاته في ذلك اليوم . وحسبت لابطائه ألف حساب .
وأخوف ماخافته من ذلك الإبطاء ان يكون سببه البحث في أمرها وأمر عبد الله
وهي لا تريد ذلك



فلما انقضى العشاء ومضى بعده ساعتان سمعت قرع الباب فأسرعت دقات
قلبها وعلت وجهها صفرة الوجل ، وظلت مستلقية على الوسادة في حجرتها ،
وما لبث باب الدار ان فتح . فاتجه أبوها توا إلى غرفتها فقرع الباب فنهضت
لتفتح له وركبتها تصطكان من الاضطراب . فدخل والمصباح في يده فوضعه
على مسرجة وجلس إليها وعلى محياه أمارات البشر والسرور ، وهو يحسب
ان قد جاءها ببشرى عظيمة . فراها مضطربة الخواس قلقة الخاطر رغم
تجلدها ، فقال لها : « ما بالك يا بنية ما الذي أزعجك ؟ »

قالت : « لم يزعجني شيء ، ولكنني قلقت لغيابك وأنا وحدي في هذا البيت
لا أرى فيه أحدا غير الخدم »

قال وهو يتسهم : « لقد دنا الوقت فلن تكوني وحدك بعد الآن »

فتجاهلت مراده وقالت : « يظهر أنك علمت بما أقاسيه من الوحدة فعزمت
على ألا تتركني وحدي ؟ »

فضحك لسداحتها وقال لها : « ليس هذا قصدي يا خولة ، ولكنني أذكرك
باقتراح الأمير الذي أطلعتك عليه منذ بضعة أيام ، فانه قد تم اليوم بعد أن
صدق قول عبد الله الأموي ، فجمعني عمرو به الليلة في داره ، فرايته شابا
جيلا عليه مهابة الامراء ، تتجلى الشجاعة والانفة في وجهه . ويكفي ان الأمير
سحر به وبالع في إطاره أمامي . فهذا هو خطيبك ومتى عقد قرانكما لا تكونين
وحدك »

ولم يتم كلامه حتى صبغ وجهها حمرة الحجل وظلت صامتة ، ثم أخذ العرق ينسكب عن جبينها كاللؤلؤ المنثور وهي مطرقة لا تفوه بكلمة

ولم يكن الحجل وحده سبب اضطرابها كما ظن أبوها ، ولكنها أصبحت كرشية في مهب الريح حائرة بين أن تطيع عواطفها وبين أن تطيع أباه وأمرها . ولو أنها لم تبعث الى سعيد مع بلال يخبر حبها له لكانت المعضلة أيسر ، وقد علمت أنها إذا رفضت عبد الله رفضا باتا تغضب عمرا وأباه . وهي مع ذلك لاتدري مصر سعيد ولا ما آلت اليه مهمته بعد خروجه من القسطنطينية مع بلال ، ولم تر فرجا الا بالاصطبار فصبرت حتى يعيد أبوها السؤال فتستعمله أما هو فلما آتس فيها ذلك الاضطراب حله بحمل الحجل ، وهو أمر عادي في الفتيات في مثل هذه الحال . فوضع يده على شعرها المسدول على كتفها وقال لها : « لا تخجلي يا بنية ، ان أباك هو الذي يخاطبك ، وقد تم الامر على يد الأمير وهو شرف كبير لنا لو تعلمين »

فأجابت وهي مطرقة وقالت : « وهل ضرب لذلك أجلا ؟ »
قال : « لقد ضرب أجلا لذلك أسبوعا »

قالت : « فليكن ثلاثة أسابيع »

قال : « وما الداعي الى هذا التأجيل فاني أخشى ان يغضب عمرو فأطيعيني وعلى تبعه ذلك . فان عبد الله فتى قلما يجود الزمان بمثله ، واني بمصاهرته لفخور فلا محل للاعتراض » . قال ذلك وفي كلامه شيء من الغشونة على عادته معها إذا أصر على أمر . فخافت سوء العقبي إذا جادلتها فسكتت وأظهرت الارتياح . فلما رآها هكذا قال لها : « بورك فيك يا بنية ، بعد أسبوع تتم معدات الزواج »

فظلت مطرقة وقد عولت على اتخاذ وسيلة أخرى للتأجيل



الزفاف الكاذب

اما عبد الله فاخذ في البحث عن بيت يقيم به ، وبينما هو في ذلك جاءه بعض رجال عمرو واخبروه بان الامير قد امرهم بان يعدوا له منزلا في داره ضيفا عليه . فازداد عبد الله اعترافا بجميل عمرو ، وفرح لانه غريب لا يدرى اين يذهب . وتبع الرجل الذي كلمه الى غرفة فيها فراش وغطاء وبعض الاثنية ، وسأله الرجل : « هل تحتاج الى طعام ؟ » . فاعتذر وسار توا الى فراشه

ولما خلا بنفسه جعل يفكر في نجاته وصورة ابن عمه سعيد عالقة بذهنه لا تبرح ذهنه . على انه اطمأن على حياته ، وأحب أن يتم ما أتى الفسطاط لأجله ويعلم ما حدث للإمام على

وكانت ذكرى خولة تعترض تصورات واشتاق رؤيتها والتحدث اليها ، وقضى ليله هكذا

ولما أصبح سار الى المسجد فصلى وهو يتوقع أن يرى أبا خولة لعله يدعوهُ الى منزله فيتيسر له رؤية خولة ولو خلسة . وكان أبو خولة قد مر بالجامع في ذلك الصباح عمدا ، فلقى فسلم عليه ودعاه الى العشاء فقال له : « انى في ضيافة الامير ولا يليق بى قبول الدعوة الا بعد استئذانه »

فقال : « أنا استأذنه عنك »

قال : « حسنا » . وافترقا . فمشى عبد الله في طرق الفسطاط واسواقها ، فمر ببيت خولة وهو لا يعرفه . وكانت خولة قد أصبحت في ذلك اليوم مضطربة قلقة ، فخرجت تمشى في الدار فوقع نظرها على عبد الله وهو مار ، ولم تكن راته من قبل ، ولكنها استنتجت من لباسه وقيافته وشبهه سعيدا انه هو عبد الله خطيبها ، فاختلج قلبها في صدرها ونفرت لأول وهلة ، ولكنها ارادت أن تتبين حاله فتفرست فيه وهو ماش فراته معتدل القوام رشيق الحركة فارتاحت لرؤيته وسرت به لمشابهته سعيدا ولكنها ما لبثت أن نفرت منه لما تذكرت انه سيحرمها من حبيبها وما زالت تتبعه بنظرها حتى توارى ولم ينتبه

وعادت خولة الى غرفتها منقبضة النفس، وقضت نهارها لم تذوق طعاما .
ولما كان الغروب آن موعد مجيء أبيها ، وكان الخدم قد أعدوا المائدة له ولضيفه
وخولة لا تدري . وما عثم أن دخل الدار ، وسعل على عاداته كأنه ينبه اهل
المنزل الى مجيئه . فتظاهرت خولة بارتياحها الى قدومه ولكنها تمارضت
ومالبت أن رات معه شابا عرفت أنه عبدالله فحقق قلبها وسادها الاضطراب،
وتوارت في حجرتها



وأما أبوها فذهب بضيفه الى قاعة الضيوف ، واجلسه هناك ، وجاء الى
خولة فرآها مستلقية على الفراش، وقد امتنع لونها فنحفت للنهوض وهي
تتظاهر بالضعف . فقال : « ما بالك يا خولة ؟ »

قالت : « لا شيء ، غير انى أشعر بانحطاط في قواى لا أدرى سببه »
فدنا منها وهمس في أذنها قائلاً : « شددى عزمك فقد جاءنا ضيف عزيز »
فاجبت متجاهلة : « مالى وللضيوف ؟ انى لا أستطيع النهوض لمقابلة
الضيوف »

قال : « ان الضيف أصبح من انسبائنا ولا بأس من رؤيته نزولا على امر
الامير عمرو بن العاص »

فقالت : « ولكننى منحلة القوى . دعنى الآن وسأراه في فرصة اخرى
وأنا في عافية ان شاء الله »

قال : « لقد كنت اظنك أكثر رغبة منى في رؤيته بعد ان ابلغتك امر خطبتك
له ، ايليق بنا الآن ان نظهر له الجفاء »

فتحيرت خولة ولم تدري بماذا تجيبه وهي تخشى غضبه لما تعلمه من سوء
خلقه وحقه ، فظلت صامتة

فأمسك بيدها وأنهضها ، فوفقت مرغمة وسارت معه مطرفة ، فلما وصلا
الى باب الغرفة وقف وقال لها : « ضعى خمارك على رأسك وتسجعى واستقبلى
الرجل بما يليق بامثالك ، لئلا يبلغ عمرا عنا ما يدل على عصيان أمره فيعضب »
فراحت خولة من الحكمة أن تتجلد وتصابر اشفاقا من غضب أبيها ، فخفت الى
خمارها فوضعتة على رأسها وأصلحت هندامها وخرجت في أثر أبيها حتى
دخلوا على عبد الله

وكان عبد الله قد استنبط مجيئها فحملها على محمل الخمر والدلال ، وازداد
شوقا الى رؤيتها ولو المأمة . فلما اشرفت على الغرفة وتبين جالها واعتدال
قوامها انشرح قلبه وحمد الله على توفيقه بعد نجاته من الموت . فدخلت
وحيت بما يجدر بمثلها في مثل هذا المقام ، وجلست على وسادة بجانب أبيها

وكان عبد الله يسارقها اللحظ فلا يزداد الا اعجابا بها ، ولم تمض تلك الليلة حتى علق بها ووقعت من نفسه موقعا ساميا لما آتته من جالها وذكائها وتعقلها في أثناء الحديث مما ينذر مثله في أمثالها من ربات الحدور . فخرج مأخوذا بخولة



قضى عبد الله بقية الاسبوع في مثل ذلك ، وهو يتردد على بيت خولة ويزداد تعلقا بها . ولما أرف يوم الزفاف دعاه عمرو اليه وقال : « أريد أن أعقد لك عليها في دارى ، وتقيما عندنا حتى يتراءى لكما غير ذلك » . فعل عمرو ذلك التماسا لما عزم عليه من كسب عبد الله الى حزبه ، فشكر له عبد الله ، ولما حل الميعاد زفت خولة الى عبد الله ، وعقد قرانه بها على العادة المتبعة ، وعبد الله مغمم سرورا بهذا النصيب ، ولولا ما يجول في خاطره من القلق لغياب سعيد واخوف على الامام على لكان أسعد خلق الله لأنه رأى في خولة ما طالما تأقت اليه نفسه في النساء من التعقل والرزانة مع الجمال والذكاء فلما انفض حفل العرس دخل العروسان الى محدهما

فلما خلا عبد الله بخولة تقدم لنزع الغطاء عن وجهها فأمسك النقاب ورفع فاعادته الى ما كان عليه ، فظنها تداعبه فضحك وقال لها : « يلوح لى انك لا تحبين عبد الله ؟ »

قالت وهى مطرقة : « يعلم الله انى لا اكرهه » فمد يده الى النقاب ثانية وحاول رفعه فمنعته . فتحير في أمره ، وأمسك يدها وقال بلهجة الجد ونفمة الحب العائب : « ما بال خولة تمنعنا مما أحله الله ودعانا اليه القلب ؟ »

وكانت خولة واقفة بجانب القراش فابتعدت عنه وأسندت ظهرها الى الحائط تبالغ في غطاء النقاب مطرقة ولم تحر جوابا

فاستغرب عبد الله سكوتها وتمنعها وظن في الامر خديعة ، فأظهر الجد وهو لا يزال قابضا على يدها حتى وقف بجانبها وقال لها : « ما الذى اراه يا خولة ؟ ما الذى تحدثك به نفسك ؟ ان كنت انما تفعلين ذلك خفرا فهو غلو لا محل له وقد عقد قراننا بحضور امير مصر ونخبة الاعيان والامراء . وان كنت قد اكرهت على القبول وانت تحبين غيرى فقولى »

فلما قال ذلك رفعت رأسها اليه ، وجذبت يدها من يده بلطف وقالت : « نعم انى احب غيرك ، ولكننى قلت لك انى لا اكرهك بل احبك بحبة الاخ لا بحبة الزوج »

فبغت عبد الله وعلته الدهشة ، وكاد الغضب يغلب عليه لو لم يتجالد ليعرف جليلة الامر . فنظر اليها غاضبا وقال : « لقد رايت منك العجب ،

وأعجب منه احتقارك إياي مما لم أكن أتوقعه بعد عصيتك . هلا كشفت عن السبب ؟ »

فأمسكت النقاب وأزاحتها عن وجهها وقالت : « انى لا أرى الحجاب واحد بينى وبينك ، و لانا خائفة من اطلاعك على ما فى ضميرى . ولكننى أسأل سؤالا اذا اجبتنى عنه بحث لك بسرى »

فقال : « اسألى فانى مجيبك »

قالت : « كيف رضيت عقد قرانك وابن عمك غائب ؟ »

فقال : « وای ابن عم تعنين ؟ »

قالت : « أعنى ابن عمك سعيدا الذى جئت معه الى الفسطاط ، الا يهكم أن تعرف ما آلت اليه حاله ؟ »

فاستغرب ذلك منها ، ولم يكن يعلم اطلاعها على شيء من ذلك فقال : « من أين لك أن تعرفى ابن عمى وما جئت من أجله الى الفسطاط ؟ »

فتنهدت وقالت : « عرفته بقدر من الله ، وانى أعجب من نسيانك تلك المهمة التى جئت من أجلها . هل تظن الامام عليا نجا من القتل ؟ »

فازداد عبد الله استغرابا ، ونسى ما كان يعد به نفسه من قربها وهاجت به أشجانه ، وتذكر ابن عمه فقال : « لقد أذهلتنى ياخولة بما سمعته منك ، فافصحى عما فى ضميرك واخبرينى كيف عرفت ابن عمى وما العلاقة بينه وبين تمنعك الليلة ؟ »

قالت : « أتعذرنى بالكتمان وحفظ الزمان ؟ »

قال : « نعم أعدك وعدا صادقا ، فافصحى فليس لى صبر على هذه الرموز »

فتنهدت وعلت وجهها حرة الخجل ، وهمت بالكلام فارتج عليها ، وعبد الله يتأمل ملاحظها ويراقب ما يبدو منها صامتا ، فلما لم يسمع منها شيئا . قال لها : « بالله لاتطيلى السكوت فقد نفذ صبرى ، قولى ما بدا لك وفرجى كربتى »

قالت : « أقول ولا أخشى لوما انى احببت سعيدا قبل أن أراك ، وهو أحنى على ما أظن ، وحبنا قائم على اشبراكنا فى الدود عن الامام على ما استطعنا . وقد ذهب سعيد ضحى الليلة التى أغرق فيها عمرو أصحاب عين شمس ، وهو يظنك فى جلة العرقى . ولا أظنه اذا عرف ببقاءك حيا الا طأثرا اليك من الفرح » . وقصت عليه حديثها مع سعيد من أوله الى آخره

ولم تكذ خولة تتم حديثها حتى اسنولت الدهشة على عبد الله ، وخيل اليه انه فى حلم ، ولما تحقق أن خولة تحب سعيدا وثابتة على حبه ، أحس لساعته انه لم يبق له حق فيها . وازدادت رفعة فى عينيه فقال لها : « اعلمى ياخولة انى أعدك أخا لى من هذه الساعة ، وانى سأبذل جهدى فى جمعك

سعيد فانه بمنزلة اخي . وقد اوصيت بكفالتة وصية مقدسة ، وقد احسنت انت بما بسطته من حقيقة حالك ، وعلى هذا ساسافر غدا الى الكوفة ، لايبحث عنه واستطلع ماجرى للامام على »

فاتبرته خولة قائلة : « لا تعجل يا عبد الله في ذهابك ، لاننا لانلث بعد قليل ان نسمع الخبر من عدي بلال الذي رافق سعيدا الى الكوفة ، فقد اوصيته بالعودة حالا واظنه يصل الينا بعد ايام . واما الآن فاکتم مادار بيننا واجعل كانك زوجي ريثما نرى مايكون »

فالتفت عبد الله اليها وقد ازداد اعجابا بحميتها وثبات جاشها ، وقال : « انى اهنىء اخي سعيدا بمثلك ، وارجوان يكون قد نجا من مكاييد الغادرين . » وقد اراد بذلك قطام ، فانه ما زال يسيء الظن بها وقد ادرك انها هي التي وثت بهما الى عمرو بن العاص

فقال : « انى اتوقع رجوع بلال لاسمع منه ما آلت اليه حال الامام على ومعاوية ، هل نجا احدهمهما . اما عمرو فقد نجا والفضل في ذلك راجع اليك » فقال : « ولكننى انما بحث بذلك لعمرو فرارا من الهلاك ، ولم اذكر له المؤامرة على قتل معاوية لئلا يبعث اليه بمن يحلوه فينجو »

قالت : « انى لم الملك قط » فهذه مشيئة الله . فالآن لابد من الصبر فامض الى فراشك وانا افترش هذا البساط »

قال : « لا والله انك لا تبتيين الا على الفراش وانا اولى بهذا البساط »

وباتا تلك الليلة ، وقد سرت خولة بنجاتها مما كانت تخشاه . واما عبد الله فانه بات معجبا بخولة كل الاعجاب وقد اسف لحرمانه منها بعد ان عرف فيها هذه الخصال . ولكنه فرح لانها ستكون من نصيب سعيد

واصبحا في اليوم التالي والناس لا يعلمون الا انهما زوج وزوجة ، وظلا مقيمين في دار الامير حتى قدرت خولة دنو الوقت الذي كانت تتوقع رجوع بلال فيه ، فاستاذنت في المضي الى بيت ابيها مخافة ان ياتي بلال في اثناء غيابها فيطرده ابوها او يتهدده فلا يراها هناك فيعود من حيث اتى

فوافقها عبد الله على ذلك ، واستاذنا عمرا في الذهاب الى بيت ابيها فاذن لهما فاستقبلهما ابوها بالترحاب



ولم يمض يومان على مكثهما في بيت خولة حتى قدم بلال ، وكان وصوله الى الفسطاط في اثناء النهار ، وابو خولة في حانوته ، وكان بلال قد دخل الفسطاط متنكرا فمر بحانوت سيده ونظر اليه خلسة فلما وجده هناك هروا الى البيت ودخل توا الى غرفة سيدته بلا استئذان ، فوجد عندها

شابا لا يعرفه ، وراهبجانبيه كانها جالسة الى شقيق او قرين . فبغت لذلك ولكنه اخذ بما آتسه من ترحابها به فقالت له : « اغلق الباب وادخل » . ففعل ودنا منها وهو ينظر الى عبد الله شزرا . فادركت خولة ما يجول في خاطره فقالت له : « لانسء الظن ، ان هذا اخى بعهد الله فاقصص علينا خبرك ، وقل لنا بادىء ذى بدء كيف فارقت الامام عليا ؟ »

فسكت ولم يجب ، فالتحت عليه وقد ذهلت ، فاجابها بصوت مختنق : « ان عليا ذهب ضحية الغدر »

فدقت خولة يدا بيد وضاحت : « والهنى عليك يا ابا الحسن » . وقال عبد الله مثل ذلك . ثم قالت : « وماذا جرى لابن ملجم ؟ » . قال : « انه قتل شر قتلة واحرق بالنار لعنه الله »

فقال عبد الله : « وكيف فارقت سعيدا ؟ »

قال : « فارقته بخير وعافية وقد سار للبحث من تلك الخائنة اللعينة »

قال عبد الله : « أو تعنى قطام ؟ »

قال : « نعم ، وما أدراك ، انى اعنيها ؟ وكيف عرفتها ؟ »

قالت خولة : « ألم تعلم من هذا ؟ » . قال : « كلا »

قال : « ألم يذكر سعيد أمامك انه فقد ابن عمه هنا »

قال : « بلى » . قالت : « هذا هو عبد الله ابن عمه »

فبهت بلال وغلب عليه البكاء من الفرح وصاح : « انت حى يامولاي ؟ من لى بمن يحمل هذه البشري لابن عمك ؟ . والله انى حاملها اليه الساعة بعد ان أسر الى سيدتى كلاما اؤمنت عليه »

فالتفتت اليه وقالت : « قل يا بلال ، ليس على عبد الله سر ، فهو اخى كما قلت لك . قل كيف فارقت سعيدا ؟ »

قال : « فارقته يامولاي . وهومشتاق لرؤيتك ، ولم يات معى مخافة ان يكون عمرو قد نجا من المكيدة فلا يامن على حياته . وقد علمت وانا مار فى الفسباط الساعة انه نجا وقتل غيره خطأ ، ولا أدري كيف حال سيدى معك فلا آمن عليكما منه »

قالت : « اعلم يا بلال ان ابن العاص تقم على ابن ملجم ورضى عنى ، وهو يجبنى حبه لاولاده . وهو لا يعرف سعيدا ولا أبى رآه ، فاذا جاء لم يكن عليه بأس وشأنه فى الفسباط شأن كل غريب يدخلها . فاقصص علينا خبر ابن ملجم والامام على وكيف قتله »

ثم أمرته بالجلوس فجلس متأدبا وقصص عليهما الخبر . فلما بلغ الى حديث قطام وما ارادته من قتل سعيد هاجت فى نفسها الغيرة والانتقام وقالت :

« فبح الله هذه المرأة ، انى اعرفها واسمع بدهائها فكيف انطلقت حيلتها على سعيد ؟ »

فابتدوها عبد الله قائلا : « انى والله توسمت فيها الشر عندما رايتها » وقص عليها ما كان من امره معها ، فانكشفت لهما الحقيقة وشكرا الله على نجات سعيد ، ولكنهما حزنا على مقتل الامام على ، ثم استدركت في حديثها فقالت : « وهل سمعت شيئا عن معاوية ؟ »

قال : « لقد مررت بدمشق في طريقى فعلمت انه نجا ايضا . وقص عليها خبره كما سمعه فعجبت لاحكام القضاء كيف تسمح بقتل على وتبقى على معاوية وعمرو ، ثم قال عبد الله : « واين سعيد الان ؟ »

قال : « هو في انتظارى بدمشق ، فاذا امرت مولاتى عدت اليه حالا وجئت به على عجل ، وارجو ان يكون قد ظفربتك الخائنة وانتقم منها ، واذا لم يظفر هو بها فلسنت انا بثارها حتى انتقم منها لما ارتكبته من الاجرام »

قالت خولة : « بورك فيك يابلال ، فاذهب الان وات بسعيد على عجل » فقال : « وهل آتى به الى بيتك هنا ؟ »

فاستصوبت خولة سؤاله ، لان مجيئه الى بيت ابيها يعقد الامور ، فنظرت الى عبد الله كأنها تستفتيه فى الامر فأشار اليها بأنه يريد البحث معها فى ذلك سرا

فالتفتت الى بلال وقالت : « اخرج الان قبل ان يأتى أبى وهو نائم عليك ، لاعتقاده انك فررت بالجميلين من داره ، وانتظر عبد الله فى المسجد الليلة وهو ينبئك بما تفعل »



العزم على الكوفة

خرج بلال وبقي عبد الله وخولة على انفراد فقالت خولة : « وما العمل يا عبد الله ؟ اخاف اذا جاء سعيد وارادنا الطلاق أن يفتح علينا باب الأخذ والرد ونحن نود كتمان الأمر فما الرأي ؟ »

قال : « أرى أن نلتمس من عمرو الأذن بالخروج من القسطنطينية والذهاب الى الكوفة ، فقد كنت طلبت منه ذلك فأخبرني الى ما بعد عقد القران . فهم لا يعرفون الآن الا أنك امرأتى ، والرجل يذهب بامرأته حيث شاء . فلذا نسرنا الى الكوفة وأوصينا بلالا بأن يوافينا بسعيد الى هناك عقدنا قرانكما هناك ، ولا رقيب علينا ولا واش . وإذا طاب لنا أن نعود الى القسطنطينية عدنا بعد ذلك والا فاننا نقيم بالكوفة الى ما شاء الله »

فصممت خولة برهة تفكر في الأمر ، فرأت عبد الله مصيبا فقالت : « نعم الرأي رأيك ، ولكننى اعتدت الحياة في القسطنطينية والفت الإقامة بواديها ولّى فيه الأهل والأصدقاء ، فإذا اتيج لى البقاء فيها كان أولى وأبقى »

قال : « لا أنكر ذلك ، وهو ميسور لك فيما بعد ، وأما الآن فلا أرى خيرا من الذهاب الى الكوفة »

قالت : « وأخشى الا يأذن أبى في ذهابنا الى الكوفة فهو يريدنى أبدا بقربه ، وليس له سوى فلا أخاله يرضى بغير أقامتنا هنا »

قال : « نحتال ونتملقه حتى يأذن لنا ولو بعد حين ، ونوصى بلالا بأن يخبر سعيدا أن يبقى بانتظارنا حتى تأتبه »

قالت : « أفعل ما بدالك وعلى الله التوفيق »

قال : « فلنعد الآن الى دار الأمير ، فإن خروجنا من عنده أسهل ، لأنه هو الذى وعدنى باخلاء سبيلى للبحث عن ابن عمى سعيد ، فأذكره بوعده ولا أظنه يمتنعنا من السفر »

قالت : « نبيت الليلة هنا ونصبح الى دار الأمير »

قال : « حسنا » . فلما كان العصر خرج الى المسجد ، فوجد بلالا فى انتظاره فأوصاه بأن يذهب بسعيد الى الكوفة ويبقى بها حتى يأتيا اليه ، فسر بلال وابتسم وقال : « هذا ما كنت أرجوه من مولائى ، لآنى أقدر على الانتقام من قطام اللعينة اذا كنت بالكوفة »

فضحك عبد الله وقال : « وأوصيك إذا ظفرت بها ألا تعفون عجزها
لبابة فانها شر منها »



ولما رأى عبد الله نفسه بباب المسجد ، والصلاة قائمة والناس يدخلون
افواجا ، دخل مع الداخلين . فرأى ابن العاص على المنبر يعظ الناس وهم
صامتون ، فوقف حتى انتهى عمرو من خطبته وانقضت الصلاة ، فهم بالخروج ،
ولم يكذب يارج صحن المسجد حتى اعترضه بعض الشرطة قائلا : « تمهل
بمولاى ان الامير يستوقفك لامر يريد ان يخاطبك فى شأنه » .
فقال : « وابن الامير ؟ »

قال : « كان فى المسجد ، وقد ذهب الان الى داره من باب فى المحراب »
قال : « وهل يريد مقابلتى الان ؟ » . قال : « نعم »
فاضطرب عبد الله وخاف أن يكون قد وشى به أحد ممن اطلعوا على
مهمته فى الفسطاط ، ومشى حتى أقبل على مجلس عمرو ، وكان اذا وصل الى
المجلس دخل بلا استئذان . فلما هم بالدخول اعترضه الحاجب قائلا : « تمهل
حتى نستأذن لك » . فوقف عبد الله ودخل الحاجب ثم عاد فقال : « ان الامير
يريد الخلة بك هذه الليلة ، فاذا اتيت فى العشاء تعال وحدك »
فاستغرب عبد الله ذلك الشرط ، واشكل عليه المراد منه ، فاستزاد الحاجب
ابضاحا وسأله : « هل المراد ان آتى وحدى من غير خولة ؟ »
قال : « اظن هذا هو مراده ، فانه قال : (ليات وحده لكلام ساقية اليه
على انفراد) . »

فعظم الامر على عبد الله وحسب لذلك الف حساب . ولم تكن الشمس
قد مالَت الى الغروب فعاد الى البيت والهواجس تتقاذفه وظهرت عليه علامات
القلق ، فلما أقبل على خولة ورأت على وجهه آيات الاضطراب ابتدرته قائلة :
« ما بالك يا عبد الله ؟ ماذا اصابك ؟ انى أرى فى وجهك قلقا ، قل رعاك الله
ما اوجب ذلك ؟ »

قال : « ليس هناك ما يوجب القلق » . واعتذر وأبهم
فلم تقنع ، ولكنها سكنت على أن تستطلع السر بلباقة بعد قليل . فقالت :
وهل رأيت بلالا ؟
قال : « نعم وقد أوصيته بما يقوله لسعيد » .
قالت : « وهل سافر ؟ »

قال : « اظنه يستريح الليلة خارج الفسطاط ويرحل فى الغد مبكرا »

وفيما هما يتحادثان جاء أبوها والغضب باد عليه وكانت خولة تعرف حاله
تو النظر اليه . فلما رآته هكذا ازداد اضطرابها وجعلت تفكر في غضب
الأتنين . فخطر لها أنهما تخاصما ولكنها لم تجد سببا لذلك . ولم تجسر على
سؤال والدها ؛ ولم ترد أن تلج على عبد الله فتركت ذلك الى الاختلاء به

وبعد قليل حضر الطعام فجلسوا اليه وليس فيهم من يتكلم الا تفضلا
فلما انتهى عبد الله من طعامه نهض وقال لخولة ولأبيهسا : « اني ذاهب في
حاجة تقتضى غيابي ساعة » . وكان قوله جاء طبق ما يرجوه أبو خولة ، فلم
يسأله عن سبب ذهابه ولم يطلب منه التعجيل بالعودة

فازدادت خولة حيرة وظلت ساكنة ، ولم يخطر لها أن للذهاب عبد الله علاقة
بما بدا لها في وجهه من الانقباض . ولكنها رافقته الى باب الدار وتوسلت اليه
الا يطيل الغياب . فأجابها بأنه لا يدري متى يعود ، ولم يشأ أن يبوح لها
بسبب ذهابه ولا ترك لها فرصة للاستفهام ، فودعها وخرج وهو يسرع في
مشيته ، وأفكاره تائهة فيما عسى أن يكون غرض عمرو من دعوته اليه في مثل
هذا الوقت

ولما وصل الى دار عمرو خفق قلبه مخافة أن يسمع من الحاجب خبرا جديدا
يريد بلبale فلم يزد الحاجب على قوله : « ان الامر في انتظارك في غرفته »

فمشى عبد الله يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، حتى وصل الى الباب فلذا هو
مغلق فقرعه ووقف ينتظر فتحه فسمع خطوات تسرع نحو الباب يتخللها
همس لم يفهم منه شيئا . وبعد هنيهة فتح الباب فإذا بعمرو نفسه يفتحه
بيده ، فبغت لما رآه أمام عينيه وعلى وجهه دلائل الغضب . فحياء عبد الله فلم
يزد عمرو على قوله : « وعليكم السلام » . وسار الى صدر الغرفة فتبعه
عبد الله وهو ينظر الى جوانب المكان لعله يرى أحدا . فلم يجد . فالتبس
عليه الامر لما سمعه من الهمس وهو واقف خارجا . ولكنه رأى في جدار من
جدران الغرفة بابا عليه ستار والباب يستطرق الى غرفة أخرى فظن أن إحدى
نساءه كانت عنده فلما علم بقدومه صرفها من الباب الآخر واستقبله . وظل
يفكر في ذلك وهو ماش في أثر عمرو . فلما جلس هذا على مقعده وقف
عبد الله بين يديه ينتظر أمره بالجلوس ، فأشار اليه فجلس على وسادة بالقرب
منه وهو ينتظر ما يقوله وقد نفذ صبره

سكت عمرو لحظة وهو يعبث بدرة (سوط) كأنه يتشاغل بها عن قلق
بخامر ذهنه ، ففتح عبد الله الحديث قائلا : « كيف حال مولاي الأمير ، وما
الذي يأمر به عبده فقد لبيت دعوته وأنا راج أن يكلفني امرا اقوم بقضائه
جزاء لبعض ماله من اليد على ؟ »

فالتفت اليه عمرو وهو بمشط لحيته وقال : « انما دعوتك لاسالك سؤالا
واحدا ، وأرجو أن تصدقني الجواب بما أحسبني أجزله لك من الجميل

وابقيت عليك بعد ان رايت الموت، راى العين «
فوقف عبد الله احتراماً وقال : « يعلم الله انى لا انسى جيلاً اوليتنى اياه ،
باغضائك عن جريمة اقترفتها ، ثم بأنعامك على بحياتى وهى خير هبة ، فكيف
لا اصدقك القول ؟ » . قال ذلك وقلبه يخفق خوفاً من سماع ما قد يكون
سبب نفعته عليه

فأقعدته عمرو وقال : « بلغنى اليوم من مطلع على احوالك انك انما جئت
الفسطاط مع رفيقك سعيد للفتك بى فهل هذا صحيح ؟ »
فنهض عبد الله ثانية وقال ولهجة الصدق بادية على وجهه : « كلا يامولاي ،
ان ما بلغته كذب واقتراء »

قال : « وما الذى جاء بكما اذن ؟ »
قال : « اما وقد سألتنى ، فاسمح لى بأن أقول الحق وارجو منك ان
تصدقنى »

قال : « قل الصدق ولا تبال ، فلا بأس عليك الا اذا رايت فى كلامك عوجاً
فلا تلم الا نفسك »

قال : « أقسم برأس الامير انى لا أقول غير الحق ، ولكن حديثى طويل فهل
أبسطه كله ؟ »

قال : « اجننى أولاً عن سؤالى موجزاً ، فاذا رايت ما يدعو الى التفصيل
طلبته . سالتك عما دعاكما الى المجئ الى الفسطاط والاجتماع بتلك الزمرة
المعادية ؟ »

قال : « انما جئت للبحث عن الفادر الطامع فى قتل الامام على »
قال : « ولماذا ؟ » . قال : « لكى أبذل جهدي فى زجره واتقاذ الامام من
الموت ؟ »

قال : « كيف تفعل ذلك وانت اموى على ما اعلم ؟ »
قال : « لقد الجأتنى يا مولاي الى بعض التفصيل . ألم تعرف جدى
ابا رحاب ؟ »

قال : « بلى اعرفه وقد سمعت بوفاته قريباً »
قال : « نعم انه مات وقد كان الى يوم مماته يكره عليا ويدعو الى قتله ،
ولكنه فى يوم مماته استخلفنى واستخلف ابن عمى سعيداً الا نبغى شراً بعلى،
بل اذا رأينا سبيلاً الى الدفاع عنه أن نفعل ، فلما سمعنا بالؤامرة علمنا أن
المتآمر من اهل مصر ، ولكننا لم نعلم من هو فجننا للبحث عنه وردعه بالتى
هى احسن . ولم نر سبيلاً لمعرفة الا عن طريق اصحاب عين شمس لانهم
على دعوة على »

فقال : « ألم تكن عالماً ايضا بتآمر رفيق ابن ملجم على قتلى ؟ »

فقال : « بلى . ولولا ذلك لم استنطع اطلاقك عليه »
قال : « وكيف لم تطلعنى عليه حال قدومك ؟ ألا تعلم أنك تعد شريكا مع
القاتل ؟ » . قال ذلك ولحيته ترقص غضبا ولسان حاله يقول : « لقد لزمك
الحجة وتبينت خيانتك »

فقال : « نعم اعلم ذلك ، ولكن حلمك قد وسعنى من قبل فعفوت عما مضى
وعمرتني بانعامك ، فاذا رأيت أن تعود الى مطالبتي به كان لك الأمر . ولكننى
لا أخال مولاي الأمير اذا عفا عن مذنب يعدل عن عفو »

فلما سمع عمرو كلامه أفحم وسكت

وشعر عبد الله عند ذلك بقوة أثبت فيه ، وثار الحمية في راسه فهم بان
بستانف الكلام فابتدعه عمرو قائلا : « لقد علمت أنك عرفت خولة قبل أن
أخطبها لك ، وأنها كانت عالة بخير المؤامرة فكيف لما ذكرتها لك ليلة الخطبة
نجاهتها ؟ »

فارتبك عبد الله ولم يدر كيف يجيب ، ولكنه ما لبث أن استرد رباطه
جاشه ، فاعتزم التزام الصدق على طول الخط فقال : « حاش يامولاي أن
أخدعك ، فاني ورأسك وكل غال عندي ، لم أكن أعرف هذه الفتاة قبل أن
تذكرها لي »

قال : « وما تقول في اطلاقها على خير المؤامرة ؟ »

فتحير عبد الله في الجواب ، ولكنه تخلص فقال : « ليس لي أن أجيب عنها ،
فهي جاريتك وزهن اشارتك ، فادمها للمثول بين يديك واسألمها ، ولا أشك في
أنها تقول الصدق . ولكننى أرغب الى مولاي أن يخبرنى بمن وشى بنا اليه
لعلنا نكذبه بين يديك »

قال : « سأجمعكم جميعا وأسمع حجتكم جهارا ، فاذا سمعت أقوالكم
حازيت كلا بما يستحقه . اذهب الى فراشك عندنا ، وعد إلينا غدا » . قال ذلك
ونادى « ياغلام » . فدخل حاجبه فقال له : « خذ عبد الله الى غرفة بيت
فيها الليلة واتنى به غدا متى دعوته » . فقال الحاجب : « سمعا وطاعة »

وخرج عبد الله والحاجب يسير أمامه ، حتى دخل به غرفة في دار الأمير
التمس فيها النوم ، ولكنه لم يغمض له جفن طول ذلك الليل

وأصبح عبد الله حائرا ، لا يدرى أخرج الى الأمير أم ينتظر حتى يدعوه
اليه . ولبث جالسا حتى الضحى وإذا بالحاجب قد جاء يدعوه الى مجلس خاص
عقده الأمير في غير مكان مجلسه العادى ، فمشى وهو يفكر فيما عسى أن يكون
أمر تلك الجلسة ، ومن هو الراشئ ، وهل تستطيع خولة الدفاع عن نفسها بما
يضمن نجاتها

ولاحظ منه التفاتة الى ساحة الدار ، فرأى عمدا تذكر أنه وآه فيما مضى ،

ولم يلبث أن عرف أنه ربحان مبد قطام فاختلج قلبه وقال في نفسه : « انها والله وشاية هذه الخائنة » وأظنها أرسلته الى عمرو »

وما زال ماشيا يفكر في ذلك وقد زلزل زلزالا عظيما ، حتى رأى الحاجب دخل من باب ، فدخل هو في اثره ، فاذا هو في قلعة تصدرها الامير عمرو بن العاص ، كأنه جالس للقضاء وعليه جبة بيضاء ، وعلى رأسه عمامة كبيرة ، وقد قعد الأربعة على وسادة من الدمقس ، وفي يده الدرة والسبحة معا . فتقدم عبد الله نحوه وحياء دون أن يلتفت الى سواه . فامرهم عمرو بالجوس ، في فتور لم يعهده فيه في مقابلته الاولى . فجلس عبد الله في بعض جوانب الغرفة ، وأرسل نظره فرأى الى جانبه أباخولة ، وعن يسار عمرو ثلاث نسوة قد أرسلن الثقاب على رؤوسهن فلم يظهر منهن غير العيون من ثقوب فيه .

فعرف منهم خولة ولم يكن يجرؤ على التفرس في الآخرين حياء . فجلس وهو يسترق اللحظ ويفكر ، فخطر له أن أحدهما قطام ، جاءت هذه المرة لانفاذ حيلتها بنفسها . ثم ما لبث أن عرف الاخرى فاذا هي لبابة المعجوز ، فتحقق انها وشتا به وبسعيد . وكانت قطام قد خلعت الحداد على أيها وأخيها بعد قتل الامام علي ، فارتدت كساء من الحرير الاحمر القاقع المزركش بالقصب ، من صنع فارس ، لا يستطيع لبسه الا الاغنياء . وكان ثقابها مزركش الاهداب يدل على يدخ وترف . وتصور عبد الله جالها وفصاحتها وحيلتها فعلم انها غلبت عمرا على رايه ، فاخذ يتأهب للدفاع

ومضت برهة والكل صامتون ، وعمرو ينظر الى الارض والدرة في يده كأنه ينكت البساط بها ، ويده الاخرى على لحيته بدهاب شعرات منها بين أنامله ، والاهتمام باد في وجهه . ثم رفع بصره ونظر آلى الباب ونادى غلامه ، فدخل فقال له : « لاتأذن لأحد » . قال : « سمعا وطاعة » . وخرج

ثم التفت عمرو الى ابي خولة وقال : « اهدأ جزء احسانى اليك يا أباخولة ؟ » فوقف ابو خولة وقد عرته دهشة وقال : « ماذا حدث يا مولاي ؟ . انى ما زلت مخلصا لك ، خادما لمقاصدك »

قال : « ربما كنت كذلك ، ولكن خولة هذه (وأشار اليها) : تواطىء الناس على قتلى ، وتسعى في انقاذ ابن ابي طالب »

فلما سمع ابو خولة قوله ، مشى مسرعا حتى امسك ابنته وقال : « انى لا أعرها الا جارية من جوارى مولاي ، فاذا ارتكبت شيئا من ذلك فانى أذبها بين يديك » . قال ذلك وجذبها كأنه يريد تقديمها لعمرو

فقال له عمرو : « عد الى مكانك ، ودعها تتكلم ، فانى لا أريد أن أعاقبها الا بعد مقاضاة ، فاذا صح ما قيل عنها كان القتل أخف قصاص لها »

فلما سمع عبد الله تلك اللهجة الشديدة ، اختلج قلبه في صدره ، وخاف عاقبة تلك الجلسة ، ولكنه تجلد وصبر

دعوى قطام على خولة

ثم التفت عمرو الى خولة وقال : « ما قولك يا خولة ؟ »
فوقفت وقالت بصوت رائق وجاش ثابت : « ماذا اقول يا سيدي ؟ وأنا لا اعرف التهمة التي وشى بها اليك الواشون . فاذا تسمعتموها ذكرت لك الحقيقة ، ولك الامر بعد ذلك ، فاذا استوجبت القتل فما أنا خير ممن قتل من رجال الاسلام في هذه الفتنة ! »

فعجب عمرو لتلميحتها الى الأحداث التي وقعت اخيرا فقال لها : « مالك ولهذا الكلام يا خولة ؟ قولى ما جوابك عن سؤالى »

قالت : « اذا كان الامير حرسه الله قد جعل دمي حلالا أن ثبتت التهمة على فلا اقل من أن اسمع التهمة الموجهة الى »

قال : « صدقت وسأمد لك في حبل الدفاع حتى تبدي كل ما لديك منه ، ولا أظنك الا مقرة بجنايتك ، لانها ثابتة ثبوت النور في النهار » . قال ذلك ثم أمرها بالجلوس ، فجلست

فقال عمرو وقد وجه حديثه الى قطام : « ما قولك يا قطام في خولة ، وما تعرفينه عنها ؟ »

وكانت قطام لما ارتاح بالها من امر على وقتله ، وعلمت مما دار بين خادمها وبين بلال خادم خولة أنها تحب سعيدا وهي التي وجهت عندها معه واستحثته في الوصول الى على قبل انقضاء الأجل المضروب لقتله ، قد حملتها الغيرة ، وهاجها حب الانتقام وطاوعها خلق السوء الذي فطرت عليه أن تأتي الفسطاط لتشى بها وبسعيد ، وهي لا تشك أنها تثبت الخيانة عليهما فتتقرب بذلك من عمرو فتتال حظوة في عينيه ، فتقيم عنده مكرمة أو يتزوجها أحد أبنائه . وكان عمرو يعرفها من قبل ، فأسرعت الى الفسطاط ومعها عجوزها وعبيدها ، فوصلت اليها أمس ، وأسرعت الى عمرو وبشرته بمقتل الامام على ، ووشيت اليه بخولة وأنها كانت متواطئة مع سعيد على انقاذ الامام على ، وأنهما كانا يعلمان خبر المؤامرة على عمرو وسكتا عنها ، وقد كانا يستطيعان لو أخصا له أن يطلعا عليها . فأعارها عمرو أذنا صاغية ، وبعث ألى عبد الله كما تقدم . ثم رأى من الحزم أن يجمعهم ويسمع أقوالهم قبل إصداره حكمه

فلما قالت خولة قولها ، وطلب عمرو من قطام أن تبسط التهمة ، نهضت ومشت خطوتين نحو الأمير ، وثوبها المزركش يجر وراءها تيهًا وبدخًا . ثم وقفت وقالت بلسان مبین : « أما ما يسألني الأمير عنه فلا احتاج في إثباته الى دليل . وتفصيل الأمر أن مولاي الأمير يعلم إخلاصى له ورغبتى في خدمته ، حتى أننى عندما سمعت بمجتمع العلويين في عين شمس بعثت اليه رسولا يخبره خبره . ولو لم أجد من أبعثه في تلك المهمة لجئت بنفسى . ولم أذكر هذا الدليل الصغير الا تذليلا على إخلاصى . أما خولة واطلاعها على خبر المؤامرة فأمر لا شك فيه لاني أعلم علم اليقين أن سعيدا ورفيقه هذا (واشارت الى عبد الله) لما قدما الفسطاط كانا عالمين بخبر تلك المؤامرة ، وقد سمعت ذلك منهما بأذنى . وهما انما أتيا للاجتماع بالعلويين . وبعثت يومئذ عبدى بخبر ذلك الى مولاي الأمير ، فلما عاد عبدى أخبرنى أن جند الأمير قبضوا على العلويين ، وأن عبد الله وسعيدا في جلتهم . ولم يكن يعلم أن سعيدا نجا بمساعدة خولة هذه . اما أنا فاني عرفت ذلك لما عاد سعيد الى الكوفة مسرعا ، لاطلاع على بن أبى طالب على خبر المؤامرة ، غيرة منه عليه . وقد ترك حياة الأمير عمرو بن العاص في خطر . وكان رفيقه في عودته بلالا خادما خولة هذه ، فانه صحبه الى الكوفة ، وهناك التقيا وعبدى ريجان ، واتضح له من خلال الحديث أن بلالا وخولة عالمين بسر الأمر . ولما لم ينجح مساعهما في انقاذ على ، فنعما بأن يكون مولاي حرسه الله قد أصيب بما أصيب به ذاك . ولكن الله سبحانه وتعالى انقذه من مخالب الموت وحرسه بعين عنايته . فترى يا مولاي مما قدمته أن خولة كانت عالمة بخبر المؤامرة ، كما كان يعرفها عبد الله وسعيد ، فلو كانت مخلصه لمولانا الأمير ما كتمتها عنه »

فقال عمرو : « وما الذى يثبت لنا أن سعيدا وعبد الله كانا عالمين بالمؤامرة على قتلى لما أتبا الفسطاط ؟ »

وكانت لبابة العجوز صامئة الى تلك الساعة ، فلما طرح عمرو هذا السؤال ابتدرته هى قائلة : « لا شك انهما كانا عالمين لانهما أخبرانا بها ليلة سفرهما الى الفسطاط »



كانت قطام تتكلم وخولة مطرقة تفكر بماذا تجيب . اما عبد الله فانا لعن الساعة التى أتت فيها تلك الحادثة ، وخاف على خولة أن تتلعثم أو تفحم بالأدلة التى قامت على اتهامها

اما أبو خولة فلم يكذب يسمع حديث قطام حتى استشاط غضبا ، وصاح في خولة بأعلى صوته : « الله عليك يا خائنة ، لقد فهمت الآن تلاعبك ونفاقك ! »

ثم التفت الى قطام وقال : « متى لقي عبدك عبيد مع ذلك الرجل في الكوفة ؟ »

قالت : « ليلة ١٧ رمضان »

فاطرق برهة ثم اقترب من خولة وجذبها بيدها الى وسط القاعة وقال لها : « لقد انكشف لي القناع الآن وعلمت سبب سفر بلال ، فقد أرسلته مع حبيبك ليساعده على انقاذ أبي تراب (على بن أبي طالب) . وقلت لي : (أنه فر بالجملين) . والواقع أنه أخذهما معه ليركب هو ورفيقه « . ثم التفت الى عمرو وقال : « ان أبنتي يا سيدي تستحق القتل ، فاقتلها أو دعني اقتلها بين يديك »

فوقف عبد الله وقد تارت فيه الغيرة على خولة ، وهو يظن سكوتها خوفا أو ارتياكا ، لأنه لم ير ملامحتها من وراء النقاب ، فأمسك أباها وقال برزانة وسكنينة يخاطب عمروا : « التمس من مولاي الأمير وقد امر ان تكون خولة زوجة لي ، ان يوقف أباها عند حده ، فهو الآن لا يملك من أمرها شيئا . أما اذا اقترفت هي ذنبا يستوجب قصاصا فالامر فيه لمولاي وليس لأحد سواه »

وكان عمرو قد اقتنع بثبوت الجريمة على خولة ، ولكنه أحب ان يسمع دفاعها ، ورأى عبد الله يتكلم بحق موعدل ، فقال لأبي خولة : « دع خولة فانت كما قال عبد الله لا تملك من أمرها شيئا »

فتنحى أبو خولة وهو يلهث ويدمدم ، ولحيته ترتعش على صدره . وتنحى عبد الله أيضا وخولة لا تزال واقفة . أما قطام فقد أزاحت خمارها فبان الابتهاج على وجهها لنجاح مهمتها

فقال عمرو : « ما بالك يا خولة لا تدافعين عن نفسك ؟ . اليس ما قالت قطام عنك صحيحا ؟ هل كنت عالمة بخبر المؤامرة على قتلي ؟ »

قالت : « نعم »

قال : « وهل عاونت سعيدا على انقاذ الامام علي ، فارسلت معه خادماك وجليك ؟ »

قالت : « نعم كل ذلك صحيح »

فتعجب عمرو وسائر الحاضرين من صراحة اقرارها ، وقد كانوا يتوقعون انكارها أو تلغثها أو سكوتها . فلما رآها تجيب بهذه الصراحة قال لها : « وكيف تظهرين الغيرة على صاحب الكوفة (علي) مع علمك ان اباك لا يريد ذلك ، ثم لا يخطر ببالك ان تخبري اباك بالمؤامرة على قتلي لكي يطلعني عليها ؟ . الا تعلمين ان عملك هذا يعد خيانة تستوجب عليهما القتل ؟ . وها اني لا ازال اظيل لك حبل الدفاع لاسمع كل أقوالك ، فاخبريني كيف

تكونين على غير ما يريدك وأمر البلاد ؟ وكيف تسمعين في انقاذ على بن
ابى طالب ولا تسمعين في انقاذ أمير مصر ؟ »
وقبل أن تهم خولة بالجواب اعترضتها قطام قائلة : « أرى مولاى الأمير
يتعب نفسه بما لا طائل تحته . هل بعد اقرارها الصريح شيء ؟ . وهل
لهذه الخائنة من دواء الا القتل ؟ »



قالت خولة وهى تنظر الى قطام شذرا : « سوف يتضح من هى الخائنة ،
وقد كان يجدر بك التادب في حضرة الأمير ، فانه أعلم منك بقواعد الحكم .
ثم وجهت خولة خطابها الى عمرو وقالت : « أرجو من الأمير أن يطلق
للسانى الحرية لأقول كل ما يجول في خاطرى »
قال : « قولى ما بدا لك »

قالت : « اما سبب مخالفتى أبى في رايه وتحزبى للإمام على ، فلانى صادقة
مخلصة في فكرى وقولى ، وهو المنحرف المتقلب . وما كنت لأصف أبى بهذا
العيب لو لم يضطرنى الى ذلك »
قال عمرو : « وما معنى هذا ؟ »

قالت « يعلم مولاى الأمير أن أبى ربن في نعمة الامام على ، وأنا في حجرة ،
مع ايماننا بأنه ابن عم الرسول (صلعم) وأنه على الحق في أعماله . فأنراد
أبوها أن يقطع حديثها ، فاعترضه عمرو وألزمه السكوت فقالت : « فلما
كانت وقعة صفين كان أبى في جملة من خالفه من الخوارج في أمر التحكيم .
فهو الذى انحرف عنه . أما أنا فضلت على رأى ولا أزال عليه الى اليوم »
فقال عمرو وهو معجب بشجاعتها : « ولكن عليا شارك الجهال في قتل
الخليفة عثمان ، فقتلوه ظلما ونحن انما قمنا نطالب بدمه »

قالت : « أما مقتل الخليفة عثمان فارجو من مولاى الأمير الا يلجئنى الى
الخوض في شأنه ، لاني ربما اضطرت الى ما اتجنب ذكره »
قال : « وما الذى يخيفك بعد ما أبديته من الجرأة »

قالت : « يخيفنى غضب الأمير لأمر يعلمه »

قال : « قولى كل ما يبدو لك ولا تخافى »

قالت : « أما مقتل الخليفة عثمان فلا أظن مولاى عمرا الا من الراضين به »
فبغت عمرو وقال : « كيف تقولين ذلك يا خولة ؟ »

قالت : « ألم يكن مولاى في جملة المحاصرين لعثمان ؟ ألم تقل له : (قد
ركبت يا عثمان أمورا ركبناها معك ، تب يا عثمان وارجع الى الله) . فاسمعك

هو كلاما جارحا . ثم لما قال لك : (انى تائب) . قلت له : (رأيناك تتوب
ثم تعود) . . . »

قال : « وهل يؤخذ من ذلك انى كنت اريد قتله ؟ »

قالت : « كلا ولكنه يدل على انك كنت ناقما عليه »

قال : « انما كنت ناقما عليه ليرجع عن أعماله ويبقى على خلافته »

قالت : « لو كان هذا قصدك فقط لما فرحت بقتله »

فذهل عمرو من سعة اطلاعها على خفايا الأمور فسألها : « وما دليلك
على ذلك ؟ »

قالت : « دليلى قريب اذا امننى الأمير قتله »

قال : « قولى »

قالت : « ألم تكن فى فلسطين يوم قتل عثمان ؟ فكنت اذا لقيت احدا
حرضته على قتله ؟ ألم تحرض عليا وطلحة والزبير عليه ؟ . ثم لما جاءك رجل
أخبرك بمقتل عثمان ، ألم تقل : (أنا عبد الله اذا حككت قرحة نكأتها) . . ؟ »

فلما سمع عمرو قولها استغرب جراتها وغضب لتصريحها بأمور كان يود
كتمانها ، ولكنه كان قد امنها . وكان ذاهية يحول الكلام كيف يشاء فقال لها :
« لقد أعجبني دفاعك يا خولة ولكننا لسنا فى معرض الدفاع عن على أو عن
عثمان ، ولا يهمنا انحرافك أو انحراف أبيك ، وانما يهمنا اطلاعك على خبر
المؤامرة على قتلى ثم سكوتك الى آخر ساعة وأبوك بين يدى كل يوم فكأنك
اشتركت فى المؤامرة » . قال ذلك وهو يحسب أنه سد عليها أبواب الدفاع .
وكان أشد الناس خوفا عليها عبد الله وقد خيل اليه أنها لم تعد تستطيع
دفاعا بعد اقرارها السابق

أما هى فهمت بالكلام فاذا بقطام تقول : « انى لأعجب من حلم الأمير ، وما
يرجوه من دفاعها عن ذنب اعترفت به صريحا »

فلم تعبأ خولة بكلام قطام ولكنها أجابت عمرا قائلة : « انى لا انكر عليك
عظم هذا الذنب بالنظر الى ما كنت ترجوه من قيامى بأمر الحوارج وموافقة
أبى على تأييد أمركم وتصديق دعواكم ودعوى معاوية من انكم على الحق ،
وقد قدمت لمولاي انى فعلت ذلك وانا على دعوة الامام على فذنبى من هذا
القبيل لا يعد شيئا بالنظر الى ذنب هذه المرأة (وأشارت الى قطام) التى
انما جاءت بهذه الوشاية غيرة عليك وضنا بحياتك فاتهمتنى بالخيانة لانى
كنت عالمة بخبر المؤامرة ولم أخبرك بها . فما الذى منعها هى عن اخبارك
بذلك يوم ارسلت عندها عبد الله الوشاية بأصحاب عين شمس . فادا
كانت هذه المرأة صادقة فى دعواها ألم تكن هى اولى منى باطلاعك على ذلك
الامر ؟ اسألها وانظر فى جوابها »

فانتبه عمرو وكأنه صحا من ذهول فرأى خولة على حق في دعواها
فالتفت الى قطام لفظة استفهام فلم يسمع منها جوابا . فقال لها :
« ما تقولين يا قطام ؟ لماذا لم تخبريني بخبر تلك المؤامرة »
فارتبكت وأجابت مترددة وقالت : « لاني لم أكن عالمة بخبرها يومئذ »
فظهر لعمرو التلاعب في كلامها ، ولكنه أراد تحقيق ذلك فقال لها :
« ولكنك قلت الآن أنك سمعت خير المؤامرة منهما ، فهل سمعته قبل
ارسال عبدك الينا او بعده ؟ »
فانخدعت قطام بسؤاله فأجابت على الفور : « لم أسمعه الا بعد سفر
عبدى وكنت عازمة على ارسال غيره فلم أتمكن لمشاغل انتابتنى »
فتقدم حينئذ عبد الله وهو يكاد يرقص فرحا بخذلان قطام وقال : « ولكن
عبدك يا مليحة لم يسافر من الكوفة الا بعد سفرنا ، لانه انما قدم الفسطاط
ليخبر الأمير بخروجنا من الكوفة »
فأشار عمرو اليه فسكت ، وعاد هو الى السؤال فقال : « ان هذه العجوز
ذكرت أنكما سمعتما الخبر متهما ليلة سفرهما . فما تقولين ؟ »
فغلب الحنق على قطام فقالت : « هذه عجوز حقاء غلب عليها الخرف فلا
يعتد بقولها »
فغضبت لبابة لعقوق قطام واهانتها إياها على هذه الصورة ، وهى تعتقد
فضلها عليها فقالت لها : « أنا لم أقل ذلك الا بعد قولك ، بما لك من خائنة .
كيف تقولين ان الخرف غلب على وأنت انما غلب عليك التفاف ؟ »
فاشتد حنق قطام ولم تعد تسمى ما تقول لفشلها وخجلها فقالت : « اخرجنى
يا مجنونة ولا تتكلمى بين يدى »
فقالت لبابة : « بل أنت المجنونة وأنت الخائنة ، واذا لم تلزمنى حدك اطلعت
الأمير على سرائك وفضحت أمرك »
فقالت : « وماذا عسى ان تقولى وأنت خادمة لا يعتد أحد بأقوالك ؟ »
وكانت لبابة قد تحققت وقوع قطام في شر أعمالها ، فأرادت ان تخلص
نفسها وتنجو بحياتها ، فلم تر أهون عليها من التخلى عن قطام بفضح
اسرارها فقللت على الفور : « ان أسراك كلها فى يدى ، واذا اذن مولاي
الأمير كشفت له عن كل شيء »
فسرت خولة وعبد الله بذلك الخصاص . أما عمرو فرأى لدهائه وتعقله ان
خولة ممن يحرص على صداقتهن ، وانها اذا كانت على دعوته لا يخشى
انقلابها . واما قطام فانها اذا اخلصت له اليوم لا يأمن ان تخونه فى الغد
فقال للعجوز : « قولى ياخاله ماذا تعرفينه ؟ »

فاخذت لبابة تسرد حديث قطام مفصلا من اوله الى آخره ، والكمل مصفون صامتون ، ففضحت اسرارها ، وعرف عمرو ان ارسالها عبدها اليه لم يكن حبا له ولا نصرة لحزبه ، بل انتقاما من سعيد وعبد الله . وتبين لديه ان هذين انما اندفعا للدفاع عن على بوصية جددهما ابي رحاب ، وانضج له طليا ان قطام خائنة لا يوثق بقولها ولا يعتمد عليها ، وان بقاءها على قيد الحياة شر على العالمين . ولم يكن اعتقاده في لبابة بأحسن من ذلك لانه رأى خيانتها رأى العين فصمم على التخلص من كليهما وكانت قطام في اثناء حديث لبابة واقفة وقوف الصنم ، وقد جد الدم في عروقها واصطكت ركبناها . وكانت في أول حديث لبابة تهم بتكديدها وعمرو يسكتها ، ثم سكنت من تلقاء نفسها . فلما فرغت لبابة من حديثها نادى عمرو : « يا غلام » . فلما جاء حاجبه امره ان يسوق قطام وعجوزها الى السجن



فلما خرجتا من المكان ساد السكوت هنيهة ، وقد غرق عمرو في التفكير في خولة وشهامتها وصدق مودتها فرأى انها اذا كانت على دعوته لا يخشى ضررها بل قد تكون اكبر عون له اذ يندر مثلها بين النساء ، وغلب على اعتقاده انها بعد مقتل الامام على لم يبق لها سبيل لنصرته ، فلا مانع يمنعها من الاخلاص له هو ، ولا سيما اذا عفا عنها وعن زوجها عبد الله وبعد السكوت هنيهة خاطبها قائلا : « والآن ما قولك ياخولة ، ما الذى نصنعه بك ؟ »

قالت : « لا ابالى يا مولاي ان تصنع بى ما تصنع بعد ان بسطت لك الحق فقد صدقتك القول ، فاذا امرت بقتلى فانى لا ازيد عدد الموتى ولا اقلل عدد الاحياء ، ولا فائدة من بقائى ولا ضرر من مماتى ، وقد ذكرت لك في أول حديثى انه قد قتل ودرج تحت التراب من لا افاق بأنملة من انامله . فهل انا افضل من ابي بكر وعمر وعثمان ؟ أم انا خير من ابن عم الرسول ؟ (صلعم) . فاذا شئت فاقتلى وأرحنى من حياة لا عدل فيها ولا حق . ولكننى اطلب اليك اذا قتلتنى الا تعفو عن تلك الخائنة الفادرة » . قالت ذلك ودمعت عينها

فتأثر عمرو من صدق لهجتها وثبات جأشها فقال لها : « واذا عفوت عنك ؟ » قالت : « واذا عفوت فالعفو من شيم الكرام ، وتكون حياتى هبة من عندك » فتقدم عبد الله للحال وجشا بين يدى عمرو وقال : « أرجو من مولاي ان

يهبني حياة هذا الملاك الطاهر ، كما وهبني حياتي فتكون بدا تضاف الى
أيديه السابقة »

وكان ابو خولة واقفا وقد سحر بها أبدته ابنته من الحمية والشهامة ،
وخجل لانه لم يكن صادقا في اخلاصه لعل مثلها . فلما رأى عبد الله يلتمس
العفو لابنته تقدم هو ايضا وقبل يدي عمرو وقال : « لقد كنت ياسيدي أشد
نقمة منك على خولة ، ولستكني أراها والله خيرا مني ، واراني أصغر منها
فألتمس لها العفو أيضا » . قال ذلك ونادى خولة فدنت فقال لها : « قبلي
يد الأمير واستغفري للذنبك » . ففعلت

وتصافح أبو خولة وعبد الله ، وعادا الى مقعديهما ، وقد تذكر عبد الله ابن
عمه سعيدا وعلاقته بخولة ، فقال في نفسه : « انها فرصة لا ينبغي ضياعها » .
ثم خاطب عمرا قائلا : « أما وقد وهبتنا حياتنا جزاء لصدق لهجتنا ، فلا
يسعنى والحالة هذه الا أن اتم الصدق بكشف سر لا يزال مكتوما »

فلما قال ذلك علمت خولة أنه سيتكلم بشأن سعيد ، فحقق قلبها وغلب
الحياء عليها ، فانزوت في بعض جوانب الغرفة
أما عمرو فقال لعبد الله : « قل ما بدالك »

قال : « أنت تدعوني الآن زوج خولة ، وما أنا والله الا اخوها »

فبغت عمرو وابو خولة ، وقال عمرو : « كيف ذلك وقد عقد قرانكما ؟ »
قال : « نعم انها زوجتي في الظاهر ، ولكنها لا تزال بكرا وقد أختيتها فهي
أختي بعهد الله والرجل لا يتزوج أخته »

فازداد استغراب عمرو وقال : « وكيف ذلك ؟ أفصح يا عبد الله »

قال : « ان خولة أحببت ابن عمي سعيدا قبلي ، ولابد انكم لحظتم ذلك من
خلال حديث قطام ، ولكنني لم أعلم ذلك الا بعد عقد قراننا ، ونظرا الى حبي
الشديد لابن عمي ، وقد كفلته لذي جدى أبي رحاب ، فقد أمسكت نفسي
عن خولة وأختيتها . وأعترف لمولاي الأمير ، أننا توأمانا على الخروج بحيلة من
الفسطاط الى الكوفة وسعيد ينتظرنا هناك فازف له خولة »

فلما سمع عمرو كلامه ازداد اعجابا بشهامته وصدق مودته ، ونظر الى
أبي خولة كأنه يستطلع رأيه في الأمر ، فإذا هو لم يكن أقل اعجابا بتلك
الشهامة ولكنه لم يتمالك عن أن ينهض ويضم عبد الله الى صدره وقبل رأسه
وقال : « بورك فيك من صديق صادق ، أما وقد صارت خولة أختنا لك فاقض
لها ما أنت قاض »

فقال : « اذا أمر مولاي بعثنا الى سعيد في الكوفة مع بلال العبد ، فيقدم
الينا »

فقال عمرو : « على الرحب والسعة » . وأمر غلامه أن يمد عبد الله بما يريد ليتمكن من استقدام سعيد

فجهز عبد الله رسولا وكتب الى سعيد يستقدمه ويبسط له واقعة الحال ، وأوصى الرسول بأن يجعل طريقه على دمشق ، فسعيد كان فيها فلعله لا يزال هناك

واستأذن أبوخولة وابنته في الانصراف الى بيته ، فأذن لهما فخرجا وخولة تفكر في قطام ، وكانت قبل هذه الجلسة تريد الانتقام منها ، ولكنها لما رأت ما كان من فشلها انفضت حاة انتقامها . على أنها تذكرت أن بلالا أقسم أن يقتلها ، ناهيك بحقد سعيد عليها ، فعولتان تستعطفه لكي يعفو عنها ويكتفى بما أصابها من الغسل والاهانة

وأما عبد الله فاستبقاه عمرو عنده بقية النهار ، وبات تلك الليلة ضيفا في دار الأمير ، وقد ارتاح باله من كل جهة . ولكنه كان يفكر في قطام وما أصابها من البلاء وكيف سيقى الى السجن مهانة وقد انكشف أمرها وافتضح سرها ، فخفت نغمته عليها واكتفى بأن تبقى مسجونة حتى يرى ما يكون من أمرها بعد قدوم سعيد

وفي الصباح التالي بعث عمرو اليه ليتناول الطعام معه فذهب ، وفي أثناء تحدثهما في شأن قطام وعجوزها ، ذكر عبد الله ما يجول في خاطره من الشفقة عليها فقال له عمرو : « والله انه حلم لم يسبقك اليه معن . وما ظنك بخولة هل تقول مثل قولك ؟ »

قال : « لا أظنها إلا على رأيي »



الجرمة والعقاب

احب عمرو ان يعرف راي خولة في قطام فلما جاءت سالها عن رايها فيها ،
فقال مثل قول عبد الله

فقال لهما عمرو : « انى والله لامعجب من هذا التوارد في خواطركما ، وانه
دليل صريح على طيب عنصركما ، وقد كنت قاتلها لو اردتما قتلها لانها شريرة
تستحق القتل . فأرى اذن ان اسجنها في سجن مظلم لتذوق جزاء ما جنته
يذاها »

ثم نادى غلامه فحضر فأمره ان ينقل قطام الى سجن مظلم وان يأتى
بالعجوز اليه

فذهب الغلام ثم عاد مضطربا وجلا

فقال له عمرو : « ما وراءك هل فعلت ما أمرت به ؟ »

قال : « لا يا مولاي » . قال : « ولماذا ؟ »

قال : « لانى وجدت الغرفة مفتوحة ، وليس فيها غير جثة المرأة العجوز »

قال عمرو : « وقطام ؟ » . قال : « لم أقف لها على أثر »

فصاح عمرو : « تبا لتلك اللعينة الخائنة ، هيا بنا ننظر في الامر بانفسنا »

ونهبوا لساعته ، وتبعه عبد الله وخولة ، حتى اتوا باب الحجرة التى كانت
قطام مسجونة فيها . فاذا بالعجوز صريعة لاحراك بها . فارسل عمرو الى
طبيبه ليرى رايه في وفاتها فجأة ، ففحصها هذا وقال : « انها ماتت خنقا بعد
جهاد وعراك فان في فمها حجرا ملفوفا بمنديل سد القائل به فاما لثلا
تستغيث فيسمعها الحراس فينكشف امره »

فقال عمرو : « ومتى كان ذلك ؟ »

قال : « اظنه وقع في منتصف الليل او نحوه »

ففحص عمرو باب الحجرة وعابن خلفه ، فتبين له انه خلع من الخارج لانه
راى آثار الاداة التى عولج بها ظاهرة في ظهر البسب فقال : « يظهر ان لقطام

شريكا ، لأن يدا عاجلت الباب وفتحته ، فمن فعل ذلك ياترى ؟ »

وكان عبد الله يشارك عمرا في الفحص ، فلما سمعه يشير الى خلع الباب انتبه لساعته وقال : « لقد كشفت الغامض وعرفت القاتل ، انه ريحان عبد قطام ، فقد رأيته في دار الامير آمن ، ولم أسمع أن الامير أمر بالقبض عليه ، قلعله اندس وخلع الباب وساعد سيده على قتل العجوز انتقاما لها أو خوفا من لسانها »

فقال عمرو : « لقد أصبت ، انه ذلك العبد بعينه ، ثم أمر بالجثة فحملت ودفنت ، وعاد الجميع آسفين لقرار تلك الخائنة من أيديهم وأمر عمرو رجاله أن يبحثوا ويأتوه بها

أما بلال فانه لما بعثه عبد الله لينتظره مع سعيد في الكوفة ، سار الى دمشق ولقى سعيدا فروى له ما قر القرار عليه ، واستنفضه للمسير الى الكوفة ، فاستمعه يومين ريثما يقضى بعض حوائجه . وفي أصيل اليوم الثاني حملا أحالهما وخرجا على جليهما ، على أن يبيتا في غوطة دمشق ويستأنفا سفرهما الى الكوفة في الصباح

وبينما هما أمام باب المدينة المؤدى الى الغوطة اذ لقيهما رسول عبد الله القادم للذهاب بهما الى القسطنطينية ، وهو يعرف بلالا فأوقفه ودفع الكتاب الى سعيد فقرأه وهو لا يكاد يصدق لعظم فرحه بالقبض على قطام وبرضاء عمرو وشوقه الى خولة

وأما بلال فأسف للقبض على قطام في غيبته ، مخافة أن يعفى عنها أو أن يقتلها أحد سواه وهو يريد أن يتولى أمرها بيده

فقال سعيد للرسول : « كنا في طريقنا الى الغوطة لنبيت فيها ونصيب ووجهتنا الكوفة ، فأرى بعد أن حملنا أحالنا أن نظل في طريقنا الى الغوطة فنبيت هناك ، ونصبح في الغد لنتمس القسطنطينية ، فصاروا جميعا حتى وصلوا قبيل الغروب الى بحيرة صغيرة حولها أشجار الحور تهب عليها ريح ناعمة فيسمع لأغصانها حفيف يمتزج بتغريد الطيور مما يشرح الصدر ولا ترى مثله الا في تلك الغوطة

وبعد المغرب حطوا أحالهم ، واشتغل بلال ورفيقه بأعداد العشاء

وكان بلال يعرف صاحب البستان ، وقد نزل عليه ليلة قدومه من القسطنطينية ، فترك سعيدا والرسول ومشى بين الأشجار في الظلام يتلمس طريقه الى بيت البستاني فما لبث حتى ضل الطريق لتكاثف الأشجار ، وجعل يتلمس على غير هدى ويزداد بعدا عن رفيقيه حتى أصبح بينه وبينهما ميل وبعض الميل وهو لا يدري ، فوقف ينظر من بين الأشجار لعله يرى نورا أو

يتبين المنزل . ولبت برهة يعمل فكره ويحاول ان يعرف الجهة التى ترك فيها رفيقه لكى يعود اليهما

وفيما هو فى ذلك اذا بصوت أجفله وهو هدير جل ، أعقبه هدير جل آخر ، فعلم ان القادمين ركب أسى عليهم المساء قبل الوصول الى المدينة . فمكث ينتظر وصولهم ليستأنس بهم ويسألهم عن الطريق . فأسند ظهره الى شجرة وتطاول بعنقه ليحقق الجهة التى منها الصوت . فسمع لفظا وكلاما فأصاح بسمعه فاذا بقائل يقول : « دهنأ نزل هنا باريحان ، فاذا اصبحنا دخلنا دمشق لأنى اخاف ان يشك فى امرنا اذا دخلناها فى الظلام ، الا تظننا فى امان هنا ؟ »

وسمع الجواب : « نعم يامولاتى »

فأقشعر جسمه عند سماعه ذلك الصوت اذ عرف فيه صوت قطام تخاطب ربحان وهى خاتمة ، وتؤكد انها آتية فرارا من سجن الفسطاط



وكانت قطام لما ارسلت الى سجنها حقدت على لبابة كما مر . ونظرا الى ما فطرت عليه من اللؤم والقسوة لم يكن أسهل عليها من قتل لبابة . وكان ربحان يومئذ واقفا فى دارالامارة ، فلما رأى سيدته ولبابة سائرتين مخفورتين علم انهما فى ضيق ، فراقب القوم بيصره حتى عرف الحجرة التى حبسوهما فيها . واعمل ذهنه لاتقاذهما ، وكانوا عند وصولهم الى الفسطاط قد نزلوا فى دار الامارة فاحتال فى اخراج الجمال والامتعة الى مكان خارج الفسطاط . ولما توسط الليل غافل الناس وجاء الى سجن قطام واخذ يعالج الباب ، فسمع لقطا فاذا هو خصام احتدم بينها وبين خادمتها . فاستعجل فتح الباب بالعنف ودخل ، فلما رآته قطام اشارت اليه ان يساعدها فى قتل لبابة فصاحت هذه : « تبا لك ياظلمة يا فاجرة ، انى اتوب الى الله عما ركبت فى سبيلك من الذنوب . واما أنت فلا نجاك الله من عواقب آثامك و » . فابتدرها ربحان فسد فاهها وخنقها ، وخرج بسيدته من باي كان قد أعدده باسترضاء بوابه . فلما بعدا عن الفسطاط تحول بها الى مأمن كان قد أعدده عند موقف الجمال . فركبا وهى تنثنى على شهامته . فخبرها فى الجهة التى تسير اليها فاختارت دمشق ، لأن فيها نفرا من أهلها كانوا قد هجروا الكوفة بعد وقعة النهروان وفشل الخوارج وأقاموا بدمشق

فسارا حتى اتيا الغوطة فى تلك الليلة بعد وصول رسول عبد الله بوضع ساعات كما مر

فلما تأكد بلال انهما قطام وريحان لم يعد يقر له قرار من مراحه . وقال في سبه : « لقد اجاب الله سؤالي . والله انى سأذيقها الموت بيدي هذه . وجس لغته فرأى الخنجر فيها . فلبث مستظلا بالشجرة ليرى ما يكون منهما . فهاذا هما قد سارا خطوات قليلة حتى أتيا الى قناة لأنحدار مائها خزير وبجانب شجرة من الصفصاف يستظل بها المارة في أثناء النهار . فنزلا عن الجملين بحان القبة كالعادة وأوقدا النار ثم قال لمولاته : « استريحى ياسيديتى . سستانى وآتى اليك ببعض الزاد والفاكهة وأنت هنا فى مأمن ولا تطل الغياب » . فانصرف



وكان بلال واقفا ينظر اليه . فلما رآه توارى نظر الى قطام على بصيص النار فإذا هى قاعدة وقد كشفت عن وجهها وعنقها وشمرت عن ساعديها ، ثم رآها نهضت وضفائرها مدلاة على كتفيها وظهرها وفى أطراف الضفائر دنائير معلقة اذا تصادمت فى أثناء المشى سمع لها رنين . ومشت الى حافة القناة ودمالجها وخلاخلها تخش خشيشا . فخاف بلال اذا أبطل أن تغوته الفرصة ، فوثب عليها وهى تهتم بالجلوس على حافة القناة وأمسك بطوقها وجذبها اليه فوقعت على قفاها فجثا على صدرها . فصاحت : « ريحان » . وقبل أن تتم كلامها وضع بلال قبضته فى فمها وقال لها : « لم يبق لك فى هذه الحياة الا دقائق قليلة ، فاعلمى قبل أن تغارقها أنى بلال خادم خولة وسعيد ، وإنى منتقم للإمام على » . فأشارت اليه انها تريد الكلام فاستل الخنجر وصبوه الى عنقها وقال لها : « تكلمى بهدوء ، واذا رفعت صوتك أغمدت هذا الخنجر فى عنقك »

قالت : « ارحمنى يا بلال واشفق على حياتى »

قال : « لا يرحمنى الله ان رحمتك ، فقد ضاقت ابن ملجم وحرضته على قتل شابين من خيرة الشبان . ولكن حيلتك فيهما لم تنجح . وأخيرا جئت الفسطاط لأغراء أميرها بخولة . كيف ارحمك يا خائنة ؟ »

قالت : « ذلك قد مضى يا بلال وأنا تائبة بين يديك ، فاعف عني ، ولك كل ما أملكه »

قال : « هل يتوب الهر ؟ ! . أما العفو عنك فوالله لو عرفت قصاصا أعظم من القتل لقاصصتك به ، لأن القتل قليل على فاجرة خائنة مثلك »
فهمت ان تجيبه فأدرك انها تماطله ريثما يعود ريحان

فقال لها : « اعلمي يا قطام اني قاتلك انتقاما للإمام على » . قال ذلك واضع
خنجره في عنقها وأسرع فاحتز رأسها وترك الجثة ولها شخير رن في أذنيه إلى
مسافة بعيدة . وكان لما رأى القناة قد تعرف الطريق المؤدى إلى مقر سه
فانسل بين الأشجار وقد أمسك الرأس من جذائله وتركه يتدلى والدم يقطر
منه



وكان سعيد ومعه الرسول قد استبطا بلالا ، وشغلا عليه
وقع أقدامه صاح سعيد فيه قائلا : « أين الفاكهة يا بلال ، لقد
علينا الجوع »
فلم يجبه بلال ، ولكنه ظل ماشيا حتى وقف أمامه ونمى الجمجمة بين يديه
وقال : « هذه فاكهتي »

فاجفل سعيد ونظر فاذا هو رأس قطام بأقراطه ووضفائره ، فاستغرب
الامر ، وسأله عن تفصيل الخبر
فقال : « ليس هذا وقت السؤال ، هلم نخرج من هذه الغوطة الآن ، فإذا
أمننا عيون الحكومة أخبرتكما الخبر »

فنهضوا ولم يدوقوا طعاما ، وركبوا جالهم واستحثوها جهدا طاقتهم ،
وهم تارة يصعدون تلالا ، أو ينزلون غورا ، وآونة يغوصون في الماء ، وطورا
يدوسون الأشواك أو تتصادم رؤوسهم واكتافهم بغصون الأشجار . نختي
أنتصف الليل فانتهوا إلى سهل قليل الأغراس وقد بعدوا عن دمشق فواصلوا
السير إلى القجر ، وتحققوا أنهم أمنوا العيون

جلسوا للاستراحة على مصطبة بالقرب من عين ماء جارية ، وسعيد في
شوق شديد إلى سماع تفصيل مقتل تلك المرأة

فقص بلال حديثه وقلبه يرقص فرحا . وانما لأسباب شروره أخرج
الجمجمة من جراب كان قد خباها فيه ووضعها على المصطبة بين يدي سعيد
وكان شعرها قد تجمد بالدم ، والعينان مطبقتان والشففتان مفتوحتان عن
أسنان كاللؤلؤ ، ومسحة الجمال لا تزال تتجلى في محيا تلك المرأة مع صفاء اللون
واصفراؤه وما تلمنح به من الدماء



مد سعيد يده إلى جبين جمجمة قطام ، ولمسه فاذا هو بارد كالثلج فقال :
« آمنت بالله كأنه سبحانه وتعالى قد كتب لي ألا أمس هذا الجبين ألا وهو

ميت وقد كنت اشتاق لمسه منذ اعوام . ثم وجه خطابه الى الجمعية وقال
« انت قطام بنت شحنة ؟ وقد جاز دهاؤك ومكرك على مئات من الرجال
ابهاتين العينين فتنت ابن ملجم كما فتنتني ؟ وبهاتين الشفتين اغرخته بقتل
الامام كما فعلت معي . انك ستلاقيه عاجلا في مكان لا تخفى فيه خافية . في
مكان تنال فيه كل نفس جزاء ما قدمت »

ثم التفت الى بلال وقال : « ماذا نعمل بهذه الجمعية ؟ »
قال : « نحملها الى القسطنطينية لضعها بين قدمي خولة ذلك الملاك الطاهر »
قال : « لا اظنها تسر بهذا ولا انا سررت به . وزد على ذلك ان هذه الجمعية
لا تصل الى القسطنطينية الا بعد ان تنتن وتتصاعد منها رائحة تفرمها النفس »
فاطرق بلال هنيهة اسفا لحرمانه حمل الرأس الى خولة ثم قال : « فاسمع
لي اذن ان أحمل أثرا منها »

قال : « وما هو هذا الاثر ؟ »
قال : « اقطع الاذنين وفيهما الاقراط واقص هذا الشعر وفيه الضفائر
الذهب »

قال : « لك ذلك فافعل »
ثم قرروا ان يسنريحوا هناك ويتناولوا الغداء ثم ييرحوا المكان الى
القسطنطينية

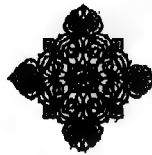


عاد ريحان من عند البستاني وقد أعد كل ما ترتاح اليه سيده من
الفاكهة والاطعمة وأمر البستاني أن يشوي بعض اللحم . ولما دنا من الخيمة
سمع شخيرا كشخيرا النائم وكانت قطام اذا نامت شخرت وهو يعرف فيها
ذلك . فقال في نفسه لعلها غلبها النوم على امرها من شدة التعب . ودنا منها
فاذا هي بجانب القنطرة والظلام حالك والنار التي أوقدها قد خمدت فلم ينتبه
بحالها . فقال في نفسه : « لا تيرن الشمع وأعد الطعام ريثما يفيق » . فانار
الشمع . ولاحت منه التفاتة الى سيده فراها تتحرك فأقبل اليها فاذا هي
لختلج اختلاج النزاع وقد أصبحت جثة بلا رأس ، ورأى دمها قد عكر القنطرة .
فبغت ولطم وجهه ووقف لحظة يفكر فيمن عسى أن يكون قد فعل ذلك ،
فقال في نفسه : « لا بد أن يكون قد حدث هذا بايعاز من عمرو بن العاص ،
والقاتل قد فر الآن ولا سبيل اليه . فاذا انا صحت وجمعت الناس تقع التهمة
على رأسي »

فتجبر في امره ثم تذكر ما ارتكبته قطام من الفظائع كأنه يحاول أن يلتصق
لنفسه. علما اذا تخلى عنها . فرأى انها أقدمت على جرائم تستحق القتل على
كل واحدة منها . وتذكر ما وراءها من المال الكثير والحلى الثمين ، وانه هو
وحده يعرف مخبأاتها في الكوفة . فطمع في الميراث وصمم على اغتنام الفرصة
فهم بما عليها من الحلى فنزع الاساور والدمالج من يديها والعقود من عنقها ،
وجمع ما في جيوبها وصناديقها من غالى الثمن وخفيف الحمل . وتركها غارقة
في دمها ولسان حاله يقول : « ذلك جزاء القوم الظالمين » . ودخل الشام في
الصباح التالي فاشترى اثوابا تنكر فيها ، وقصد الكوفة فأخرج ماخبأته قطام
هناك من الاموال ، وأبتاع لنفسه ضيعة اقام بها

وأعد البستانى الطعام وحله وفيه الجبن والفاكهة والخبز في كيس
من القش ، وجاء الى موضع الخيمة وهو مسرور بتلك الضيعة لأنها كانت
كريمة تعطى الناس بسخاء . ولكنه ما وصل الى الخيمة حتى رأى
الحال كما ذكرنا ، وليس هناك الا جثة قطام وكانت قد همدت وسكن
شخيرها واختلاجها . فلا تسئل عن رعبه لما رآها في تلك الحال . فقال في
نفسه : « لا شك أن جماعة اقوياء تجرأوا على هذا العمل ، وقد فعلوا ما فعلوا
ونجوا بأنفسهم ، واذا انا اظهرت هذه الجثة جلبت على نفسي البلاء ، فعلى
الا أن احتفر لها حفرة اخفيها فيها »

فاشتغل بالحفر وهو يحاذر أن يراه احد أو يسمع فأسه . ثم دفن الجثة
واخفى آثار الدماء وحمل كل ما بقى من الامتعة الى بيته ، وساق جلا كان
باقيا هناك ، وكنتم خبر تلك الحادثة من كل انسان



طلاق .. وزواج

اما وفد الفسطاط فلما اشرفوا عليها من سفح المقطم ظهر لهم جامع عمرو في وسط المدينة كالبرق بين الكواكب ، فأرسلوا الرسول الى عبد الله لينبئه برجعهم ، وأوصوه بأن لا يذكر له خبر قطام وكان عبد الله قد خلا له الجو ، وصفا قلب الامير له ، ولكنه بقي مبجل الخاطر على سعيد ، وكلما تذكر فرار قطام من سجنها انقبضت نفسه ، وكلما لقي خولة تحدثا بما مر بهما وذكرا سعيدا وتمنيا سرعة وصوله ، وعبد الله يدبر أسلوبا يخبره به عن حقيقة حاله مع خولة وفيما هو جالس ذات صباح في غرفته بدار الامير ، اذا برسوله قد اقبل فصاح به : « ما وراءك ؟ »

قال : « ورائي سيدي سعيد وبلال »

قال : « واين هما ؟ »

قال : « تركتهما في سفح المقطم قادمين ، وجئت لأبشركم »

قال : « أهلا بالقادمين » . ونهض لساعته وخرج على فرس اسرج له ، ولم يكذب يخرجه من الفسطاط حتى التقى بسعيد وبلال على جلين ، فترجل بلال للحال وهم بيد عبد الله فقبلها

فقال عبد الله : « يورك فيك يا اسمر وبورك بشهامتك » . وهم سعيد بان يترجل فأشار اليه عبد الله أن يبقى على جله لينزلا معا في دار الامارة فساروا وسعيد يتسم فقال له عبد الله : « ما الذي يضحكك ؟ »

قال : « يضحكني أننا ذاهبون الى دار عمرو بن العاص ، وقد كنا بالأمس نحاذر أن نسمع بنا أو يرانا »

قال : « الله في خلقه شؤون » . ثم قال بصوت خافت كأنه يحاذر أن يسمعه احد : « لو أراد الله نجاح مسعانا ونجا الامام على كرم الله وجهه لما أهمنا النزول بهذه الدار »

فقال بلال : « لا تذكرني بذلك الحادث الفظيع فقد شهدته بنفسى ، ورأيت ابن ملجم اللعين بأم عيني يضرب الامام بذلك السيف المسموم ، وقد كان بيننا وبين انتقاذه لحظة لو أراد الله لمجلها . ولكن الأجل موهنة بأوقاتها »

قال : « ولكن الله سيجزى الظالمين ، إما نحن فقد صرنا الآن من حاشية ابن العاص ، وهو الحق يقال من دهاء العرب وكرامهم وكبار قوادهم »



وبقيا في مثل هذا الحديث حتى اقتربا من الدار فقال عبد الله : « لم أسمعك تذكر خولة . هل نسيتهما ؟ »
فابتسم سعيد وقال : « كيف أنساها وأنا إنما جئت التمسها »
قال : « وماذا تلتبس منها ؟ »
قال : « لا أدري ... »
قال : « أظنك تدري ، ألا فاعلم أن خولة الآن زوجتي ، وقد زوجني بها عمرو »

فصجك سعيد وهو يظن ابن عمه يمازحه ...
فتظاهر عبد الله بالجد وقال : « يلوح لي أنك لم تصدق قولي ، فاقسم بالله وتربة أبي رحاب أن خولة قد زفت الي ، وعقد قراننا على يد الأمير . وإذا كنت لا تصدقني فاسأل كل من في هذه الدار عن ذلك »
فغلبت الشهامة على سعيد ولم يسهه إلا أن قال : « وما يمنع أن تكون زوجة لك ؟ بورك لك فيها . الست أختي ورفيقي وابن عمي ؟ »
قال ذلك وهو لا يزال يشك فيما سمعه من عبد الله

ووصلا إلى الدار ، فترجلا وسارا توا إلى غرفة عبد الله ، وبعثا إلى عمرو ينبئانه بقدميهما ، فأمر بأن يستقبل سعيد في غرفة خاصة ، وبعث إلى خولة وأبيها ، فلما جاءا أقبل عمرو إلى الغرفة وقد اجتمع فيها الجميع وبلال واقف خارجا ، فلما دخل عمرو تقدم سعيد لتقبيل يده والسلام عليه ، فرحب به ودعاه للجلوس

فقال سعيد : « إذا أذن مولاي فليأمر عبده بلالا بالدخول ليحضر هذه الجلسة »

فأمر بدخوله فانزوى في بعض جوانب الضرفة متأدبا وفي يده جراب من جلد

وكان سعيد ينظر إلى خولة من تحت النقاب ، ويفكر فيما سمعه من عبد الله وهو يتردد بين الشك واليقين

فلما استتب بهم الجلوس خاطب عمرو سعيدا قائلا : « أظنكم تتوقعون أن ترأطام سجيئة ؟ »

فقال سعيد : « نعم يا مولاي »

قال : « ولكنها فرت من السجن ورادت ذنبها اجرا ما يقتل خادمتها . وكنا قد أردنا استبقاءها مسجونة . أما الآن فإذا ظفرنا بها فلا قصاص لها عندنا غير القتل »



فلم يتمالك سعيد عن الابتسام ، وقد ندم لانه لم يصرح بالأمر بادىء بدء ، وهم بالكلام فاعترضه بلال مستأذنا . فسكت فتقدم بلال الى عمرو وجثا بين يديه والجواب بيده وقال : « هل يأذن لى مولاي بكلمة أقولها ؟ » . قال : « قل »

قال : « كيف ترجون القبض على قطام وأنتم لا تعرفون مقرها ؟ »

قال : « نطمع الناس في البحث عنها بمال كثير »

قال : « وكم تعطون من يقبض عليها ؟ »

قال : « نعطيه مائة دينار »

قال : « اتشترطون أن يؤتى بها حية ؟ »

قال : « سواء علينا . جاء بها حية أم ميتة »

قال : « وإذا جاء بخبر قتلها »

قال : « نقبل منه ذلك على أن يأتينا بما يثبت موتها »

فاخذ بلال يحل الجراب وهو يقول : « فليأمر مولاي الامير باعطائي مائة دينار » . وما اتم قوله حتى أفرغ الجراب بين يدي الامير ففاحت الرائحة وظهر الشعر الملطخ بالدماء وبلال يبحث فيه بأصبعه حتى وجد الأذنين وفيهما الأقرط

فأجفل عمرو وسائر الحضور لذلك المنظر واشمازت نفوسهم من تلك الرائحة الكريهة وصاح فيه عمرو : « ويلك ما هذا ؟ »

قال : « هذا هو شعر قطام ملطخا بدمها . وهذه أذناها وأقراطها .

وإذا أخرجتموني جئكم براسها . فاني انما تخليت عنه اجابة لأمر مولاي سعيد » . قال ذلك ووقف وهو يشير الى سعيد

فقال سعيد : « نعم يا مولاي ، انا اشهد أن بلالا قتل قطام وحده ، واحتز راسها وجاءني به وهو ينوى حله اليكم ، فاشرت عليه بأن يكتفى بهذا الاثر تخلصا من نتن الرمة »

وكان الحضور قد بهتوا وهم ينظرون الى الشعر والاذنين فأشار عمرو الى بلال أن احمل هذه الاقدار من هنا . فأعادها الى جرابه وتنحى فقال له عمرو : « لك عندنا مائة دينار » .

فشكر واثني وقال : « انى أشكر مولاي الامير على نعمته وأعترف بين يديه بانى لم أقتل هذه الغائنة لمال ، وانما قتلتها انتقاما للعبد » . وأراد أن يفصل ما أجله فانتبه الى أنه لا يجوز ذكر الامام على فى المجلس فاكتمى بما قال وتذكرت خولة ان اباه كان قد غضب عليها من أجل بلال ، فاعتنمت هذه الفرصة لاكتساب رضا أبيها عنه فقالت : « يا بلال تقدم وقبل يدى سيدك » . وأشارت الى أبيها ، فتقدم بلال وقبل يده فلمسا هم القوم بالافصراف وقف عبد الله ووجه كلامه الى عمرو وقال : « أشهد ايها الامير ان امرأتى هذه طالق منى ثلاثا » . وأشار الى خولة

فأدرك سعيد ان ما قاله له صحيح وانه كان قد عقد قرانه عليها . ولمح الامير عمرو الاضطراب على وجهه فقال : « طب نفسا ياسعيد انما كان الزواج سوريا وقد صح الموقف الآن بالطلاق » . والتفت الى أبى خولة وقال له : « انى أخطب خولة منك لسعيد ؟ »

فقال ابو خولة : « هى جاريتك يامولاي فاصنع بها ماتشاء » فاطرقت خولة حياء ، وعندما آن الاوان عقد قران سعيد بخولة فى مجلس عمرو فبارك لهما وهما بالزواج

وبعد أيام استأذن عبد الله ابن عمه سعيدا فى الذهاب الى مكة للاقامة بها مع ذويه ، ووَدع خولة والأصدقاء وسار الى مكة واقرن هناك بابنة عم له وعاش الجميع كل فى مقامه عيشة لا يشوبها كدر الا حين يذكرون مقتل الامام على . ثم حين سمعوا بعد ذلك عن تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان . فخرجت الخلافة من اهل البيت وصارت الى بنى أمية . وانما فعل الحسن ذلك حقنا للدماء ، ولم يتول الخلافة الا ستة أشهر ، فقتل كرسيا من الكوفة الى دمشق ، وبقي فيها الى انقضاء دولة بنى أمية



روايت تاريخ الإسلام صدّر منها

الابطل العثماني	فتاة القيوان
العباسية أخت الرشيد	الأمين والمأمون
استبداد المماليك	عزاة كربلاء
أبو مسلم الخراساني	الملوك السارو
شجرة الدر	عرويس فرغانة
شارل وعبد الرحمن	عبد الرحمن الناصر
أحمد بن طولون	عزراء قریش
فتاة غسان	فتح الأندلس
أسيه المتشدي	أرمانوتة المصريّة
الحجاج بن يوسف	جماد الحجبين
١٧ رمضان	صلاح الدين الأيوبي